الجزء الثالث | المجلد التاسع والخمسون

مجلة
مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »



شوال ١٤٠٤ هـ

تموز (يوليو) ١٩٨٤ م


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

خواطر وسوانح وعبر

في إحياء ذكرى مستشرق

الدكتور حسني سبح

احتفل علماء المشرقيات ،[1] وبخاصة الفرنسيون منهم في الربع الأخير من العام الماضي (١٩٨٣) بالعيد المئوي لولادة لويس ماسنيون - كبير مستعربي هذا القرن بلا منازع - الذي دأب طوال ستة عقود ونيف في البحث والدراسة والتنقيب والمحاضرة عن الكثير من شؤون بلاد العرب والمسلمين ، وطاف أكثرها مرات حتى كان من نتاج أعماله هذه اخراج زهاء ٦٠٠ منشور مابين مصنفات في مجلدات وكتب ورسائل ومقالات في المجلات والصحف وبحوث في الموسوعة الاسلامية ، عدا مالم يُتح له أن يطبع من محاضرات[2] حاضرها في كوليج دوفرنس[3] حيث شغل كرسي (علم الاجتماع الإسلامي) أكثر من ثلاثين سنة (١٩١٩ - ١٩٥٤)

وأكثر صلات ماسنيون كانت مع مصر والمغرب العربي باقطاره الثلاثة والعراق من بلاد العروبة . هذا ماكتفى بالاشارة إليه في سرد سيرته ، محاضرو ندوة باريز في الاحتفال بالعيد المئوي المذكور ، أما بلاد الشام ولاسيا دمشق ، فلم يتطرق أحد إلى ماكان له من الصلة ببعض رجالاتها ، ولا إلى ضلوعه في السياسة التي سارت عليها فرنسة في الشام إبان الانتداب الفرنسي عليها بحكم عمله في وزارة الخارجية الفرنسية ثم كونه بين مستشارى المفوضية الفرنسية العليا . وهذا ما أريد أن آتي

بلمحة عنه وشرح ما بَعُد العهد به من أمور لها شأنها قبل وصف الاحتفال بالعيد المئوي لمولد المستشرق المذكور .

فمن هو لويس ماسنيون أولاً ؟

ولد لويس ماسنيون في إحدى ضواحي باريز سنة ١٨٨٣ ، وأنهى دراسته الثانوية بحصوله على البكالوريا بفرع الآداب والفلسفة سنة ١٩٠٠ ، وفي فرع الرياضيات سنة ١٩٠١ ، وزار بعدها الجزائر زيارة قصيرة (وهذه هي الاولى من رحلاته) ثم شرع في الدراسات العليا بنواله الاجازة (ليسنس) في الآداب سنة ١٩٠٢ . وبدت له رغبة في دراسة بعض الشؤون الاسلامية ، فاختار موضوعاً في الحوز على الشهادة العليا (دبلوم) دراسة ليون الأفريقي[٤] مما حمله على السفر الى مراكش سنة ١٩٠٤ ثم عاد إلى الجزائر ونشر ماتوصل إليه من بحث واستقصاء في كتاب طبع في الجزائر سنة ١٩٠٦ ونال اعجاب المارشال ليوتي[٥] الذي لم يلبث أن اطلع عليه صديقه الأب فوكول المعروف بناسك الصحراء[٦] ومنه توثقت أواصر الصلة بين هذا المبشر الكاثوليكي وبين لويس ماسنيون فتلاقيا وتراسلا ردحا من الزمن .

واشترك لويس ماسنيون عام ١٩٠٥ في المؤتمر الدولي الرابع عشر للمستشرقين الذي عقد في الجزائر حيث التقى ببعض هؤلاء ومن بينهم المستشرق المجرى الشهير غولد صِهر[٧] .

وحصل لويس ماسنيون سنة ١٩٠٦ على الشهادة العليا في اللغة العربية الفصحى والعامية من مدرسة اللغات الشرقية[٨] .

أما في سنة ١٩٠٧ فقد عين لويس ماسنيون عضواً في المعهد الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة[٩] فأقام فيها قرابة عام يحفر وينقب ويراقب ،

وكلفته الحكومة الفرنسية بعد ذلك بالسفر إلى العراق للقيام ببحوث في الآثار الاسلامية فحل في بغداد ضيفاً على عالم العراق الشهير الاستاذ محمود شكري الآلوسي الذي كما قيل اطلعه على روح الدين الاسلامي واستفاد منه ومن ابن عمه السيد علي فوائد جلى[١٠] ، ولاسرة الآلوسي فضل كبير في المساعي المبذولة لانقاذ حياة ماسنيون من القتل عندما ألقى رجال الأمن الاتراك القبض عليه عند اجتيازه نهر دجلة سنة ١٩٠٨ باحثاً في خرائب بادية العراق مكتشفاً قصر بني لخم المسمى بالسدير في الأخيضر غرب كربلاء ، كما انه زار مشاهد الشيعة كلها ماراً بكربلاء والنجف والكوفة وتم له اكتشاف شخصية الحلاج[١١] مستقصياً أمره عاداً إياه من شهداء التصوف في الاسلام وظل شغله الشاغل سنين عديدة ، وتقدم سنة ١٩٢٢ إلى الصربون[١٢] باطروحته الشهيرة باسم (محنة الحلاج (La passion d´ Al - Hallaje) . عاد من العراق عن طريق دمشق والتقى فيها بكل من الشيخين الجليلين طاهر الجزائري[١٣] وجمال الدين القاسمي[١٤] وسافر إلى استانبول عاصمة الخلافة الاسلامية للاطلاع على مافيها من التراث الاسلامي النفيس وزار دور الكتب باحثاً في مخطوطاتها .

وقصد القاهرة في العام نفسه فانتسب طالباً في الأزهر وارتدى رداء الطلاب الأزهريين معتمراً بالعمامة والطربوش ، وكان قد سبقه إلى مثل ذلك إليه المستشرق اليهودي اغناس كولد صهر الذي تقدم ذكره .

ودعي إلى التدريس في الجامعة المصرية القديمة[١٥] سنة ١٩١٢ - ١٩١٣ فألقى فيها أربعين محاضرة بعنوان (محاضرات في تاريخ الاصطلاحات الفلسفية العربية)

ومـا إن انـدلعت الحرب العـالميـة الأولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) حتى أستدعي ماسنيون إلى الخدمة العسكرية ، فألحق أولاً بمصلحة الصحافة في وزارة الشؤون الخارجية ثم أرسل سنة ١٩١٥ وبناء على طلبه الى الجبهات الشرقية للحرب (دردنيل ومكدونية وصربية) برتبة ضابط في فرقة المشاة ، واشترك ببعض المعارك (ليعرف تأثير الحرب في الأرواح وأن روح المرء لاتغلو لقاء مصلحة وطنه)[١٦] وسافر سنة ١٩١٧ إلى الحجاز وإلى القاهرة بمهمة سياسية[١٧] ووُضع في آذار سنة ١٩١٧ تحت تصرف وزارة الخارجية الفرنسية بصفة ضابط ملحق بمكتب المفوض السامي الفرنسي لسورية وكيليكية[١٨] وهو جورج بيكو[١٩] ودخل القدس في ١١ كانون الأول سنة ١٩١٧ بصحبة المفوض السامي المذكور والجنرال اللنبي ولورنس[٢٠] .

وعهدت إليه وزارة الشؤون الخارجية الفرنسية في كانون الأول سنة ١٩١٩ وضع نظام أساسي سوري بالاتفاق مع الأمير فيصل بن الحسين[٢١] من أجل تأسيس مملكة سورية ، ودأب على العمل في هذا الشان قرابة ستة أشهر ، إلا أنه لم يسفر عن شيء[٢٢]

ويعود ماسنيون إلى سابق حياته الجامعية بعد أن انقطع عنها ست سنوات (من ١٩١٤ = ١٩٢٠) لم يظهر له خلالها أثر علمي ، فكانت فجوة بينة في سلسلة ماألفه[٢٣]

وينتخب سنة ١٩٢٠ (جلسة ١٢ تشرين الأول) عضواً مراسلاً في المجمع العلمي العربي بدمشق (بعد أن تأسس سنة ١٩١٩) وتبدأ المراسلة بينه وبين رئيس المجمع الأستاذ كرد علي بشتى شؤون التراث .

ويتولى تدريس (علم الاجتماع الاسلامي) بعد عودته إلى كوليج دوفرنس سنة ١٩٢٠ بصفته نائب أستاذ حتى ١٩٢٧ ثم يصبح أستاذاً أصيلاً في الكرسي نفسه حتى ١٩٥٤ . ولا يقتصر عمله الجامعي على هذا فحسب

بل يتصدى للعمل في أعمال دراسية أخرى : فهو المؤسس لمعهد الدراسات الاسلامية (١٩٢٧) ومدير الدراسات العليا في المدرسة التطبيقية (E´cole pratique) والأستاذ في معهد الدراسات السياسية ، وفي المدرسة الفرنسية لما وراء البحار ، ورئيس لجنة فحص مدرسي اللغة العربية (١٩٤٦ـ ١٩٥٤) ورئيس الدراسات الإيرانية ، وعضو في عدة جمعيات علمية .

ولما تكوّن مجمع اللغة العربية الملكي في القاهرة سنة ١٩٣٣ كان في عداد أعضائه المؤسسين(٢٤) ، ثم أصبح عضواً مراسلاً فيه بعد تعديل نظامه الأساسي سنة ١٩٥٧ وظل يشهد مؤتمر المجمع السنوي كل عام ولم يتخلف عن الحضور إلا مرة واحدة لظرف قاهر .

وإلى جانب مجمعي دمشق والقاهرة ثم بغداد ، فقد كان ماسنيون عضواً في عدة مجامع أخرى منها : طهران وبلجيكة وهولندة وداغرك وسويد وروسية ، يراسلها ويبعث بآرائه وبحوثه إليها من حين إلى آخر .

وعهدت إليه دائرة المعارف الاسلامية بالكتابة في الشؤون الاسلامية وبالفرق الاسلامية ولاسيما مايختص بالشيعة وما تفرع عنها ، فكتب فيها المواد : القرامطة ، الخرّاز ، الكندي ، ليون الأفريقي ، معروف الرصافي ، المحاسبي ، النوبختي ، نوبخت ، نور محمدي ، نصيري ، سهل التستري ، السالمية ، السنوسية ، شطح ، الششتري ، السري السقطي ، طريقة ، تصوف ، ترمذي ، أخيضر ، الوراق ، ورد ، زنج ، زنديق ، زهد وغيره .

وكان لـ « مجلة العالم الاسلامي » التي صار اسمها بعد ذلك « مجلة الدراسات الاسلامية » نصيب كبير في نشر طائفة من بحوثه وتحقيقاته العلمية والادبية طوال ربع قرن أو أزيد ، وكان قد تولى ادارتها منذ سنة ١٩٢٧م .

كما انه كان يراسل عدة مجلات وصحف علمية تعنى بالمشرقيات على اختلاف لغاتها .

كتب ماسنيون بالفرنسية بوجه عام ، ونشر بعض بحوثه وآرائه بلغات أخرى كالعربية والفارسية والانكليزية والألمانية ، إذ كان يحسن الكتابة بالكثير من هذه اللغات فضلاً عن معرفته لبعض اللغات القديمة كاللاتينية التي كان يتقنها كما قيل حق الاتقان ثم اليونانية ، وله المام بالتركية والسنسكريتية والعبرية .

وتمتاز بحوثه بالتعمق فهو لايكتفي بالنظر إلى الشؤون التي يعالجها نظرة سطحية ظاهرة بل يجوز الظواهر لينفذ إلى ماخفي منها ، ولا يقنع بالنقل بل يغوص بحكم نزعته الصوفية إلى بواطن الأمور وإلى ماكان مايسميه بالأصول ، وهكذا انفرد بطائفة غير قليلة من الآراء التي لم يسبقه أحدإليهاسواءفي الأمورالدينية والفلسفية وحتى اللغوية العربية.

خالف في آرائه الكثير من المستشرقين من معاصريه ومن قبلهم ، بإيمانه بأصالة الحضارة الاسلامية وأنها صنع مبادىء الاسلام وتعاليمه وأنه ساهم بوضع ركائزها مختلف الشعوب التي اهتدت بهدي الاسلام مع اقراره بسريان بعض التيارات العقائدية من هؤلاء إليها ، إلا أنها لم تقبل هذه على علاتها بل طبعتها الحضارة الاسلامية بطابع الدين الحنيف حتى أصبحت جزءاً منها . وهكذا أخذت هذه من غيرها بعض الشيء وأقل مما أخذ الغير عنها ، وهي في رأيه حضارة إنسانية بعيدة عن التعصب ، تقدر الانسان بانسانيته وتدعو إلى الإخاء والمحبة وتعتمد على اليقين والإيمان .

وكان له من سعة اطلاعه بما لايكاد يجارى به ، فالناظر فيما نشر مؤخراً من (محاضرات في تاريخ الاصطلاحات الفلسفية العربية)[٢٥] يرى فيها عملاً موسوعياً منقطع النظير ويستبعد أن يقدم على صنعه أمرؤ في ريعان الشباب (٢٩ سنة) وقبل سبعة عقود ونيف ، اذ لم يقتصر فيه على الاصطلاحات الفلسفية العربية (كما يفهم من عنوانه) قديمها وحديثها وما يقابلها باللغتين الفرنسية والانكليزية ، بل تجاوزها

إلى مصطلحات أخرى ، منها مايمت إليها بصلة (كالمنطق والأخلاق واللاهوت والسياسة والتاريخ من العلوم الانسانية) إلى جانب الكيمياء وعلم الحيوان والرياضيات والتشريح والفزيولوجيا حتى الفلك والموسيقى مع إيضاح وافٍ لكل مصطلح منها .

طُرح على بساط البحث سنة ١٩٤٤ في المؤتمر السنوي العاشر لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، بعد أن أحال إليه مجلس المجمع مشروعين اثنين يرميانِ إلى (تيسير الكتابة العربية لكي لايتعرَّض قارئها إلى اللحن والخطأ) يقوم أحدهما على إضافةٍ زائدة تلحق بالحرف العربي ، للدلالةِ على الضبط والشكل ، ويقوم الثاني على إحلال الحرف اللاتيني محلَّ العربي ، شأن ماصنعته تركية قبل عقدين من الزمن .

لم يلق المشروعان كلاهما التأييد من قبل المؤتمرين بالرغم من البحوث العميقة والبراهين الموردة بشأنها ، وكان في مقدمة المستنكرين لها ممثلا سورية الأستاذ محمد كرد علي والشيخ عبد القادر المغربي رحمها الله ، لما في الأول من تشويه للحرف العربي الجميل ، ولما ينجم عن المشروع الثاني من قطعِ الصلة بين حاضر الأمةِ العربية والإسلامية وبين ماضيها المجيد وكأنه بمثابة هدمٍ باليد لمجد العرب والمسلمين .

لم يشهد لويس ماسنيون هذا المؤتمر ، إلاَّ أنه كان في بادىء الأمر من أنصار الاعتماد على الحرف اللاتيني في الكتابة العربية ، ثم عدل عنه بآخرة مقدّراً الضرر المتوقع منه ، كما أنه استنكر تبديل صورة الحرف العربي الجميلة التي تطورت إليها الحروف العربية على كرِّ الأيام والسنين ومن قبل شعوبٍ إسلاميةٍ شتى. وحريٌّ بهذه الحروف أن تبقى مثلاً حياً للتراث العربي الإسلامي ، ناهيك بما لها من شأنٍ في الفن التشكيلي الإسلامي ونقوشه .

(للبحث صلة)

الحواشـــي

(١) ـ وهو ماااصطلح عليه المرحوم محمد كرد علي ، وأرى اللفظ مفضلاً على سواه لشموله شتى النواحي من شؤون بلاد الشرق .

(٢) ـ لم يكن شائعاً آنذاك تسجيل مايلقى من محاضرات . وأمكن في السنة الماضية طباعة ٤٠ محاضرة ألقاها ماسنيون سنة ١٩١٢ ـ ١٩١٣ في الجامعة المصرية القديمة نقلاً عما احتفظ بها أحد تلاميذه ، وسيأتي ذكرها فيما بعد .

(٣) ـ (Collège de France) إحدى مؤسسات التعليم العالي في العاصمة الفرنسية ، وتعد من أقدم مراكز التعليم في فرنسة ، يعود تأسيسها إلى عهد الملك فرنسوا (سنة ١٥٢٠) لذا عرفت أولاً بكوليج الملك ثم بالكوليج الملكي ، اقتصر التعليم فيها في بادىء الأمر على اللغتين اللاتينية واليونانية ، تبدل اسمها الى كوليج امبراطوري في عهد الإمبراطورية ثم الكوليج الوطني ، واستقر أخيراً على اسمها الحالي في القرن الماضي .

تتبع المؤسسة نظاماً فريداً من نوعه ، لاصلة لها بأية جامعة ، أبوابها مفتوحة لكل قاصد من طلاب الدراسة العليا ، يروم الاستزادة في دراسة إحدى النواحي الاختصاصية العلمية والتعمق فيها . لاقيد في الانتساب إليها ولا شرط ، ولا يتطلب أداء أي رسم ، كما أن المؤسسة لاتمنح أية درجة علمية ، وهي مرتبطة إدارياً بوزارة التربية الوطنية .

أما مهمتها ، ففي الاسهام اسهاماً عملياً في تقدم العلوم وجميع ضروب المعرفة ، ففيها تجرى البحوث والتجارب إعداداً للباحث على نوال إحدى الدرجات العلمية الرفيعة والشهادات العالية . عدد كراسي التدريس فيها ٥٠ ، يشرف على إدارتها مجلس أساتيذها ويكون التعيين لكرسي التدريس الشاغر ، بمرسوم جمهوري مبني على ترشيح مجلس الاساتذة ومعهد فرنسة (Institut de France) معاً .

والمؤسسة الأخيرة تعرف بالمؤسسة (institut) فقط وتضم المجامع الفرنسية الخمسة .

(٤) ـ وهو رحّالة عربي مسلم ، اسمه الأصلي الحسن بن محمد الوزان الزياتي أو الفاسي ، كما انه عرف بعد ذلك بيوحنا الأسد الغرناطي ، بقي ماكتبه عن بلاد الاسلام المرجع الوحيد في العالم ٤٠٠ سنة ، ولد في الاندلس (غرناطة سنة ٨٩١ هـ ١٤٨٥ وقيل ٩٠١ هـ ـ ١٤٩٥ م) درس وترعرع في مدينة فاس (المغرب ولذا اشتهر بالفاسي أيضاً) ، سافر وهو في ريعان الشباب إلى عدة بلدان افريقية وآسيوية بمهات بعضها تجاري وبعضها الآخر سياسي .وهكذا فقد رحل إلى شمال افريقية وإلى جنوب المغرب ووادي نهر النيجر ووادي اليل حتى أسوان ، وحج إلى بيت الله الحرام وحط عصا الترحال في استانبول إلا أنه بعد مغادرته اياها وقع في أسر قراصنة مسيحيين وهو في عرض بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط) استعبدوه وأرسلوه

إلى نابولي (٩٢٦ هـ ١٥٢٠ م) ثم إلى رومية ، ورأوا فيه من الثقافة والنجابة ماهو حرى بها ان يهدى إلى الحبر الاعظم في رومية.(البابا ليون العاشر) فعاش في كنفه زهاء عام ثم اعتقه بعد أن اقنعه بالتنصر ، تظاهر له الحسن بن محمد بالقبول ، فعمّد باسم يوحنا الأسد (Leone Geovani أو John Leo) ونال هذا المرتد عن دينه (ظاهراً) حظوة وذاع صيته في الأوساط العلمية والثقافية في عاصمة الكثلكة فكلف بتدريس اللغة العربية كما أنه تعلم اللاتينية والايطالية .

وللحسن بن محمد عدة مصنفات : منها المعجم العربي العبري اللاتيني (٩٣٠ هـ ٩٥٤ م) (من مخطوطات مكتبة اسكوريال ٥٩٨) ووصف افريقية (ترجمه المؤلف إلى الايطالية وترجم مؤخراً إلى الفرنسية سنة ١٨٩٦) وله رسالة عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية لمدينة فاس ونبذة عن شؤون الاسلام ، ولعل الرسالة الاخيرة هي التي كانت موضوع دراسة ماسنيون وبنى عليها مؤلفه المشار إليه . وكان مسك الختام له بأن استقر في تونس وشهر اسلامه ، وفيها توفي سنة (١٠٠٧ هـ ١٦٠٠ م) .

(٥) ـ (Maréchal Lyautey) من اساطين الاستعمار الفرنسي وعباقرته كما يدعونه ، قاتل من أجل دعم ركائز الاستعمار واحتلال البلاد في الجزائر والهند الصينية ومدغشقر ومراكش . ولعله أول من طبق بنجاح مبدأ فرّق تسد في مدغشقر عندما اطفأ جذوة نار الانتفاضة الشعبية بتقسيم الجزيرة إلى عدة مقاطعات منفصل بعضها عن بعض تماماً ، وهذه هي الطريقة ذاتها التي سلكتها فرنسة في بدء الانتداب إذ قسمت سورية إلى أربع دويلات .

شغل ليوتي منصب المقيم العام (Resident Général) بعد ماأعلنت فرنسة حمايتها على مراكش وبقي الآمر المطلق فيها زهاء ١٣ سنة .

وفي الصفحة ٩٣ من المجلد الثاني من مجلة مجمعنا صورة رسالة بعث بها المارشال ليوتي إلى الأستاذ محمد كرد علي مثنياً فيها على عمل المجمع ومهدياً إلى مكتبته بعض الكتب التي تعنى بشؤون مراكش .

(٦) ـ لناسك الصحراء هذا قصة يحسن التنويه بها : فهو الأب شارل دوفوكول (Le Père Charles de Foucauld) ولد في ستراسبورغ سنة ١٩٥٣ ، انخرط في بادىء الأمر في خيالة الجيش الفرنسي قاتل في الجزائر سنة ١٨٣١ ثم استقال من الجيش وأقام في مدينة الجزائر حتى ١٨٨٣ ، وتعلم خلال هذا المدة اللغتين العربية والعبرية وغادر الجزائر متجهاً إلى المغرب بعد أن تزيّا بزي رجل يهودي عادي ، تجول في أنحاء البلاد من أقصاها إلى أقصاها مستطلعاً شؤون أهلها ومرافق البلاد وتضاريسها مدوناً بكل دقة حال السكان وغير ذلك من الأمور التي لم يكن يعرف عنها إذ ذاك شيء في ديار الغرب ، وألف كتاباً باسم استطلاع مراكش (Reconnaissence du Maroc) طبع سنة ١٨٨٨ في باريز وأصبح مرجعاً رئيسياً لكل ماَيتعلق

بهذا البلد الاسلامي المجهول أمره تماماً ، مما نبه الانظار إليه وكان الباعث الأول الداعي إلى استعماره ، وقد كوفىء المؤلف بوسام رفيع .

وبعد أن كان ملحداً أو بحكم الملحد اهتدى إلى الكثلكة على يد أحد القساوسة ، فسافر إلى فلسطين بعد أن ارتدى الزي الكهنوتي قابعاً في احد الأديرة ثم قفل هذا القسيس راجعا إلى الجزائر ، وانزوى في إحدى قرى الصحراء المركزية آخذاً على عاتقه التبشير وداعياً إلى تنصير المسلمين من عرب وبربر ، قتل في الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٦ من قبل الثوار .

له عدة مصنفات نشرت في جامعة الجزائر وهو المؤسس لاخوة قلب اليسوع وإخواته في باريز ويعد في طليعة المبشرين الفرنسيين .

(٧) ـ وهو المعروف بـ (Ignaz Goldziher) ويكتب بالعربية (إجناس كولد تصهير كما جاء في رسالة نشرتها مجلة الزهراء م ١ ص ٣٢٣ مرسلة إلى الشيخ طاهر الجزائري في دمشق ٣١٧ هـ ومنهم من يرسم اسمه باغناس غولد صِهر أو غولد تسيهر) ، مستعرب مجري زار دمشق سنة ١٢٩٠ / هـ (١٨٧٣ م) وتعرف على الشيخ طاهر الجزائري وتعدد التراسل بينهما . درس في الأزهر (١٨٧٣ ـ ١٨٧٤) وكان يرتدي رداء طلاب الأزهر . وهو الذي رآه أحمد زكي باشا وهو يدرس طلابه تفسير القرآن الكريم في بودابست ، فقال يهودي يدرس المسيحيين الديانة الاسلامية .

(٨) ـ وهي المعروفة بالمدرسة الخاصة باللغات الشرقية الحية (Ecole spéciale des langues orientales) تأسست في باريز سنة ١٨٦٩ مدة الدراسة فيها ٣ سنوات .

(٩) ـ ويعرف بـ (Institut Français d' Archéoeogie Orientale du Caire) تأسس في القاهرة سنة ١٨٩٧ من قبل البعثة الفرنسية للآثار التي بدأت عملها سنة ١٨٨٠ للتنقيب عن الآثار المصرية .

(١٠) ـ آل الالوسي من الأسر الشهيرة وذات الوجاهة في العراق ، فالسيد محمود شكري بن عبد الله الآلوسي عالم ديني جليل ومؤرخ وأديب كبير ، كان من دعاة الاصلاح إبان الحكم العثماني ، ناله بعض الاضطهاد في عهد السلطان عبد الحميد الثاني إثر وشاية من حاسديه ، فقبع في داره منصرفاً للتدريس طوال الحكم البريطاني في العراق ، له عدة مصنفات ، منها بلوغ الأرب في أحوال العرب بثلاثة أجزاء وأخبار بغداد وما جاورها في أربعة أجزاء وغيرهما (و : ١٢٧٢ هـ ١٨٥٧ م ت : ١٣٤٢ هـ ـ ة ١٩٢٤ م) .

أما السيد علي الآلوسي فهو ابن عم السيد محمود شكري من مشاهير القضاة انتخب نائباً عن بغداد (مجلس المبعوثان) في العهد العثماني (و : ١٢٧٧ هـ ١٨٦١ م ت : ١٣٤٠ هـ ـ ١٩٢١ م)

وتأثير الآلوسيين في لويس ماسنيون كان كبيراً إذ تلقى عنها حقيقة الاسلام

واتجه إثر ذلك نحو البحث في النواحي الروحية والروحانيات وما إليها .

وان المطلع على بعض رسائله التي ارسلها إلى السيد محمود شكري الآلوسي لايشك بأنه أصبح يدعى الاسلام اعتقاداً وعملاً . وفيما يلي ماجاء في خاتمة إحدى هذه الرسائل التي اطلعت عليها في كتاب (المستشرقون وترجمة القرآن) للدكتور محمد صالح البنداق : تمسكت منذ سنين بتقوى الله واداء فرائضه ؟ وبورع وحلاله وحرامه ونويت الاخلاص لله تعالى في جميع أعمالي وقمت القيامة فة راجياً من غفرانه الواسع كل عفو ورحمة .

هذا فتقبلوا أخلص احترامي وأطيب سلامي وأشد دعائي عند خالقنا السميع البصير وهو على كل شيء قدير . **من الفقير إليه سبحانه**

يوم الأربعاء ٢٥ تموز ١٩٢٣ يوم عرفات ١٣٤١ عبده محمد ماسنيون

(١١) - وهو الحسين بن منصور صوفي متفلسف فارسي الأصلي ، نشأ في مدينة واسط في العراق وانتقل إلى البصرة واستقر في بغداد ، كان غريب الأطوار يظهر بمظهر متصوفة زمانه في تقشفه باللباس والمأكل وفي خَلْط الكلام (وهو مايسمونه الشَطْح) وفي اقباله على بعض الأشياء ثم الانصراف إلى نقيضها . ذهب في زعمه إلى وحدة الوجود وإلى حلول الإلهية فيه ، موقظاً الفتنة بين أتباعه وبين منكري مادعاه ، فكثرت الوشايات بشأنه إلى المقتدر الخليفة العباسي . فأمر بالقبض عليه وبسجنه وتعذيبه ثم حوكم ، وحُكم عليه بالموت فقتل سنة ٣٠٩ هـ ٩٢٢ م .

لم تتفق الكلمة بشأن الحلاج في عصره ولا فيما تلاه من عصور . فمنهم من اعتبره زنديقاً كافراً ومنهم من عدّه من أولياء الله الصالحين وهو ماذهب إليه لويس ماسنيون .

وفي رسالة إلى الأستاذ جمال الدين القاسمي بدمشق وبتاريخ ٨ آذار ١٩١٢ يعدد ماسنيون أسماء علماء المسلمين الذين كانوا في جانب الحلاج ومن كان ضده ، جاء فيها مايلي : (نقلا عن كتاب الشيخ جمال الدين القاسمي تأليف ظافر القاسمي)

إلى حضرة العالم العلامة عين من أعيان (كذا) علماء الشام الشيخ جمال الدين القاسمي الأفخم .

عليكم سلام الله تعالى ورحمته وبركاته .

أما بعد فقد جاءنا من بغداد كتاب إجازة لارسالنا هذا الكتاب الآتي إلى حضرتكم الاجازة من استاذنا المحترم السيد محمود شكري الآلوسي ، هو صاحب كفالتنا وأبو عذر مراسلتنا ، بتحضيره لكم سعايات (كذا) الفقير في تأريخ الاسلام .

ولذلك رتبت في فكري أن أكتب إليكم كتاباً استشاراً (كذا) استفتاء مستشهداً في بعض مباحثنا الحلاجية .

لما أردت أن أجمع أولاً الفتاوى المستفتى من علماء الاسلام في قضيته وحكمه باجماع الأمة وقد رتبتها في ثلاث طبقات :قبول (أي اعتذار أو ترحُّم) توقف . رد (أي تكفير)

وهنا أسامي العلماء الذين قبلوه بفتوى : الباقلاني (المالكي) - ابن عقيل (الحنبلي - وتاب عن ذلك) - الغزالي (الشافعي) - يوسف الهمذاني (الشافعي) ابن عربي (الظاهري) - عز الدين المقدسي (الشافعي) - الشعراني - عبد الرحيم (الحنفي) - النابلسي (الحنفي) -

وهنا اسامي العلماء الذين توقفهم مشهور : ابن سريج (الشافعي) - ابن بهلول (الحنفي) - القشيري (الشافعي) - الكيلاني (الحنبلي) - عيسى الرهوي الجعفري (الشافعي) - ابن حجر العسقلاني (الشافعي) - ابن حجر الهيثمي السويدي (الحنفي) .

وهنا أسامي العلماء الذين نسبوه إلى الكفر : الجُبَّائي (الحنفي) - ابن داود (الظاهري) - ابن شيبان (الشافعي) . أبو عمر الأزدى (المالكي) - ابن حزم (الظاهري) - الجويني (الشافعي) - أبو بكر الخطيب (الحنبلي) - أبو جعفر (الحنبلي) - عيَّاض السبتي (المالكي) - ابن الجوزي (الحنبلي) - أبو حيَّان (الظاهري) ابن تيمية - الذهبي (الشافعي) - ابن خلدون (المالكي) - العكري (الحنبلي) .

ولما كنت رتبتها استبحثت حلائلها بالتدقيق ، وما وجدت أحد (كذا) أقوى وأشد السطوة على الحلاج بالبراهين العقلية والنقلية من شيخ الاسلام ابن تيمية ، ولذلك اقتبست من جواباته في الحلاج متون (كذا) كثيرة منها :

١ - كتاب إلى المنجي (بحث في الكلمة« أنا الحق »)
٢ - فتوى رد فيها على ترحم الحلاج (قدر صحيفتين وطبع في جلاء العينين ص ٥٣)
٣ - شرح العقيدة الاصفهانية الواسطة (جملتين على سحر الحلاج)
٤ - كتاب مايقول السادة العلماء (رضع) - أي رضي الله عنهم - في الحلاج الحسين بن منصور هل كان صديقاً أو زنديقاً ... الخ (قدره ستة عشر صحيفة (كذا) مذكور فيها حالات شيطانية)
٥ - سؤال إلى شيخ الاسلام ... في كراس وحد وهو مجموع جكم من مذهب الحريرية (الدمشقية) وفيه استشهاد بأبيات للحلاج - ورد عليها شيخ الاسلام بالتدقيق (قدره مئة صفحة)

أما للنمروين (كذا) ٤ و ٥ فاستنسخهما باسعاد السيد محمد صادق المالح الدمشقي النسّاخ عند كتبخانة (كذا) الظاهرية ، وجدها في جزء من أجزاء « الكواكب الدرية »

ولكن لعلنا ماوقعنا إلى اليوم على أدق تأليف ألف شيخ الاسلام ابن تيمية في المسألة الحلاجية ، لاننا سمعنا أخيراً أن أستاذنا العالم السيد محمود شكري الآلوسي أن لابن تيمية كتاب خاص (كذا) رد فيه رداً منفصلاً على الحلاج ، وأن (كذا) يوجد منه نسخة محفوظة إلى الآن في كتبخانة من كتبخانات (كذا) دمشق وهي « دار الحديث » - وأظنها (تلك الدار الحديث) هي المدرسة الأشرفية المعروفة بدار الحديث النووية ، التي درسوا (كذا) فيها أبو شامة والنووى والسبكي ، وقد جددها في سنة ١٢٧٤ الأمير عبد القادر الجزائري (ارجع إلى« تحفة الزائر » لابنه عبد المالك ج ٢ ص ٧٥ - ٨١) .

ونلتمس من لطفكم أن تخبرونا عن هذه النسخة المحفوظة عند « الدار الحديث النووية » أي : هي مطوّلة أو مقصّرة (لعلها المتن الذي قد سبق ذكره تحت النمرو (كذا) (٤) في هذا الجواب) وأن تفيدونا من علمكم المختبرة (كذا) لحكم الحلاج ، أي هو على اجماع الأمة الاسلامية .

هذا مع تقديم الاحترام والسلام إلى حضرتكم وآلكم وما يعزكم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

في ٨ آذار سنة ١٩١٢ **الفقير إليه سبحانه**

ملاحظة : نشرنا الرسالة على علاتها **(توقيع) : Louis Massignon**

وفيها مافيها من أخطاء وركاكة (ح. س.) **(ختم) : عبده لويز ماسنيون**

(١٢) وهو ما يطلق على جامعة باريز ، واسم أولى كلياتها (كلية اللاهوت) التي انشئت سنة نسبة إلى الراهب صربون

(١٣) - الشيخ طاهر بن محمد صالح السمعوني الجزائري ثم الدمشقي ولد في دمشق سنة ١٢٦٨ هـ ١٨٥٢ م وتوفي في دمشق ١٣٣٨ هـ ١٩٢٠ م مفكر اسلامي وعالم وبحاثة ومن دعاة الاصلاح ، إليه يعود الفضل في جمع ماتفرق من المخطوطات في جوامع دمشق ومدارسها وانشاء دار الكتب الظاهرية وكان من أزهد الناس في شؤون الدنيا ومظاهر الأبهة .

اتصل به لويس ماسنيون عند مروره بدمشق وربما التقى به في القاهرة أيضاً كما ان المستشرق اغناس غولد صهر كان ذا صلة به . وهو من الأعضاء المؤسسين للمجمع العلمي العربي .

(١٤) - الشيخ جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق ولد في دمشق سنة ١٢٨٣ هـ ١٨٦٦ م وتوفي فيها سنة ١٣٣٢ هـ ١٩١٤) من كبار السلفيين ومن دعاة الاصلاح له مؤلفات

كثيرة من أشهرها تفسير القرآن الكريم (محاسن التأويل) في ١٢ مجلداً ، وفي اثناء زيارة لويس ماسنيون لدمشق اطلعه الشيخ على مخطوطة كتاب (قاموس الصناعات الشامية لوالده الشيخ محمد سعيد القاسمي ، في جزءين (طبع هذا القاموس قبل سنوات) نسخ ماسنيون بخطه صفحة تشرح معنى (حلاج) وقد نشرت هذه الصفحة في كتيب طبعته اليونسكو عن حياة ماسنيون وجاء في أسفل الصفحة : من جملة كتب ابنه المرحوم الشيخ جمال الدين القاسمي بدمشق .

(١٥) - وهي الجامعة الأهلية (غير الأميرية) ، تأسست في القاهرة سنة ١٩٠٨ ينفق عليها كرام أثرياء القطر ويرعاها الأمير فؤاد (الملك فؤاد الأول فيما بعد) اقتصرت في الدروس في بادىء الأمر على مايماثل كلية الآداب ، استوفدت للتدريس فيها بعض المستشرقين بينهم لويس ماسنيون .

ومما هو جدير بالملاحظة ان ماسنيون ألقى محاضراته الأربعين بالعربية الفصحى وهو دون الثلاثين من العمر . بين تلاميذه آنذاك طه حسين ومنصور فهمي وعلي العناني وأحمد ضيف ممن أصبحوا في عداد رواد النهضة الفكرية المصرية .

اتيح لأحد تلاميذ لويس ماسنيون أن يدوّن ماأملاه الأستاذ المحاضر ، وصورت نسخته الأصلية واحتفظ المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة بصورة عنها ، وأتيح لماسنيون أن يراجعها ضابطاً المصطلح في اللغات الأجنبية المختلفة كما عُني بذكر المراجع الناقصة وبالتعريف بالاعلام في هوامشها . نشرت هذه المحاضرات من قبل المعهد العلمي الفرنسي المذكور في السنة الفائتة بتحقيق الدكتورة زينب محمود الخضيري وبتصدير بقلم الأستاذ الدكتور إبراهيم مدكور بمناسبة الاحتفال بمرور مائة عام على مولد ماسنيون .

عرفت هذه المحاضرات في بادىء الأمر بـ (محاضرات في تاريخ المذاهب الفلسفية بالجامعة المصرية) واختار لها ماسنيون بعد ذلك اسمها الجديد (محاضرات في تاريخ الاصطلاحات الفلسفية العربية) وكانت خطة ماسنيون في سردها هي ذكر المصطلح العربي - في حال وجوده ، ثم تطور معانيه لدى مختلف المذاهب الفلسفية الإسلامية ، ومن بعد الرجوع إلى الأصل اليوناني واتباع المنهج نفسه فيه،مع الحرص على ذكر المقابل الفرنسي والانكليزي وأحياناً الألماني واللاتيني . ويعمد ماسنيون إلى ترجمة المصطلح إلى العربية متى كان مستحدثاً .

وأُلحق بالمحاضرات ملحق مستمد من صورةٍ أخرى للمخطوطة اطلعتْ عليها المحققة الفاضلة ، بعد أن تمت طباعة جزءٍ غير قليل من المتن فاستدركت إثباته بعده وفي هذا الملحق بعض التصحيحات بخط يد ماسنيون .

(١٦) - هذه الجملة بين هلالين منقولة عن كلمة ترجم بها الأستاذ محمد كرد علي ،

ماسنيون عندما زار دمشق سنة ١٩٢٠ .

(١٧) ـ لم يعرف، كنه هذه المهمة ولا مراميها ، ولعلها ذات صلة بنشوب الثورة العربية الكبرى في الحجاز وما دار بشأنها من مفاوضات بين الشريف حسين وممثل انكلترة في مصر .

(١٨) ـ (Haut Commissaire Français en Syrie et en Cilicie) كيليكية مقاطعة تركية في جنوب الأناضول من آسية الصغرى تحدها سورية في الجنوب ، شغلها الفرنسيون من سنة ١٩١٩ الى سنة ١٩٢١ .

(١٩) ـ (Georges Picot) أحد طرفي الاتفاق المعروف باتفاق سايكس بيكو والذي تم سنة ١٩١٦ وبه قسمت أراضي الدولة العثمانية بمشاركة من روسية القيصرية . فكان نصيب انكلترة العراق وفلسطين ونصيب فرنسة سورية ولبنان والموصل . أحيط هذا الاتفاق آنئذ بالكتمان الشديد ولم يذع سره إلا بعد اندلاع الثورة البلشفيكية سنة ١٩١٧ فكان له وقع سيء في البلاد العربية التي وعدها الحلفاء بالاستقلال التام .

(٢٠) ـ(E . H . H . Allenby) مارشال انكليزي قاد الحملة العسكرية التي انطلقت من مصر إبان الحرب العالمية الأولى استولى على فلسطين ، ونقل عنه قوله عندما دخل بيت المقدس : هذه آخر الحروب الصليبية . وقد عناه أمير الشعراء بقوله :

يافاتح القدس خل السيف ناحية ليس الصليب حديداً كان بل خشباً

أما لورنس (T . E .Lawrence) فيكاد يكون صنو ماسنيون من عدة وجوه : فقد نشأ منقباً غن الآثار في فلسطين وسورية ، سنة ١٩٠٩ والتحق بالجيش البريطاني (١٩١٤ ـ ١٩١٩) اشترك اشتراكاً فعلياً وتنظيمياً في الثورة العربية الكبرى ، وكان الترجمان بين الأمير فيصل والجانب الانكليزي في مفاوضات لندن بعد الحرب العالمية الأولى ويقال تصرف في الترجمة بما تمليه عليه مصلحة بلاده ، إنه ندم أخيراً على ماسلف منه بعض الندم

(٢١) ـ فيصل بن الحسين بن علي شريف مكة قبل الثورة العربية الكبرى ، ولد في الطائف (١٣٠١ هـ ١٨٨٣ م) تولى قيادة الجيش العربي الشمالي في الثورة المذكورة ، ثم أصبح قائداً عاماً للجيش العربي في الشام ، دخل دمشق على رأس الخيالة سنة ١٩١٨ . ومثل والده (ملك الحجاز آنئذ) في مؤتمر الصلح في باريز سنة ١٩٢٠ ، نادى به المجلس الوطني السوري ملكاً على سورية (٨ آذار ١٩٢٠) غادر دمشق بعد معركة ميسلون (٢٤ تموز ١٩٢٠) واعتلى عرش العراق سنة ١٩٢١ ، توفي في سويسرة (١٩٣٣) .

(٢٢) ـ هذا مانقلته نشرة اليونسكو في ترجمة لويس ماسنيون ، وجاء فيها خطأ (الملك فيصل) مع انه لم يعتل عرش الا في ٨ / ٣ / ١٩٢٠ .

(٢٣) ـ نشر الأب مبارك فهرساً لمنوعات لويس ماسنيون (Mélanges Louis Massignon) ذاكراً فيه مانشره هذا المستعرب سنة بعد سنة بدءاً من ١٩٠٦ وحتى ١٩٥٥ . ويلاحظ فيه انقطاع النشر بعد ١٩١٤ ليعاوده سنة ١٩٢٠ و الفهرس من مطبوعات المعهد الفرنسي بدمشق .

(٢٤) ـ وهو الاسم الذي عرف به مجمع اللغة العربية الحالي في القاهرة عند تأسيسه . ثم سمي مجمع فؤاد الأول للغة العربية . نص مرسوم تأسيسه سنة ١٩٣٣ على أن عدد أعضائه ٢٠ نصفهم (١٠) من المصريين والنصف الآخر (٥) من الأقطار العربية و (٥) من الأجانب وكان ماسنيون أحدهم .

(٢٥) ـ وهي آخر ماطبع من آثار ماسنيون (١٩٨٣) نشرها المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة سبقت الاشارة إليها (الصفحة ٤٤٩)



ذات ليلة وهو يقول : سبحان جبار السماوات والأرض ، إن المحب لفي عناء . فقال عتبة : صدقت والله . قال : فغشي عليه .

(٢١٣) حدثني إبراهيم حدثني محمد بن الحسين ثنا عصمة بن سليمان ثنا مسلم بن عرفجة العنبري قال : سمعت عنبسة الخواص يقول : كان عتبة يزورني فربما بات عندي . قال : فبات عندي ليلة فبكى من السحر بكاء شديداً . فلما أصبح قلت له : لقد مزَّعت* قلبي الليلة ببكائك ، فمم ذلك يا أخي ؟ قال : يا عنبسة ، إني والله ذكرت يوم العرض على الله عزوجل . ثم مال ليسقط فاحتضنته . فجعلت أنظر إلى عينيه تتقلبان

كتاب المحبة لله سبحانه

تأليف أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد الختلي

تحقيق عبد الكريم زهور عدي   مراجعة أحمد راتب النفاخ

(القسم الرابع)

(٢١٠) حدثني إبراهيم حدثني محمد بن الحسين ثنا معاذ أبو عون حدثني أبو عمار التار عن الحسن بن أبي جعفر قال : سمعت عتبة الغلام يقول : من عرف الله تعالى أحبه ، ومن أحب الله أطاعه ، ومن [أ]طاع الله أكرمه ، ومن أكرمه الله أسكنه في جواره ، ومن أسكنه في جواره فواطوباه واطوباه واطوباه واطوباه . قال : فلم يزل يقول واطوباه واطوباه حتى خرّ ساقطاً مغشياً عليه .

(٢١١) حدثني إبراهيم حدثني محمد بن الحسين حدثني سجف بن منظور حدثني سليم النحيف قال : رقبت عتبة ذات ليلة بساحل البحر ، فما زاد ليلته تلك حتى أصبح على هذه الكلمات : إن تعذبني فإني لك محبّ وإن ترحمني فإني لك محب . قال : فلم يزل يرددها ويبكي حتى طلع الفجر .

(٢١٢) حدثني إبراهيم حدثني عبد الله بن عون الأصم ثنا أبو حفص البصري قال : كان خليلان☆ جاراً لعتبة / الغلام . قال : فسمعه عتبة   ٨٦ و

☆ في الأصل : خليلان وتحته ح خليلا ـ وقد ورد الخبر في مطبوعة الحلية على نحوٍ آخر ـ انظر التعليق .

ذات ليلة وهو يقول : سبحان جبار السماوات والأرض ، إن المحب لفي عناء . فقال عتبة : صدقت والله . قال : فغشي عليه .

(٢١٣) حدثني إبراهيم حدثني محمد بن الحسين ثنا عصمة بن سليمان ثنا مسلم بن عرفجة العنبري قال : سمعت عنبسة الخواص يقول : كان عتبة يزورني فربما بات عندي . قال : فبات عندي ليلة فبكى من السحر بكاء شديداً . فلما أصبح قلت له : لقد مزَّعت☆ قلبي الليلة ببكائك ، فمم ذلك يا أخي ؟ قال : يا عنبسة ، إني والله ذكرت يوم العرض على الله عزوجل . ثم مال ليسقط فاحتضنته . فجعلت أنظر إلى عينيه تتقلبان قد اشتد حمرتها . ثم أزبد وجعل يخور ، فناديته : عتبة عتبة حبيبي . قال : فمكث ملياً لا يجيبني . ثم هدأ ، فناديته : عتبة عتبة . فأجابني بصوت خفي : قطع ذكر يوم العرض على الله تعالى أوصال المحبين له . قال : ثم جعل يحشرج البكاء ويردده حشرجة الموت ، ويقول : أتراك مولاي تعذب محبيك وأنت الحي الكريم ؟ قال : فلم يزل☆☆ يرددها حتى والله أبكاني .

(٢١٤) حدثني إبراهيم حدثني عبد الله بن محمد عن محمد بن الحسين☆☆☆ [عن] ابن عبيد حدثني حكيم بن جعفر حدثني عبد الله بن أبي نوح قال : صحبنا فتى من أهل البصرة في بعض المغازي فقلت له : أتعرف عتبة الغلام ؟ قال : نعم ، كان أخي وصديقي . قال : قلت : فحدثني ببعض أمره . قال : ما أحدثك :

☆ وفي الحلية : فزعت .

☆☆ « يزل » مثبتة في الهامش ، وقبلها في الهامش « يتوان » .

☆☆☆ يبدو لي أن زيادة « عن » ضرورية ، وأن ابن عبيد هو الهيثم بن عبيد الصيد ، انظر التعليق .

ألف الحب للإلّـه صغيراً ثم ما زال للإلّـه مطيعا
همه النصح للإلّـه ويخشى كلما عاش دينه أن يضيعا

قال : ثم جعل يصف لي من حاله وأخلاقه . قال : فجعل والله يبكي وأبكى معه .

(٢١٥) حدثني إبراهيم ثنا إبراهيم بن ناصح ثنا غوث بن جابر بن غيلان بن منبه الصنعاني حدثني عقيل بن معقل عن وهب بن منبه قال : من كان يحب الله حباً صادقاً به فإنه يكرم حبيبه كرامة بينة ، ومن لم يتبع رضوان الله فقد هان عليه غضب الله تعالى ، ومن هان عليه غضب الله تعالى فلم يرد كرامة الله . فلا تسل عن حب العبد لله إلا كرامة الله ، ولا تسل عن كرامة العبد لله إلا اتباعه رضوان الله فيما أحب وكره . /

٨٦ ظ

(٢١٦) حدثني إبراهيم حدثني إسحاق بن إبراهيم قال : سمعت سفيان بن عيينة يقول : من أحب الله تعالى أحب من يحب الله .

(٢١٧) قال : حدثني حميد بن الربيع ثنا زيد بن الحباب حدثني عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن أبيه عن مكحول قال : من أحب رجلاً صالحاً فإنما يحب الله تعالى .

(٢١٨) حدثني إبراهيم حدثني محمد بن هارون ثنا عبد القدوس بن الحجاج الحمصي ثنا صفوان بن عمرو عن يزيد بن ميسرة قال : جادل إبليس ربه عزوجل : يارب ، ألا ترى إلى عبادك كيف يحبونك وكيف يبغضوني وكيف يعصونك ويطيعوني ؟ وكذلك ابن آدم يحب الحسنة ويفر منها ويكره الخطيئة ويقع فيها . قال : وضرب لذلك مثلاً ، كمثل

رجل غرق في حمأة منتنة إلى حلقه وبين عينيه روضة خضراء ، يقول للروضة واهاً ماأشهاها وأطيبها ، ولا يحب أن يفارق حمأته التي هو فيها .

(٢١٩) قال إبراهيم : يقال : من آثر محبة الله على محبة نفسه فقد تعلق بعروة الرضا . وإن من صفة الراضي أن لايكره ما دبر الله في خلقه ، وإن علامة الراضي ترك الشغل بذكر الأسباب .

(٢٢٠) حدثني إبراهيم حدثني محمد بن إدريس بن المنذر الرازي حدثني يوسف بن يعقوب الصفار ثنا عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي روّاد حدثني أبي عن طاوس قال : إن من الناس من تجري محبة الله على لسانه ، فإن عجب من شيء ذكر الله ، وإن فزع من شيء ذكره تعالى ، فتحفظ ملائكة الله عليه خيراً . وإن من الناس من تجري اللعنة على لسانه ، فإن عجب من شيء لعن ، وإن فزع من شيء لعن ، فيكون فزعه وعجبه إلى اللعنة ، فتحفظ ملائكة الله عليه شراً .

(٢٢١) حدثني إبراهيم حدثني هشام بن عمار ثنا صدقة بن خالد ثنا خالد بن يزيد المري عن هشام بن الغاز قال : شيع أبا الدرداء حين خرج من حمص إلى دمشق ثلاثة نفر من بني سليم . فقال لأحدهم حين اراد أن يفارقهم : أما أنت يا جرير فاذكر الله في السراء يذكرك في الضراء ، وإذا عددت الموتى فأتمهم بنفسك ، وإياك ودعوة المظلوم . وأما أنت يا أبا سلامة فاستحي الله في السر استحياءك الناس في العلانية ، وارع نفسك رعية راعٍ لا يغفل ، وداو من نفسك ماالله أعلم به . وأما أنت يابا نعيم فأحب الله حتى تلقاه فإن الله تعالى جاعلك / حيث

٨٧ و

تحب ، واذكر الله بالخير وذر الشر فإن الله تعالى جاعلك في الخير منها ، وإذا عملت عشر حسنات فاعددهن بحسنة☆ .

(٢٢٢) حدثني إبراهيم حدثني محمد بن الحسين حدثني الصلت بن حكيم حدثني قثم العابد قال : اجتمع أربعة من العباد كلهم يسلك سبيل المحبة ، فقال أحدهم : المحب لله مجد في الاتصال بحبيبه لا ينفك من [إ☆☆] طاعته ، الإطاعة أعلى من [الـ☆☆] طاعة وأقرب من المحبة . وقال الآخر : المحب ذو نصب وكلال لا يداخله مع محبة الله في ذلك سآمة ولا ملال . وقال الآخر : المحب ذو كلف بالاشتياق إلى حبيبه ، قد قطعه الشوق إليه ، إلا عن سبيل التوكل عليه ، عن جميع ما أخرج للدنيا من الزينة والزبرج ، ليس للمحب من نفسه إلا الشوق والفكر . [وقال الآخر] : نفت محبته تبارك اسمه عن جميع جوارح المحبين له الاشتغال بمحبة غيره ، فقلوبهم طائرة وهمومهم غائرة إلا عن محبته وطول الذكر له حتى يدركوا بغيتهم . قال : ثم بكى قثم قال : يا أخي ، ما رأيت للمحب فرحاً ولا سروراً ولا فترة دون لقاء حبيبه.

(٢٢٣) حدثني إبراهيم حدثني إسماعيل بن محمد بن ماهان حدثني أبو علي الجرجاني بعين زربة، وأثنى عليه خيراً ، قال : قالت رقية العابدة : قدمت علينا شعوانة وزوجها مكة ، فجعلا يطوفان ويصليان ، فإذا كلّ

☆ في هامش المخطوطة مكتوب : قال في الأصل عند أبي الحسين : عشر سيئات فاحددهن .

☆☆ زدنا هذه الحروف إذ بدا لنا كأن في النص تمييزاً بين الطاعة مصدر طاع والإطاعة مصدر أطاع ، فكأن الأولى بمعنى الانقياد دون فكر وإرادة والثانية بمعنى الموافقة مع الفكر والإرادة . وإن لهذا التمييز أساساً في اللغة : جاء في اللسان : « وفي التهذيب : وقد طاع له يطوع إذا انقاد له ... فإذا مضى لأمره فقد أطاعه .. » .

أو أعيا جلس وجلست خلفه . فيقول في جلوسه : أنا العطشان في حبك لا أروى .وتقول هي بكلامها بالفارسية : ياسيدي أنبت لكل داء دواء في الجبال ، ودواء المحبين في الجبال لم تنبت .

(٢٢٤) قال إبراهيم : قال بعضهم : إن الناظرين إلى الله لا إلى غيره ذهبوا بصفوة الدنيا والآخرة . فمن أراد سبب الدخول في محبة الله فلا تكن له ثقة إلا [بـ] الله ولا غناء إلا به ولا يأمل غيره ولا يرجو إلا هو☆ ، وأن يتخذه وكيلاً في جميع أموره ، راضيا بقضائه ، يتنقل فيما يتنقل فيه من أمر ربه ، موقناً باختيار الله له ونظره له ، فهو مسلم راضٍ غير مختار ولا متخير . فورث الله قلوبهم محبته وشوقهم إليه ، ورضاهم بما يكفيهم من الدنيا وإن قل ، وعلق قلوبهم بذكره . ولما أحسنوا بالله الظن ورث قلوبهم محبته ، وأخرج مطامع الخلق من قلوبهم ، وجعلهم أولي الألباب . ثم ألهمهم علماً من علمه ، عرفهم به ما لم يكونوا يعرفون ، وعلمهم ما لم يكونوا يعلمون . فعن الله أخذوا علمهم ، بالله تأدبوا وطهرت أخلاقهم . لما آثروا الله ولجؤوا إليه تمت عليهم منه نعمة الدنيا ونعمة الآخرة . فهم المحبوبون في السماوات قبل الأرض / المعروفون فيها المذكورون فيها بمن الله عليهم . ٨ ظ

(٢٢٥) حدثني إبراهيم ثنا حفص بن عمر الحوضي ثنا شعبة بن الحجاج عن سماك بن حرب عن عياض الأشعري قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾ ، قال رسول الله ﷺ هم قوم هذا ، يعني أبا موسى الأشعري .

☆ كذا في الأصل .

(٢٢٦) حدثني إبراهيم حدثني يحي بن بكير ثنا عبد الله بن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن علي بن رباح قال : قال رسول الله ﷺ : أنكحوا الأشعريين فإنهم في الناس كصرر المسك .

(٢٢٧) حدثني إبراهيم حدثني يحي بن سليمان الجعفي ثنا حفص بن غياث ثنا الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾ ، قال : أهل القادسية : مذحج وكندة وهمدان ومن كان من أصحابهم .

(٢٢٨) حدثني إبراهيم ثنا أحمد بن يونس ثنا السري بن يحي قال : سمعت الحسن قرأ هذه الآية : ﴿ ياأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾ ، قال : هو والله أبو بكر رضي الله عنه وأصحابه .

(٢٢٩) حدثني إبراهيم ثنا يونس بن عبد الأعلى أنا عبد الله بن وهب حدثني عبد الله بن عياش عن أبي صخر عن محمد بن كعب القرظي أن عمر بن عبد العزيز أرسل إليه يوماً ، وعمر والي المدينة يومئذ ، فقال : ياأبا حمزة ، آية أسهرتني البارحة . قال محمد : وما هي أيها الأمير ؟ قال : قول الله تعالى : ﴿ يا آيها الذيم آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾ إلى قوله ﴿ لومة لائم ﴾ . قال محمد : إنما عنى الله تعالى : ﴿ ياآيها الذين آمنوا ﴾ الولاة من قريش ﴿ من يرتد منكم عن دينه ﴾ عن الحق ﴿ فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾ وهم أهل اليمن . قال عمر : يا ليتني وإياك منهم . قال : آمين .

(٢٣٠) حدثني إبراهيم حدثني يحي بن عبد الحميد ثنا معتمر بن سليمان حدثني أبو عمرو مولى بني مخزوم عن قيس بن سعد عن مجاهد : ﴿ فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾ قال : هم أهل اليمن لما يأتوا بعد .

٨٨ و

(٢٣١) حدثني إبراهيم حدثني / يحي بن عبد الحميد ثنا عبد الله بن إدريس عن ليث عن مجاهد ﴿ يحبهم ويحبونه ﴾ قال : قوم من سبأ .

(٢٣٢) حدثني إبراهيم حدثني محمد بن الحسين حدثني الصلت بن حكيم ثنا أبو زيد البحراني قال : دخلت على عابد بالبحرين وإذا هو مكبوب لوجهه يبكي وهو يقول : وعزتك يا حبيبي لقد أذاب قلبي الشوق إلى النظر إلى وجهك الكريم . قال : فأبكاني والله . قال : فلم يلبث بعد هذا إلا أياماً حتى مات . فرأت امرأة من أهله كأنها دخلت الجنة وقد زخرفت . فقالت : لمن زخرفت الجنة ؟ قالوا لولي من أولياء الرحمن قدم البارحة من الدنيا . قالت : فخرج علي وفي يده كوب ياقوت . قالت : فلما رأيته بهت . قال : لم تراعي ، إنما هي الجنة للمليك يتحف من أحب من عباده . قالت : قلت : بم نلت هذه المنزلة من الله ؟ قال : بمحبته وإيثار محبة الله عزوجل .

(٢٣٣) حدثني إبراهيم حدثني عبيد الله بن محمد النيسابوري الوراق ثنا الوليد أبو العباس العابد ثنا الحسن بن السكن عن داود بن أبي هند عن عامر قال : أوحى الله تعالى إلى داود في الزبور : ياداود ، إني برحمتي أبحت الاستغفار لجميع خلقي إلا لإبليس وحده فإنه تمرد علي وعصاني فلعنته ، ومن حرمته الاستغفار فهو ملعون في الدنيا والآخرة . قال داود : إلهي ما أقدرك ! تكرم من شئت وتهين من شئت . قال : يا

داود ، إني ملك الملوك أفلا أمن عليك ؟ قال : بلى يارب . قال : إذا أردت أن أكرمك كرامة الدنيا والآخرة فلا تنظر إلى عبد من عبيدي تظن أن لك عليه فضلاً ، ولا تمقت أهل دينك على الظن ، وكن للفقراء محدثاً وجليساً وأنيساً . وإن أردت أن لا أحجب دعاءك وأن أكون أقرب إليك من أم داود في حال الرضا ، فقال داود : إلٓهي أو لست من جميع خلقك قريباً ؟ قال : بلى أنا مع جميع خلقي ، ولكن إذا أحببت عبداً من عبيدي ملأت قلبه خوفاً مني وشوقاً إلى لقائي وحرصاً على طاعتي حتى كأنه ينظر إلي / ، فأنا حينئذٍ أقرب إليه من أم داود في حال الرضا . وإذا كانت لك حاجة أردت نجحها وتيسيرها فابدأ بي أيسرها لك ، تأتيك من حيث لاتعلم نائماً ومستيقظاً ، وإن بدأت بغيري أتاك الهم والحزن . قال : فقال داود : إلٓهي فاعطف قلبي على شعب من محابك . قال : يا داود ، إني جعلت قوة طاعتي ومحبة ذكري عند من لم ينسني بلسانه وقلبه ، ومن هو يستغفرني صباحاً ومساءً . ياداود ، إياك والإصرار فإني لا أقيل عثرة المصرين في الدنيا والآخرة ، ولاشيء أعظم عندي من إصرار نبي أو عالم . فقال داود : إلٓهي امح اسمي من أسماء الأنبياء والعلماء .

٨٨ ظ

(٢٣٤) حدثني إبراهيم حدثني إسحاق بن إبراهيم القاري قال : قال حكيم من حكماء بني تميم : إن هم الأبرار متصلة بمحبة الرحمن ، وقلوبهم تنظر إلى مواضع العز من الآخرة بنور أبصارهم ، فأهواؤهم بها متعلقة وأنفسهم إليها متطلعة وأعينهم نحوها طامحة . قد جلا رجاؤهم إياها عنهم كل كربة وهوّن عليهم كلّ شدّة . تخبرهم دواعي الخير من أنفسهم أن لا راحة لهم دون الخروج منها . سكنت مشاوق الجنة قلوبهم ومخاوف النار أجوافهم ، فأهملوا لذلك العيون وأغضوا عن الدنيا لذلك الجفون ، وسمَوْا

بالقربة إلى معالي العزّ يطلبونه ويدأبون إلى الله فيه . وكان يقول : من لم تنفعه المواعظ كان التقى أضرّ عليه . وعند التراخي عن شكر النعم تحل النقم . أما رأيت من بات صحيحاً ثم أصبح بأنواع البلاء متلوثاً ؟ أو ما دعاك إلى خدمته حسن بلائه عندك ؟ وكان يقول : المواعظ مشاف☆ ، ولن يتشاغل الخلق بمثل النصيحة لله عزوجل .

(٢٣٥) حدثني إبراهيم حدثني إسحاق بن إبراهيم الثقفي ثنا رياح القيسي قال : بينا أنا أكلم رابعة بضرب من المواعظ إذ جاءتني ابنة لي فقبلتها ، فصرخت بي رابعة فقالت : ويلك يا رياح ، أما تستحي من الله عزوجل أن يراك في هذا المقام وفي قلبك موضع حبّ لغيره ؟

٨٩ و (٢٣٦) حدثني / إبراهيم حدثني محمد بن الحسين ثنا أبو معمر عبد الله بن عمرو قال : نظرت رابعة إلى رياح القيسي وهو يقبل صبياً ، فقالت : أتحبه ؟ قال : نعم . قالت : ما كنت أحسبك أن في قلبك موضعاً فارغاً لمحبة غيره تبارك اسمه . قال : فصرخ رياح وسقط مغشياً عليه . ثم أفاق وهو يمسح العرق عن وجهه وهو يقول : رحمة منه تعالى ألقاها في قلوب العباد للأطفال .

(٢٣٧) قال إبراهيم : أنشدني نصر بن جابر القاري من قول بعض البصريين :

كل محبوب سوى الله سرفْ وهموم وغموم وأسفْ
كل محبوب فمنه خلفْ ما خلا الرحمن ما منه خلفْ
إن للحبّ دلالاتٍ إذا ظهرتْ من صاحب الحبّ عُرِفْ
صاحب الحبّ حزينٌ قلبُه دائم الغصّة مهمومٌ دَنِف

☆ في الأصل : مشافي .

همُّـــــــه في الله لا في غيره ... ذاهـلُ العقـل وبـاالله كَلِفْ
أشعثُ الرأس خميصٌ بطنُـــه ... أصفرُ الوجه [و] للدّمع ذَرِفْ
دائمُ التـذكيرِ من حبّ الـذي ... حبُّه غـايـةُ غـايـاتِ الشَّرَفْ
فـإذا أمعن في الـذكر لـه ... وعليـه ☆ بسـوادِ ٱلتحف
بـاشر المحراب يشكـو بثـه ... وأمـــام الله مـولاه وقف
قـائم قـدامـه منتصبـاً ... لهجاً يلهو☆☆ بـآيات الصحف
راكعـاً طـوراً وطـوراً سـاجـداً ... باكياً والـدمع في الأرض يَكِف
أورد القلب على البحر الـذي ... فيـه حب الله حقـاً فغرف
ثم جـالت كفُّـه في شجر ... يُنْبِتُ الحُبَّ فسمّى واقتطف
إن ذا الحب لمن بعنـا لـه ... لا لـدار ذات حسن وطرف
لا ولا الفردوس لا بعنـا لـه ... لا ولا للحـور من فـوق غرف

(٢٣٨) حـدثني إبراهيم حـدثني إسحـاق بن إبراهيم قـال : أصـاب الفضيل بن عيـاض عسر البول ، فقـال : يـارب بحبي إيـاك لمّـا سهلتـه . قال : فبال على المكان .

قـال إبراهيم : قـال لي إسحـاق بن إبراهيم : والمعنى في هـذا أن فضيل☆☆☆ رحمه الله قد علم أن حب الله راسخ في قلبـه قـد غلب على كل شيء ، وقد علم أن الله عز ذكره وتبارك اسمه قد علم ذلك منـه ، فـدعـاه وقد غلب على قلبه حسن الظن بربه في الإجابة .

☆ هنا في الأصل كلمة لم نستطع قراءتها .
☆☆ كذا في الأصل .
☆☆☆ كذا في الأصل ، والخطأ واضح .

(٢٣٩) حدثني إبراهيم ثنا يحيي بن بكير حدثني عبد الله بن لهيعة عن أبي يونس سليم بن جبير مولى أبي هريرة قال : سمعت أبا هريرة يحدث عن النبي ﷺ أنه قال : قال الله عزوجل : أنا عند ظن عبدي بي : إن ظن خيراً فخيراً وإن ظن شراً فله .

(٢٤٠) حدثني إبراهيم ثنا ميمون بن زيد البصري ثنا يونس بن عبيد قال : قال الحسن : والله مانزلوا إلا على قدر ظنونهم بالله . قال : وتلا هذه الآية : ﴿ إني ظننت أني ملاقٍ حسابيه ، فهو في عيشة راضية ﴾ . وقرأ الآية الأخرى : ﴿ وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم ﴾ .

(٢٤١) حدثني إبراهيم حدثني يعقوب بن كعب الحلبي قال : سمعت / يوسف بن أسباط يقول : سمعت سفيان يقول : ﴿ وأحسنوا إن الله يحب المحسنين ﴾ ، قال : أحسنوا بالله الظن .

٨٩ ظ

(٢٤٢) حدثني إبراهيم حدثني موسى بن إسماعيل ثنا حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن قال : ﴿ إني ظننت أني ملاقٍ حسابيه ﴾ قال : إن المؤمن أحسن بربه الظن فأحسن العمل ، وإن المنافق أساء بربه الظن فأساء العمل .

(٢٤٣) حدثني إبراهيم ثنا محمد بن حميد الرازي ثنا مهران بن أبي عمر عن سفيان عن جابر عن مجاهد : ﴿ إني ظننت أني ملاقٍ حسابيه ﴾ ، قال : كل ظن في القرآن : إني ظننت : إني علمت . قال : ما كان من ظن للآخرة فهو علم .

(٢٤٤) حدثني إبراهيم ثنا إسماعيل بن إبراهيم بن بسام البلخي ثنا

بقية بن الوليد حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم حدثني الهيثم بن مالك الطائي قال : كان رسول الله ﷺ يدعو بهؤلاء الدعوات : اللهم اجعل حبك أحب الأشياء إليّ ، واقطع عنا حاجات الدنيا بالشوق إلى لقائك ، وإذا قرت أعين أهل الدنيا بدنياهم فأقرّ عيني بعبادتك .

(٢٤٥) حدثني إبراهيم حدثني عمرو بن محمد بن عبد الحكم النسائي ثنا أحمد بن أبي الحواري عن محمد بن يوسف الفيريابي في قوله : ﴿ سأصرف عن آياتي ﴾ ، قال أمنع قلوبهم من التفكر في أمري .

(٢٤٦) حدثنا إبراهيم حدثني الحسن بن سعيد الجرجاني قال : سمعت أبا مريم الصلت بن حكيم يقول : كانت امرأة في بني إسرائيل تتعبد ، وكانت تفطر كل سبت . فبينا هي ذات يوم قد وضعت إفطارها بين يديها جعلت تقول : محب يحب حبيبه يتشاغل بالأكل عن خدمة حبيبه ، يوشك أن يقدم عليه رسول حبه وهو متشاغل بأكله عن خدمته ، فلا تقر عينه في لقائه . فمكثت بذلك سبعين سبتاً لا تفطر . ثم وضعت إفطارها بين يديها ، وجعلت تقول مثلما كانت تقول . فإذا بشاب ناحية البيت جميل الوجه طيب الريح يقول لها : السلام عليك يا حبيبة الله أو ياولية الله . قالت : وعليك السلام ، من أنت ؟ قال : أنا ملك الموت . قالت : يا ملك الموت ، أتأذن لي أن أسجد سجدة أناجي فيها ربي عزوجل ، فإذا رأيتني / قد فعلت ذلك قبضت روحي ؟ قال : لك ذلك . قال : فنحت إفطارها ثم وثبت . فقبض روحها في اجتهادها ذلك .

٩٠ و

(٢٤٧) قال إبراهيم : حدثني محمد بن الحسين قال : سألت بعض العلماء فقلت : صف لي شيئاً من أخلاق المحبين لله تعالى وكيف مقامهم

في الدنيا . فقال : اعلم يا أخي أن المحبين[☆] لله فوق الخائف ، على أن المحب لله لم يزل على ظهر الخوف لله مقدار ذرة فما دونها . والمحب لايُسقى كأس المحبة إلا من بعد أن ينضح قلبه من كأس الخوف . وإنما خوف النار عند خوف الفوت بمنزلة نقطة نقطت في بحر لجي . ولا أعلم شيئاً أحمد للقلوب من خوف الغرق . فمن أحب الله عزوجل فقد غرق في بحر الحزن حتى وصل إلى قرار الكمد . فالمحب لله لا تعظم عنده جنة ولا نار ، لأنه ليس شيء أعظم من الله تعالى .

قال : وينبغي لمن تكلم في المحبة أن يُرى عليه أثر بغض الدنيا ، لأنه محال أن يجتمع في القلب حب الله وحب الدنيا . فمن أحب الله لم ينظر إلى ما ناله من الدنيا ، ولا يكون له حاجة إلى غير من أحب .

قال : وسمعت بعض أهلعلم يقول : لا ينكسر حزن عاشق أبداً حتى يظفر ، والمحب يتحرى أن لا يكون له حاجة إلى غير من يحب .

وقال بعض أصحابنا : لاينكسر[☆☆] حزن محب ، وهو أخوف من العاشق ، إنما يزيد العشق للحزن .

وقال : قل لمن أظهر حب الله تعالى : احذر أن تذل لغير الله تعالى .

وقال : لو أهمنا الحياء من الله سبحانه ما ذكرنا المحبة وقد سكرنا من كأس الدنيا .

☆ كذا في الأصل ، والوجه : « المحب » .

☆☆ النص في المخطوطة مضطرب جداً . وأثبتنا ههنا ما هو أقرب للمكتوب وأكثر انسجاماً مع ما يكتنفه من أقوال .

قال : إن من علامة المحب لله إيثار الله تعالى والإياس من غير الله . ومن علامة المحب الرضا بحكم الله . ومن علامة المحب لله أن لا يكون له حاجة إلى غير الله . ومن علامة المحب لله دوام الذكر بالقلب واللسان لله ، وقلما ولع المرء بذكر الله إلا أفاد منه حب الله . ومن علامة المحبة ترك كل ما يشغل عن الله تعالى حتى يكون الشغل بالله وحده .

٩٠ ظ قال : ومن دلائل أهل المحبة / أن لا يتأنسوا بسوى الله تعالى ولا يستوحشوا مع الله تعالى ، لأن حب الله إذا سكن القلب أشرق بالأنس .

وقال : إذا سقي كأس الحب لله ارتحلت الدنيا من قلبه وسكن القلب هيبة الآخرة .

وقال : من أحب الله للعطية فهو جاهل بالله ، وذلك إنما يحب المخلوق للقطيعة وتعالى عن ذلك الخالق . والعالم بالله لا يحب الله لمعروف ، لأن المعروف صفة من صفات الخلق والله أجل في صدور العالمين به أن يحبوه لغيره .

وقال : من أحب الله بصدق من قلبه لم يعظم في قلبه شيء سوى الله تعالى .

وقال : لو أدخل الله المحب النار وعذبه بأشد العذاب ما نقص من محبته الله شيء بل يزداد حباً لله ، إذ كان ما عذبه به من حقه عليه ، ولو عذبه بعذاب لو عذب به النار لكانت النار حقيرة ذليلة فكان ذلك من حق الله عليه وعلى النار . فلما علم المحب أن ذلك لله رأى أن الفضل لله عليه وعلى الخلق كلهم أجمعين ، فازداد لله حباً وعلى الخدمة له حرصاً .

وقال : من أحب الله بالصدق فهو يستقل كل نعيم دون الله . ولا لذة أعظم في صدر المحب لله من ساعة يذكر فيها مقعد صدق عند مليك مقتدر .

(٢٤٨) حدثني إبراهيم حدثني محمد بن منصور بن داود الطوسي ثنا عبدالله بن عيسى البصري عن أبيه عن مسمع بن عاصم عن ثور بن يزيد الشامي قال : نظر الله تعالى إلى داود عليه السلام ، فإذا هو وحداني منتبذ . فقال : مالك وحداني☆ ؟ قال : عاديت الخلق فيك . قال : أو ماعلمت من محبتي أن تعطف على عبادي وتأخذ عليهم بالفضل ، هنالك أكتبك من أوليائي ياداود ومن أحبائي ؟ فإذا كنت كذلك كتبتك في ديوان أهل المحبة وكنت مني وكنت منك ، أجيبك من غير أن تسألني ، وأباهي بك حملة عرشي ، أرفع الحجب بيني / وبينك : تنظر إلي ببصر قلبك ، لا أحجبك مادمت متمسكاً بطاعتي وكنت مني وكنت منك . ولا تنظر إلى عبادي نظرة جفاء ولا قسوة فأهلكهم ، فإذا أنت قد بطل أجرك . احفظ عني كلمات : ثلاث خصال : **خالص● حبيبي مخالصة ، وخالط أهل الدنيا مخالقة ، ودينك قلدنيه لا تقلد دينك** الرجال : أما ما استبان لك مما وافق محبتي فتمسك به ، وما أشكل عليك قلدينه ، **حقاً علي أن ألي سياستك وتقويمك ، وأن أكون قائدك ودليلك ، ألبيك من غير مسألة ، أعينك في الشدائد . فإني قد جعلت على نفسي أن لا أثيب عبداً من عبادي إلا عبداً قد عرفت من طلبته وإرادته وإلقاء كنفه بين يدي أنه لا غنى به عني . فإذا كنت كذلك نزعت الذل والوحشة من قلبك .**

٩١ و

☆ كذا في الأصل . والصحيح : مالك وحدانياً ؟

● ما طبع بالأسود يتفق مع ما أورده الغزالي في الإحياء مع اختلافات قليلة .

ولذلك علم سلني عنه . **أسكن الغنى قلبك** فتكون في الدنيا غنياً حينئذٍ عرفت حالك . لا تطمئن إلى معرفتك بنفسك ، **فإني قد جعلت على نفسي : لا يطمئن رجل إلى معرفته بنفسه إلا وكلته إليها . أضف الأشياء إلي** فإني أنا مننت بها عليك . أقرّ لي بالعبودية أبيحك☆ ثواب العبودية ، وما ثواب العبودية [إلا] محبتي . **تواضع لمن تعلّمه ولا تطاول المريدين**☆☆ أحمال الأقوياء . عبدي ، أنا مننت عليهم الضعفاء المساكين المريدين . **فلو يعلم أهل محبتي ما منزلة المريدين عندي لكانوا للمريدين أرضاً يمشون عليها** وللحسوا أقدامهم . ان **تخرج على منك**☆☆☆ **عبداً من عبيدي حتى تستنقذه من سكرة ما هو فيه أسميك**○ **جهبذاً ، ومن كان جهبذاً لم تكن به فاقة ولا وحشة إلى أحد من خلقي** . ياداود تمسك بكلامي أن لا أهلكك مع الهالكين ، **فدونك فخذ من نفسك لنفسك لا تُؤتَيَنَّ / منها** ٩١ ظ **أحجب محبتي عنك** إلا أن□ تحجبها . احفظ وصيتي **ولاتوئس عبادي من رحمتي** .

(٢٤٩) حدثني إبراهيم حدثني إبراهيم بن إسحاق بن داود بن صبيح البلحي ثنا الحسن بن الربيع ثنا عمرو بن أزهر ثنا أبو عبد الرحمن الدمشقي عن عطاء عن عائشة قالت في هذه الآية ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ ، قالت : على البر والتقوى والتواضع وذل النفس .

☆ كذا في الأصل .

☆☆ في الإحياء : ولاتتطاول على المريدين .

☆☆☆ في الإحياء : ياداود لأن تخرج مريداً من سكرة هو فيها تستنقذه ..

○ كذا في الأصل .

□ لا وجود لهذه الجملة في الإحياء ، وهي هنا لا معنى لها .

(٢٥٠) قال إبراهيم : يقال : المنازل التي يعمل فيها أهل الصدق ثلاث منازل : منزلة الخوف ، ومنزلة الشوق إلى نعيم الجنة ، والمنزلة الثالثة شوق العبد إلى ربه تعالى وما يغلب على قلبه☆ وحبه وذكره ، فلا يكون لهم☆☆ همّ غيره والفكرة في أمره ، لما يذوق في ذلك من اللذة والحلاوة ، ومع ما يرث من التعظيم لله والعلم به . .

(٢٥١) قال إبراهيم : وأنشدني رجل في الحب :

ذكر حبي الإلّه ربي تعالى   إن ذا الحب للإلّه رفيع
همه ذكر من أحب إذا ما   جنه الليل للمنام مضيع
جانب الفرش☆☆☆ أيضاً   سابل الدمع للإلّه مطيع
قائم الليل لا يفيق بكاءً   ناحل الجسم والفؤاد خليع
رب زده عبادة وخشوعاً   ياإلهي وسيدي يا بديع
فلك الحمد يا جزيل العطايا   ولك الشكر والدعا والضريع

(٢٥٢) حدثني إبراهيم حدثني علي بن عيسى حدثني محمد بن الحسين ثنا محمد بن عبد العزيز بن سلمان قال : سمعت أبي يقول : كان حسان بن أبي سنان إذا بلغه شيء من المعاصي انتفض حتى يسقط . قال : ثم يقول : أتعصى بفنون من المعاصي وتنعم بفنون من النعم ؟ لا يفوتك أحد بطول هربه ، ولا يعجزك عبد بقوته ، أنت القادر القاهر فوق عباده . قال : وكان يقول : بمحبتك التي مننت بها عليهم ، فبها نالوا من طاعتك ما يرجون به رضوانك . / وكان يقول : أهل الدنيا فيها على   ٩٢ و

☆ أظن أن « من » أنسب من « و » .

☆☆ الأولى أن تكون « له » .

☆☆☆ ههنا في الأصل كلمة هذا رسمها : والكسه .

رحيل لا هم مقيمون فيطمئنوا ولا هم مستعدون ليرتحلوا .

(٢٥٣) قال إبراهيم : يقال : مهر المحبة فطام النفس من حب الشهوات ، وإيثار حب الله على محبتك لنفسك .

(٢٥٤) حدثني إبراهيم حدثني حرملة بن يحيى أننا عبد الله بن وهب حدثني معاوية بن صالح عن أبي الزاهرية قال : قال داود عليه السلام : اللهم اجعلني من أحبائك ، فإنك إذا أحببت عبداً غفرت ذنبه وإن كان عظيماً ، وقبلت عمله وإن كان يسيراً .

(٢٥٥) حدثني إبراهيم حدثني إبراهيم بن عبد الله بن حاتم أننا حجاج بن محمد عن ابن جريج عن مجاهد : ﴿ فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾ ناس من أهل اليمن .

(٢٥٦) حدثني إبراهيم حدثني عمرو بن أيوب أبو حفص النسائي حدثني منصور بن محمد البلخي قال : سمعت أحمد بن مخلد الخراساني يقول : قال الله تبارك وتعالى : ألا قد طال شوق الأبرار إلى لقائي ، وإني إليهم لأشد شوقاً ، وما شوق المشتاقين إليّ إلا بفضل شوقي إليهم . ألا ومن طلبني وجدني ، ومن طلب غيري لم يجدني . ومنذا الذي أقبل إلي فلم أقبل إليه ؟ ومنذا الذي توكل علي فلم أكفه ؟ ومنذا الذي دعاني فلم أجبه ؟ ومنذا الذي سألني فلم أعطه ؟ .

(٢٥٧) حدثني إبراهيم ثنا أبو حفص عمرو بن محمد بن الحكم النسائي حدثني أحمد بن أبي الحواري قال : دخلت على أبي سليمان الداراني يوماً وهو يبكي فقلت له : ما يبكيك ؟ فقال لي : ياأحمد ، إنه إذا جن الليل على المحبين افترشوا أقدامهم ودموعهم تجري على خدودهم ،

وقد أشرف الجليل عليهم فنادى : يا جبريل بعيني من تلذذ بكلامي واستراح إلى مناجاتي ، وإني لمطلع عليهم : أسمع حنينهم☆ وأرى بكاءهم ، فنادِ فيهم يا جبريل : ما هذا الجزع الذي أراه فيكم ؟ هل أخبركم عني مخبر : أن حبيباً يعذب أحباءه بالنار ؟ أم هل يجمل☆☆ بي أن أبيت أقواماً وعند البيات أجدهم لي وقوفاً فإذا جنهم الليل تملقوني ؟ فبي حلفت لأجعلن هديتي إياهم☆☆☆ لو قد وردوا علي القيامة / أن أكشف لهم عن وجهي الكريم أنظر إليهم وينظرون إلي .

٩٢ ظ

(٢٥٨) حدثني إبراهيم ثنا عمرو بن محمد أيضاً ثنا أحمد بن أبي الحواري ثنا زكريا قال : قال أبو عبيدة الخواص : واشوقاه إلى من يراني ولا أراه !

(٢٥٩) حدثني إبراهيم ثنا عمرو بن محمد بن عبد الحكم ثنا أحمد بن أبي الحواري ثنا إبراهيم بن خالد بنان عن أبي بكر المحلمي قال : نمت في سجودي ، فرأيته في منامي ، فسمعته يقول : ملائكتي انظروا إلى عبدي : بدنه في طاعتي وروحه عندي . قال : فانتبهت فقلت : أنت قرة عيني في نومي وقرة عيني في يقظتي .

(٢٦٠) حدثني إبراهيم نبأني (إبراهيم○ بن) عمرو بن محمد ثنا أحمد بن أبي الحواري ثنا محمود عمن أخبره قال : رأيت بالبصرة رجلاً كثير

☆ في الحلية : أنينهم .

☆☆ في الحلية : أو كيف يمكن أن أبيت قوماً تملقوا لي وقوفاً على أقدامهم وعند البيات أخزوهم ؟

☆☆☆ في الحلية : إليهم .

○ أظن أن « إبراهيم بن » مقحمة .

الدؤوب قليل الطعام جيد البدن ، فقلت له : أراك كثير الدؤوب قليل الطعام جيد البدن ؟ قال : ذلك من فرحي بحب الله تعالى ، إذا ذكرت أنه ربي وأني عبده لم يمتنع بدني أن يصلح .

(٢٦١) حدثني إبراهيم حدثني عمرو بن محمد حدثني عبد الله بن خُبَيق قال : سمعت أبا عبد الله اليماني يقول : من أراد أن يشرب كأساً من حب الله تعالى فليدع شهوة لا تضره .

(٢٦٢) حدثني إبراهيم قال : وحدثني عمرو بن محمد حدثني عبد الله بن خبيق حدثني عبد الله بن عبد الرحمن قال : قال إبليس : يارب خلقت خلقاً يحبونك ويبغضوني وهم في ذلك يعصونك ويطيعوني . فقال تعالى : قد شكرتهم بحبهم إياي وغفرت لهم ببغضهم لك .

(٢٦٣) حدثني إبراهيم حدثني صالح بن عمران ثنا أحمد بن غسان قال : سمعت أحمد بن عطاء يقول : يحنون لله حنين الواله ، ويشتاقون إليه شوق من لا صبر لهم عنه ، ينادونه بأصوات محزونة من قلوب محترقة قد أنضجها الحزن وقلقلها الحذر . وربما قال : يارب ، بلغنا مبلغ من انقطع قلبه إليك فهو مشغول بك عمن سواك ، ليس له طلب في جميع الدارين غيرك ، ولا يريد غيرك ولا تطيب النفس إلا بك . والله إنهم يسمعون بذكرك ممن / ليس هو أهل لذكرك فتكاد أنفسهم تخرج فرحاً من شدة شوقهم إليك . يا قرة عين العابدين اسق قلوبنا بكأس ميراث حبك الذي سقيت به أهل مصافاتك وأهل مخالطتك ، والطف لنا بكمال الانقطاع إليك ، وقرر في قلوبنا كمال معرفتك التي يدرك بها حبك ، واجعل مزيدك من فضلك إلينا واصلاً ، واجعلنا قابلين لمزيدك ، وأخرج من قلوبنا كل ما عدل بنا عنك وباعدنا منك ، وصفنا

٩٣ و

من كل داخل كدّر علينا مصافاتك ، وأعنا بكل معونة نبلغ بها رضا نفسك .

(٢٦٤) قال إبراهيم : قال وهب بن منبه : إن لله عباداً قالوا : لا نعبده خوفاً ولا رجاءً ولكن نعبده حباً ، فإن الحب يخرج من قلوبنا ما لايخرج الخوف والرجاء .

آخر الجزء . وصلى الله على محمد خاتم النبيين وعلى آله أجمعين . وكتب في ذي الحجة سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة . .



التعليقات

(٢١٠) **السند**

محمد بن الحسين . (٤) (٤٣)

معاذ أبو عون .

أبو عمار التمار . قال عبد الرحمن بن أبي حاتم : أبو عمار مولى لقوم بالمدينة . سمع عبد الله بن هداج . روى عنه إبراهيم بن المنذر . سمعت أبي يقول ذلك . الجرح والتعديل ٤ / ٢ / ٤١٣

الحسن بن أبي جعفر الجُفري أبو سعيد البصري (ـ ١٦١) . روى عن نافع وثابت . قال البخاري : منكر الحديث . وقال ابن عدي . هو عندي ممن لا يتعمد الكذب وهو صدوق وهو يروي الغرائب . التهذيب ٢ / ٢٦٠ ـ الخلاصة ٧٧

عتبة الغلام . (١٦٧)

القول

ذكره أبو نعيم في الحلية ٦ / ٢٣٦

(٢١١) **السند**

محمد بن الحسين . (٤) (٤٣)

سجف بن منظور . (١٩٠)

سليم النحيف .

عتبة . (١٦٧)

القول

ذكره أبو نعيم في الحلية ٦ / ٢٣٤

ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة ٣ / ٣٧١

(٢١٢) **السند**

عبد الله بن عون الأصم الهلالي أبو محمد البغدادي الخراز (ـ ٢٣٢) . روى

عن مالك وإبراهيم بن سعد ، وعنه مسلم والنسائي وابن أبي الدنيا . وثقه صالح بن محمد . التهذيب ٥ / ٢٤٩ ـ الخلاصة ٢٠٩

أبو حفص البصري . روى عن أبي رافع ، وعنه السري بن يحي . مجهول . التهذيب ١٢ / ٧٦ ـ الخلاصة ٤٤٨

عتبة . (١٦٧)

القول

ذكره أبو نعيم في الحلية ٦ / ٢٣٦ على النحو التالي : « .. كان خليل لي جاراً لعتبة ، قال : فسمع عتبة ذات ليلة وهو يقول : سبحان جبار السماوات ، إن المحب لفي عناء ، فقال : يا عتبة ، صدقت والله ، قال : فغشي عليه » .

(٢١٣) السند

محمد بن الحسين . (٤) (٤٣)

عصمة بن سليمان الخزاز كوفي سكن بغداد . روى عن الثوري وزهير بن معاوية وحماد بن زيد . روى عنه أبو حاتم ، وسأله عنه ابنه عبد الرحمن فقال : ما كان به بأس . الجرح والتعديل ٣ / ٢ / ٢١

مسلم بن عرفجة العنبري

عنبسة الخواص

عتبة (١٦٧)

القول

ذكره أبو نعيم في الحلية ٦ / ٢٣٥

ذكر ابن الجوزي في صفة الصفوة ٣ / ٣٧٢

(٢١٤) السند

عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا القرشي الأموي مولاهم (ـ ٢٨١) . روى عن أبي عبيد القاسم بن سلام والدورقي والبخاري وأبي داود وخلق . وروى عنه ابن ماجه وإبراهيم بن الجنيد وهو من أقرانه وابن أبي حاتم وجماعة . قال أبو حاتم : صدوق . وقال

إبراهيم الحربي : رحم الله ابن أبي الدنيا كنا نمضي إلى عفان نسمع منه فنرى ابن الدنيا جالساً مع محمد بن الحسين البرجلاني يكتب عنه ويدع عفان . التهذيب ٦ / ١٣ ـ تاريخ بغداد ١٠ / ٨٩

محمد بن الحسين . (٤)

الهيثم بن عبيد الصيد . روى عن أبيه . روى عنه يحيى بن معين . الجرح والتعديل ٤ / ٢ / ٨٤ . وجاء في الجرح والتعديل ٣ / ٢ / ٢٢٩ في ترجمة محمد بن الحسين البرجلاني : « .. روى عن الهيثم بن عبيد الصيد .. » .

حكيم بن جعفر . (١٣٤)

عبد الله بن أبي نوح . (١٤١)

(٢١٥) السند

إبراهيم بن ناصح

غوث بن جابر . (١٠)

عقيل بن معقل . (١٠)

وهب بن منبه . (١٠)

(٢١٦) السند

إسحاق بن إبراهيم . (٩٩)

سفيان بن عيينة . (٦٧)

القول

ذكر نحوه الغزالي في الإحياء ٤ / ٣٣٢ ، قال : « وقال سفيان من أحب من يحب الله تعالى فإنما أحب الله ، ومن أكرم من يكرم الله تعالى فإنما يكرمَ الله . »

(٢١٧) السند

حميد بن الربيع (١٩)

زيد بن الحباب (١٩)

عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان أبو عبد الله الدمشقي الزاهد (ـ ١٦٥) .

روى عن خالد بن معدان . وعنه بقية والوليد بن مسلم . قال أحمد : لم يكن بالقوي . وقال دحيم : ثقة يرمى بالقدر . وقال النسائي : ضعيف . وأنكروا عليه أحاديث يرويها عن أبيه عن مكحول . التهذيب ٦ / ١٥١

ثابت بن ثوبان العنسي الشامي . روى عن ابن المسيب ومكحول ، وعنه ابنه عبد الرحمن والأوزاعي . وثقه ابن معين وأبو حاتم . التهذيب ٢ / ٤ ـ الخلاصة ٥٦

مكحول أبو عبد الله وقيل أبو أيوب وقيل أبو مسلم الدمشقي الفقيه (ـ ١١٢ وقيل ١١٣ وقيل ١١٦) . أرسل عن النبي ﷺ وعدة من الصحابة ، وعن طائفة من قدماء التابعين كأبي مسلم الخولاني ومسروق ومالك بن يخامر ، وحدث عن أبي أمامة وأنس وابن المسيب وأم الدرداء وطاوس وأبي إدريس الخولاني وسواهم . وحدث عنه الزهري وربيعة الرأي وثابت بن ثوبان وخلق . قال أبو حاتم : مابالشام أحد أفقه من مكحول . الطبقات ٧ / ٤٥٣ ـ التذكرة ١ / ١٠٧ ـ السير ٥ / ١٥٥ ـ التهذيب ١٠ / ٢٧٩ ـ الخلاصة ٣٨٦ ـ الحلية ٥ / ١٧٧ ـ الوفيات ٥ / ٢٨٠

القول

ذكره أبو نعيم في الحلية ٥ / ١٨٠

(٢١٨) **السند**

محمد بن هارون بن إبراهيم الربعي أبوجعفر البزار البغدادي المعروف بأبي نشيط (ـ ٢٥٨) . وثقه الدارقطني . الخلاصة ٣٦٢ ـ التهذيب ٩ / ٤٩٣

عبد القدوس بن الحجاج الحمصي أبو المغيرة الخولاني مسند حمص (ـ ٢١٢) حدث عن صفوان بن عمرو وعبدة بنت خالد بن معدان وعبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان وعبد الرحمن المسعودي وغيرهم . وحدث عنه ابن حنبل وابن معين وسلمة بن شبيب وآخرون . قال العجلي : ثقة ، وقال أبو حاتم : صدوق . التذكرة ١ / ٣٨٦ ـ السير ١٠ / ٢٢٣ ـ التهذيب ٦ / ٣٦٩ ـ الخلاصة ٢٤٢ ـ الشذرات ٢ / ٢٨

صفوان بن عمرو . (١٠٠)

يزيد بن ميسرة بن حلبس أبو حلبس الدمشقي . روى عن أم الدرداء عن أبي الدرداء وعن أبي إدريس الخولاني ، وروى عنه معاوية بن صالح . الجرح والتعديل ٤ / ٢ / ٢٨٨ ـ الحلية ٥ / ٢٣٤

(٢٢٠) **السند**

محمد بن إدريس بن المنذر الرازي الحنظلي مولاهم أبو حاتم الرازي (ـ ٢٧٧) روى عن الأصمعي وأحمد وابن معين وبندار وغير أبي زرعة من أقرانه وخلق . وروى عنه أبو داود والنسائي وابن ماجه . قال الخطيب : كان أحد الأئمة الحفاظ الأثبات ، وكان أبو زرعة على جلالته يقر له بالحفظ . الخلاصة ٣٢٦ ـ التهذيب ٩ / ٣١

يوسف بن يعقوب الصفار مولى الهاشميين أو الأمويين الكوفي (ـ ٢٣١) . روى عن أبي بكر بن عياش وابن علية ، وعنه البخاري ومسلم . وثقه أبو حاتم . الخلاصة ٤٤٠ ـ التهذيب ١١ / ٤٣٢

عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد . مولى المهلب ، شيخ الحرم (٢٠٦) . روى عن ابن جريج بكتبه وعن أبيه ومعمر بن راشد وجماعة ، وعنه ابن حنبل والزبير ابن بكار وخلق . وكان من المرجئة ومع هذا وثقه أحمد وابن معين . الطبقات ٥ / ٥٠٠ ـ التهذيب ٦ / ٣٨١ ـ الخلاصة ٢٤٣

عبد العزيز بن أبي رواد . مولى المهلب ، شيخ الحرم (ـ ١٥٩) . أحد الأئمة العباد . حدث عن سالم بن عبد الله والضحاك وعكرمة ونافع وجماعة ، وليس بالكثير الحديث . وحدث عنه ابنه وحسين الجعفي ويحيى القطان وعبد الرزاق وابن المبارك ، وقال : كان من أعبد الناس . قال ابن حنبل : كان مرجئاً رجلاً صالحاً وليس هو في التثبت كغيره . وقال أبو حاتم : صدوق . السير ٧ / ١٨٤ ـ التهذيب ٦ / ٢٣٩ ـ الخلاصة ٢٣٩ ـ الحلية ٨ / ١٩١

طاوس بن كيسان أبو عبد الرحمن الفارمي اليمني (ـ ١٠٦) . سمع من زيد بن ثابت وعائشة وأبي هريرة ، ولازم ابن العباس مدة وهو معدود من كبار أصحابه ، وروى عن جابر وابن عمر وابن عمرو وسراقة وعن معاذ مرسلاً وطائفة . روى عنه عطاء ومجاهد وابنه عبد الله وابن شهاب وسليمان التيمي وعمرو بن دينار وابن أبي نجيح وخلق . قال ابن حبان : كان من عباد أهل اليمن ومن سادات التابعين مستجاب الدعوة حج أربعين حجة . التذكرة ١ / ٩٠ ـ السير ٥ / ٣٨ ـ التهذيب ٥ / ٨ الخلاصة ١٨١ ـ الحلية ٤ / ٣ ـ الوفيات ٢ / ٥٠٩ ـ الشذرات ١ / ١٣٣

(٢٢١) **السند**

هشام بن عمار . (١٥٦)

صدقة بن خالد . (١٣١)

خالد بن يزيد المري أبو هاشم الدمشقي قاضي البلقاء (- ١٠٦ أو ١٠٧) . حدث عن يونس بن ميسرة ، وعنه ابنه عراك والوليد بن مسلم . وثقه أبو حاتم . التهذيب ٣ / ١٢٦ - الخلاصة ١٠٣

هشام بن الغاز بن ربيعة أبو العباس الجرشي . روى عن عطاء ومكحول ونافع ، وروى عنه ابن المبارك ووكيع والوليد بن مسلم وعبد الله بن يزيد الدمشقي . رُوي عن ابن حنبل قال : صالح الحديث ، وعن يحي قال : هشام بن الغاز ثقة . الجرح والتعديل ٤ / ٢ / ٦٧

أبو الدرداء . (٧٥)

(٢٢٢) السند

محمد بن الحسين . (٤)

الصلت بن حكيم . (٣٥)

قثم العابد

(٢٢٣) السند

إسماعيل بن محمد بن ماهان . (١٧)

أبو علي الجرجاني

رقية العابدة الموصلية . صفة الصفوة ٤ / ١٩٠

شعوانة . (١٨)

القول

ذكره السراج عن إبراهيم بن عبد الملك في مصارع العشاق ١ / ٢٧٦

(٢٢٥) السند

حفص بن عمر الحوضي . (١٤)

شعبة بن الحجاج بن الورد أبو بسطام الأزدي العتكي مولاهم الواسطي عالم أهل البصرة وشيخها (- ١٦٠) . حدث عن سعيد المقبري وقتادة وعمرو بن دينار وأيوب

السختياني ومنصور بن المعتمر وخلق كثير . كان من أوعية العلم لا يتقدمه أحد في الحديث في زمانه ، وهو من نظراء الأوزاعي ومعمر والثوري في الكثرة . قال ابن المديني : له نحو ألفي حديث . روى عنه عالم عظيم وانتشر حديثه في الآفاق . الطبقات ٧ / ٢٨٠ ـ تاريخ بغداد ٩ / ٢٥٥ ـ التذكرة ١ / ١٩٣ ـ السير ٧ / ٢٠٢ ـ التهذيب ٤ / ٣٣٨ ـ الخلاصة ١٦٦ ـ الحلية ٧ / ١٤٤ ـ الوفيات ٢ / ٤٦٩ ـ الشذرات ١ / ٢٤٧

سماك بن حرب أبو المغيرة الذهلي البكري الكوفي (ـ ١٢٣) . حدث عن ابن الزبير والنعمان بن بشير وأنس وعكرمة وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعي والحسن وخلق . وعنه شعبة والثوري والأعمش وآخرون . قال الثوري : ما سقط لسماك بن حرب حديث . وقال ابن المديني : أحاديثه عن عكرمة مضطربة . الطبقات ٦ / ٣٢٣ ـ السير ٥ / ٢٤٥ ـ التهذيب ٤ / ٢٣٢ ـ الخلاصة ١٥٥

عياض بن عمرو الأشعري . حدث عن أبي عبيدة وخالد بن الوليد وعياض بن غنم وطائفة . وعنه الشعبي وسماك . السير ٤ / ١٣٨ ـ التهذيب ٨ / ٢٠٢ ـ الخلاصة ٣٠١

الآية . المائدة ٥٤

ذكر الطبري التفسير عن شعبة عن سماك عن عياض في تفسيره ٦ / ١٨٣ وانظر تخريج الأستاذ محمود شاكر له في طبعته من التفسير ١٠ / ٤١٥

(٢٢٦) **السند**

يحيى بن بكير . (١١)

عبد الله بن لهيعة . (٩)

الحارث بن يزيد أبو عبد الكريم الحضرمي المصري (ـ ١٣٠) . روى عن جبير بن نفير ، وعنه الأوزعي والليث . وثقه أحمد وأبو حاتم . الخلاصة ٦٩ ـ التهذيب ٢ / ١٦٣

عُلَي بن رباح بن قصير أبو عبد الله اللخمي المصري (ـ ١١٤) . حدث عن زيد بن ثابت وعقبة بن عامر وعمرو بن العاص وعبد الله بن عمرو وأبي هريرة ، وعنه ابنه موسى ويزيد بن أبي حبيب . وثقه النسائي . الطبقات ٧ / ٥١٢ ـ السير ٥ / ١٠١ ـ التهذيب ٧ / ٣١٨ ـ الخلاصة ٢٧٣ ـ الشذرات ١ / ١٤٩

الحديث

ذكره ابن عساكر في تبيين كذب المفتري (دار الفكر ، دمشق) ٦٨ « عن علي بن رباح قال : قال رسول الله ﷺ : إن مثل الأشعريين في الناس كصرار المسك » .

(٢٢٧) **السند**

يحيى بن سليمان الجعفي . (٧٣)

حفص بن غياث بن طلق أبو عمر النخعي قاضي الكوفة (ـ ١٩٤) . حدث عن الأعمش وعاصم الأحول وسليمان التيمي وابن جريج وخلق ، وعنه أحمد وإسحاق وابن المديني وابن معين وخلق . قال أبو زرعة : ساء حفظه بعدما استُقضي فمن كتب عنه من كتابه فهو صالح . تاريخ بغداد ٨ / ١٨٨ ـ التذكرة ١ / ٢٩٧ ـ السير ٩ / ٢٢ ـ التهذيب ٢ / ٤١٥ ـ الخلاصة ٨٨ ـ الشذرات ١ / ٣٤٠

محمد بن السائب الكلبي (ـ ١٤٦) النسابة المفسر . قال أبو حاتم : الناس مجمعون على ترك حديثه . وقال النسائي : ليس بثقة ولا يكتب حديثه . التهذيب ٩ / ١٨٠

أبو صالح اسمه باذام ويقال باذان . عن ابن عباس . الخلاصة ٤٦٨ ـ التهذيب ١٢ / ١٣٣

ابن عباس . (١)

الآية . المائدة ٥٤

ذكر السيوطي في الدر المنثور ٢ / ٢٩٢ قال : أخرج ابن أبي شيبه عن ابن عباس ﴿ فسوف يأتي .. ﴾ الآية ، قال : هم أهل القادسية

(٢٢٨) **السند**

أحمد بن يونس . (١٤٠)

السري بن يحيى أبو الهيثم الشيباني البصري (ـ ١٦٧) . حدث عن ثابت وعمرو بن دينار ، وعنه حماد بن زيد وابن وهب . وثقه النسائي . الخلاصة ١٣٣ ـ التهذيب ٣ / ٤٦٠

الحسن . (١٤)

الآية . نفسها

القول ذكره الطبري في تفسيره ٦ / ١٨٢ و ١٨٣ عن الحسن بأسانيد مختلفة ، وعن

الضحاك وقتادة وابن جريج وعن علي كرم الله وجهه .

(٢٢٩) السند

يونس بن عبد الأعلى . (٦٧)

عبد الله بن وهب . (٩)

عبد الله بن عياش أبو حفص القتباني المصري (ـ ١٧٠) . حدث عن يزيد عن أبي حبيب ووالده وجماعة ، وعنه ابن وهب وأخرون . احتج به مسلم والنسائي . وقال أبو حاتم : صدوق ليس بالمتين . السير ٧ / ٣٣٣ ـ التهذيب ٥ / ٣٥١ ـ الخلاصة ٢٠٩

أبو صخر حميد بن زياد وقيل ابن صخر الخراط المدني نزيل مصر . روى عن أبي صالح وكريب وأبي سلمة ، وعنه ابن وهب ويحي القطان . قال أحمد : ليس به بأس . التهذيب ٣ / ٤١ ـ الخلاصة ٩٤

محمد بن كعب القرظي . (٦٣)

عمر بن عبد العزيز الخليفة (ـ ١٠١) . حدث عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وابن المسيب وعروة . وعنه الزهري وأيوب السختياني وحميد الطويل وخلق . الطبقات ٥ / ٣٣٠ ـ التذكرة ١ / ١١٨ ـ السير ٥ / ١١٤ ـ التهذيب ٧ / ٤٧٥ ـ الخلاصة ٢٨٤ ـ الحلية ٥ / ٢٥٣

الآية نفسها

الخبر والتفسير ذكر الطبري جزأه الأول في تفسيره ٦ / ١٨٢ ، وجزأه الثاني ٦ / ١٨٤

(٢٣٠) السند

يحيى بن عبد الحميد . (١٥)

معتمر بن سليمان بن طرخان أبو محمد التيمي نزل فيهم وهو من موالي بني مرة البصري (ـ ١٨٧) . حدث عن أبيه ومنصور بن المعتمر وأيوب وحميد وعمرو بن دينار وعاصم الأحول وخلق كثير . وحدث عنه ابن المبارك وعبد الرزاق والأصمعي وأحمد وإسحاق وعلي وابن أبي شيبة وخليفة بن خياط . قال ابن معين : ثقة . وقال أبو حاتم : ثقة صدوق . الطبقات ٧ / ٢٩٠ ـ التذكرة ١ / ٢٤٥ ـ السير ٨ / ٤٢٠ ـ التهذيب ١٠ / ٢٢٧ ـ الخلاصة ٢٩٧

أبو عمرو مولى بني مخزوم . روى عن قيس بن سعد المكي ، روى عنه معتمر بن

سليمان . قال ابن أبي حاتم : سئل أبو زرعة عنه فقال : لا أعرفه . الجرح والتعديل ٤ / ٢ / ٤١١

مجاهد . (٦٤)

الآية نفسها . والتفسير ذكره الطبري في تفسيره ٦ / ١٨٤ دون قوله « لما يأتوا بعد » .

(٢٣١) **السند**

يحي بن عبد الحميد . (١٥)

عبد الله بن إدريس أبو محمد الأزدي الكوفي (ـ ١٩٢) . حدث عن أبيه والأعمش وابن جريج وسفيان وخلق ، وتلا على نافع . وحدث عنه مالك وهو من مشايخه وابن المبارك وابن حنبل وابن معين وخلق كثير . قال أبو حاتم : هو حجة إمام من أئمة المسلمين . الطبقات ٦ / ٣٨٩ ـ التذكرة ١ / ٢٨٣ ـ السير ٩ / ٤٢ ـ التهذيب ٥ / ١٤٤ ـ الخلاصة ١٩٠ ـ تاريخ بغداد ٩ / ٤١٥

ليث . (٦٤)

مجاهد . (٦٤)

الآية نفسها . والتفسير ذكره الطبري في تفسيره ٦ / ١٨٤ عن ابن إدريس عن الليث عن مجاهد .

(٢٣٢) **السند**

محمد بن الحسين . (٤)

الصلت بن حكيم . (٣٥)

أبو زيد البحراني

(٢٣٣) **السند**

عبيد الله بن محمد النيسابوري

الوليد أبو العباس العابد

الحسن بن السكن . روى عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه : الحسن بن السكن

روى عن الأعمش ، منكر الحديث . الجرح والتعديل ١ / ٢ / ١٧

داود بن أبي شند أبو بكر القشيري مولاهم المصري (ـ ١٣٩ وقيل ١٤٠) . روى عن ابن المسيب وأبي العالية والشعبي وعاصم الأحول وأبي عثمان النهدي وخلق ، وعنه قتادة وشعبة والثوري وحماد بن سلمة . وثقه أحمد والعجلي وأبو حاتم والنسائي . التذكرة ١ / ١٤٦ ـ السير ٦ / ٣٧٦ ـ التهذيب ٣ / ٢٠٤ ـ الخلاصة ١١١

عامر . (١٨٥)

(٢٣٤) **السند**

إسحاق بن إبراهيم القاري

(٢٣٥) **السند**

إسحاق بن إبراهيم الثقفي . (٦٩)

رياح القيسي . (٢٤)

رابعة . (٦٥)

(٢٣٦) **السند**

محمد بن الحسين . (٤)

عبد الله بن عمرو بن أبي الحجاج التميمي المنقري مولاهم أبو معمر البصري المقعد (ـ ٢٢٤) روى عنه البخاري وأبو داود وأبو زرعة وأبو حاتم . وثقه العجلي وقال : يرى القدر . وروى إبراهيم بن الجنيد عن ابن معين : ثقة نبيل عاقل . التذكرة ٢ / ٤٩٣ ـ التهذيب ٥ / ٣٣٥ ـ السير ١٠ / ٦٢٢ ـ الخلاصة ٢٠٨

رابعة . (٦٥)

رياح القيسي . (٢٤)

القول

ذكره السراج في مصارع العشاق ١ / ٢٧٥ (في الخبر خطأ مطبعي : قالت : ما كنت أحسب أن في قلبك موضعاً فارغاً لمحبة غيري . والصحيح ماورد في المخطوطة) .

وذكره الزبيدي في شرحه للإحياء ٩ / ٦٨٨

وذكره الذهبي في السير ٨ / ١٥٥

(٢٣٧) **السند**

نصر بن جابر القاري

(٢٣٨) **السند**

إسحاق بن إبراهيم

الفضيل بن عياض . (٤٧)

القول

ذكر نحوه أبو نعيم في الحلية ٨ / ١٠٩

(٢٣٩) **السند**

يحيى بن بكير . (١١)

عبد الله بن لهيعة . (٩)

سليم بن جبير السدوسي أبو يونس المصري (- ١٢٣) . عن أبي هريرة وأبي سعيد . وعنه الليث وحيوة بن شريح . وثقه النسائي . التهذيب ٤ / ١٦٦ - الخلاصة ١٥٠

أبو هريرة (٩)

الحديث

ذكر نحوه الطبري دون إسناد في تفسيره ٢٤ / ٧٠ قال : « وذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول . ويروي ذلك عن ربه : عبدي عند ظنه بي ، وأنا معه إذا دعاني » .

ذكر نحوه ابن حنبل في مواضع كثيرة من مسنده . أقربه لما ورد في المخطوطة من حديث أبي هريرة مع بعض التغيير « .. إن ظن خيراً فله .. » في المسند ٢ / ٣٩١ ونقله عنه السيوطي في الجامع الصغير ورمز له بالصحة . وقال المناوي ٤ / ٤٩١ : « قال الهيثمي : فيه ابن لهيعة . وفيه كلام معروف . »

ذكر جزأه الأول البخاري في كتاب التوحيد من صحيحه . فتح الباري ١٣ / ٣٢٥

ذكر نحوه مسلم : التوبة ٨ / ٩١ ، الدعاء والذكر ٨ / ٦٣

(٢٤٠) **السند**

ميمون بن زيد البصري أبو إبراهيم السقاء . روى عن ليث بن أبي سليم . قال أبو حاتم : ليّن الحديث . الجرح والتعديل ٤ / ١ / ٢٣٩

يونس بن عبيد العبدي مولاهم أبو عبد الله البصري (ـ ١٤٠) . حدث عن الحسن وابن سيرين وعطاء وعكرمة وطائفة ، وعنه شعبه وسفيان وحماد بن سلمة وهشيم وخلق . وثقه أحمد وأبو حاتم والجماعة . التذكرة ١ / ١٤٥ ـ السير ٦ / ٢٨٨ ـ التهذيب ١١ / ٤٤٢ ـ الخلاصة ٤٤١

الحسن . (١٤)

الآية الأولى : الحاقة ٢٠ ـ **الآية الثانية** : فصلت ٢٣

التفسير : انظر الفقرة (٢٤٢)

(٢٤١) **السند**

يعقوب بن كعب الحلبي أبو يوسف الأنطاكي . روى عن ابن وهب ، وعنه أبو داود . وثقه أبو حاتم . التهذيب ١١ / ٣٩٤ ـ الخلاصة ٤٣٧

يوسف بن أسباط الزاهد . روى عن الثوري ، وعنه ابن خُبيق . وثقه ابن معين ، وقال أبو حاتم : لايحتج به ، وقال البخاري : دفن كتبه فكان حديثه لا يجيء كما ينبغي . السير ٩ / ١٦٩ ـ الحلية ٨ / ٢٣٧ ـ صفة الصفوة ٤ / ٢٦١

سفيان . (٣٩)

الآية : البقرة ١٩٥

التفسير : ذكر نحوه الطبري عن عكرمة في تفسيره ٢ / ١٢٠

(٢٤٢) **السند**

موسى بن إسماعيل . (٨٦)

حماد بن سلمة . (٧٨)

حميد بن أبي حميد مولى طلحة الطلحات أبو عبيدة الطويل البصري (ـ ١٤٢) . حدث عن أنس والحسن وعكرمة وثابت ، وعنه شعبة ومالك والسفيانان والحمادان وابن جريج وخلق . قال ابن معين والعجلي : ثقة . الطبقات ٧ / ١٧ ـ التذكرة ١ / ١٥٢ ـ السير ٦ / ١٦٣ ـ التهذيب ٣ / ٣٨ ـ الخلاصة ٩٤

الحسن . (١٤)

الآية : الحاقة ٢٠

التفسير : ذكر نحوه الطبري في تفسيره ٢٤ / ٧٠ ، قال : « حدثنا ابن عبد الأعلى قال : ثنا محمد بن ثور عن معمر قال : تلا الحسن ﴿ وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم ﴾ ، فقال : إنما عمل الناس على قدر ظنونهم بربهم : فأما المؤمن فأحسن بالله الظن فأحسن العمل ، وأما الكافر والمنافق فأساءا الظن فأساءا العمل . »

(٢٤٣) السند

محمد بن حميد الرازي . (٢)

مهران بن أبي عمر . (٨٠)

سفيان . (٣٩)

جابر بن يزيد بن الحارث الجعفي الكوفي أحد كبار علماء الشيعة (ـ ١٢٨) . حدث عن الشعبي ، وعنه شعبه والسفيانان وخلق . وثقه الثوري ، وقال النسائي : متروك . التهذيب ٢ / ٤٦ ـ الخلاصة ٥٩

مجاهد . (٦٤)

الآية : الآية نفسها .

التفسير : ذكره بسنده هذا الطبري في تفسيره ٢٩ / ٣٩

(٢٤٤) السند

إسماعيل بن إبراهيم بن بسام البلخي . (٥٩)

بقية بن الوليد . (١١١)

أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم الغساني الشامي (ـ ١٥٦) . روى عن أبيه وخالد بن معدان ، وعنه ابن المبارك والوليد بن مسلم وبقيه ضعفه ابن معين وأبو زرعة وأبو حاتم . التهذيب ١٢ / ٢٨ الخلاصة ٤٤٤

الهيثم بن مالك الطائي أبو محمد الشامي . حدث عن النعمان بن بشير ، وعنه صفوان بن عمرو . وثقه ابن حبان التهذيب ١١ / ٩٨ ـ الخلاصة ٤١٣

الحديث

ذكره أبو نعيم في الحلية ٨ / ٢٨٢ بسند ينتهي بأبي بكر بن أبي مريم عن الهيثم .

(٢٤٥) **السند**

عمرو بن محمد بن عبد الحكم النسائي

أحمد بن أبي الحواري . (٣)

محمد بن يوسف الفيريابي . (٧٤)

الآية : الأعراف ١٤٦

التفسير : ذكر نحوه الطبري عن ابن جريج في تفسيره ٩ / ٤١ ، قال : « حدثنا القاسم قال : ثنا الحسين قال : ثني الحجاج عن ابن جريج : ﴿ سأصرف عن آياتي ﴾ عن خلق السماوات والأرض والآيات فيها ، سأصرفهم عن أن يتفكروا فيها ويعتبروا . »

(٢٤٦) **السند**

الحسن بن سعيد الجرجاني

الصلت بن حكيم . (٣٥)

(٢٤٧) **السند**

محمد بن الحسين . (٤)

(٢٤٨) **السند**

محمد بن منصور بن داود أبو جعفر الطوسي العابد نزيل بغداد (ـ ٢٥٤) . روى عن ابن عيينة والقطان وابن علية وطبقتهم ، وعنه أبو داود والنسائي ووثقه . التهذيب ٩ / ٤٧٢ ـ الخلاصة ٣٦٠

عبد الله بن عيسى البصري أبو خلف الخزاز . قال النسائي : ليس بثقة . وقال أبو زرعة : منكر الحديث . التهذيب ٥ / ٣٥٣ ـ الخلاصة ٢٠٩

عيسى البصري .

مسمع بن عاصم . هل هو مسمع الدمشقي . روى عن الليث ، وروى عنه مروان بن معاوية الفزاري ؟ الجرح والتعديل ٤ / ١ / ٤٢١

ثور بن يزيد الشامي . (٢٤)

القول

أورد الغزالي جزءاً كبيراً من هذا النص في الإحياء ٤ / ٣٢٦

(٢٤٩) **السند** .

إبراهيم بن إسحاق بن داود بن صبيح البلخي .

الحسن بن الربيع أبو علي القسري البوراني الكوفي الحصار الخشاب (ـ ٢٢١) . روى عن حماد بن زيد ومهدي بن ميمون وأبي الأحوص وأبي عوانه ، وعنه البخاري ومسلم وابو داود والدارمي وأبو زرعة وأبو حاتم . وثقه العجلي . التذكرة ٢ / ٤٥٨ ـ التهذيب ٢ / ٢٧٧ ـ الخلاصة ٧٨ ـ تاريخ بغداد ٧ / ٣٠٧

عمرو بن أزهر العتكي نزل بغداد . روى عن ابن جريج . رماه أبو سعيد الحداد بالكذب ، قال ذلك أبو حاتم ، وقال : متروك . الجرح والتعديل ٣ /١٠ / ٢٢١

عطاء بن أبي رباح القرشي مولاهم أبو محمد الجَنَدي اليماني نزيل مكة وأحد الفقهاء والأئمة (ـ ١١٤) . روى عن عثمان وعتاب بن أسيد مرسلاً ، وعن أسامة بن زيد وعائشة وأبي هريرة وأم سلمة وعروة بن الزبير وطائفة . وروى عنه أيوب وحبيب ابن أبي ثابت وجعفر بن محمد وجرير بن حازم وابن جريج وخلق . قال ابن سعد : كان ثقة عالماً كثير الحديث إليه انتهت الفتوى بمكة . وقال ابن عباس وقد سئل عن شيء : يا أهل مكة تجتمعون علي وعندكم عطاء ؟ الطبقات ٥ ـ ٤٦٧ ـ السير ٥ / ٧٨ ـ التهذيب ٧ / ١٩٩ ـ الخلاصة ٢٦٦ ـ الوفيات ٣ / ٢٦١ ـ الشذرات ١ / ١٤٧

عائشة أم المؤمنين (ـ ٥٨ أو ٥٧) . يبلغ مسند عائشة ألفين ومئتين وعشرة أحاديث ، اتفق لها البخاري ومسلم على مائة وأربعة وسبعين حديثاً ، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين ومسلم بتسعة وستين . الطبقات ٨ / ٥٨ ـ التهذيب ١٢ / ٤٣٣ ـ الخلاصة ٤٩٣ ـ الإصابة ١٣ / ٣٨ ـ الحلية ٢ / ٤٣

الآية : آل عمران ٣١

التفسير : ذكره بنصه القرطبي في تفسيره ٤ / ٦١ من حديث أبي الدرداء عن رسول الله ﷺ ، وقال : خرجه أبو عبد الله الترمذي .

(٢٥٢)**السند**

علي بن عيسى . (٤٥)

محمد بن الحسين . (٤)

محمد بن عبد العزيز بن سلمان الراسبي أبو روح البصري . روى عن أبي الشعثاء جابر ، وعنه ابن المبارك ووكيع . التهذيب ٩ / ٣١٤ ـ الخلاصة ٣٤٩

عبد العزيز بن سلمان . (١٤٩)

حسان بن أبي سنان البصري العابد . روى عن الحسن ، وعنه جعفر بن أبي سليمان . ذكره ابن حبان في الثقات ـ التهذيب ٢ / ٢٤٩ ـ الخلاصة ٧٦

(٢٥٤) السند

حرملة بن يحيى التجيبي أبو حفص المصري صاحب الشافعي (ـ ٢٤٣) . حدث عن ابن وهب ومؤمل بن إسماعيل ، وعنه مسلم والنسائي وابن ماجه . قال ابن عدي : قد تبحرت حديث حرملة وفتشته الكثير فلم أجد في حديثه ما يجب أن يضعف لأجله . وقال أبو حاتم : يكتب حديثه ولا يحتج به . التذكرة ٢ ـ ٤٨٦ ـ السير ١١ / ٣٨٩ ـ التهذيب ٢ / ٢٢٩ ـ الخلاصة ٧٤

عبد الله بن وهب . (٩)

معاوية بن صالح . (٧٤)

حدير بن كريب الحضرمي أو الحميري أبو الزاهرية الحمصي (ـ ١٠٠) . كان أمياً . سمع أبا أمامة وأرسل عن أبي الدرداء وحدث عن جبير بن نفير وحذيفة وكثير بن مرة ، وعنه معاوية بن صالح وإبراهيم بن أبي عبلة . وثقه ابن معين . التهذيب ٢ / ٣١٨ ـ الخلاصة ٩٧ ـ الحلية ٦ / ١٠٠

(٢٥٥) السند

إبراهيم بن عبد الله بن حاتم الهروي أبو عبد الله الحافظ نزيل بغداد (ـ ٢٤٤) . حدث عن هشيم وعباد بن العوام وإسماعيل بن جعفر وخلق ، وعنه الترمذي وابن ماجه وابن أبي الدنيا . قال الدار قطني : ثقة ثبت . وضعفه أبو داود وغيره لوقفه في القرآن . التذكرة ٢ / ٤٨٤ ـ السير ١١ / ٤٧٨ ـ التهذيب ١ / ١٣٢ ـ الخلاصة ١٨ ـ تاريخ بغداد ٦ / ١١٨

حجاج بن محمد مولى موسى بن مجالد مولى المنصور العباسي الترمذي ثم المصيصي ثم البغدادي الحافظ الأعور (ـ ١٨٦) . حدث عن ابن جريج وشعبة ، وعنه أحمد وابن معين وإسحاق وخلق . وثقه ابن المديني وأحمد وابن معين . **واختلط قبل موته .** التذكرة ١ / ٣٤٥ ـ السير ٩ / ٤٤٧ ـ التهذيب ٢ / ٢٠٥ ـ الخلاصة ٧٣ ـ تاريخ بغداد ٨ / ٢٣٦

ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز الأموي مولاهم أبو الوليد وأبو خالد المكي الفقيه (ـ ١٥٠) . حدث عن ابن أبي مليكة وعكرمة مرسلاً وعن طاوس مسألة ومجاهد ونافع وخلق . وحدث عنه يحي بن سعيد الأنصاري والأوزاعي والسفيانان وخلق . قال ابن المديني : لم يكن في الأرض أحد أعلم بعطاء من ابن جريج . وقال أحمد : إذا قال أخبرنا وسمعت حسبك به . وقال ابن معين : ثقة إذا روى من الكتاب . التذكرة ١ ـ ١٦٩ ـ السير ٦ / ٣٢٥ ـ التهذيب ٦ / ٤٠٢ ـ الخلاصة ٢٤٤ ـ تاريخ بغداد ١٠ / ٤٠٠ ـ الوفيات ٣ / ١٦٣

مجاهد . (٦٤)

الآية وتفسيرها : انظر الفقرتين (٢٣٠) و (٢٣١)

(٢٥٦) السند

عمرو بن أيوب أبو حفص النسائي .

منصور بن محمد البلخي .

أحمد بن مخلد الخراساني .

(٢٥٧) السند

أبو حفص عمرو بن محمد بن الحكم النسائي . (٢٤٥)

أحمد بن أبي الحواري . (٣)

أبو سليمان الداراني . (٩٢)

القول

ذكر نحوه ابن قتيبة في عيون الأخبار ٢ / ٢٩٧

ذكر أبو نعيم في الحلية ١٠ / ١٦ نصاً أوسع منه وينطوي عليه مع بعض التغيير .

(٢٥٨) **السند**

عمرو بن محمد . (٢٤٥)

أحمد بن أبي الحواري . (٣)

زكريا

أبو عبيدة الخواص . (٨٥)

القول

ذكره الغزالي في الإحياء ٤ / ٣٦١

(٢٥٩) **السند**

عمرو بن محمد . (٢٤٥)

أحمد بن أبي الحواري . (٣)

إبراهيم بن خالد بنان . (١٦٤)

أبو بكر المعلمي

(٢٦٠) **السند**

عمرو بن محمد . (٢٤٥)

أحمد بن أبي الحواري . (٣)

محمود بن خالد السلمي . (٩٢)

(٢٦١) **السند**

عمرو بن محمد . (٢٤٥)

عبد الله بن خبيق الأنطاكي أبو محمد وأصله من الكوفة . روى عن شعيب بن حرب ويوسف بن أسباط وحذيفة المرعشي وحجاج بن محمد . قال ابن أبي حاتم : أدركته ولم أكتب عنه . الجرح والتعديل ٢ / ٢ / ٤٦ ـ الحلية ١٠ / ١٦٨ ـ صفة الصفوة ٤ / ٢٨٠

أبو عبد الله اليماني

(٢٦٢) **السند**

عمرو بن محمد . (٢٤٥)

عبد الله بن خبيق . (٢٦١)

عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن حزم أبو طواله الأنصاري البخاري المدني (مات بعد ١٣٠) . حدث عن أنس ، وعنه مالك . وكان فقيهاً ثقة صواماً قواماً خيراً . السير ٥ / ٢٥١ ـ التهذيب ٥ / ٢٦٧ ـ الخلاصة ٢٠٤

القول

خطاب إبليس لربه ذكر في الفقرة (٢١٨)

(٢٦٣) **السند**

صالح بن عمران . (١٥٧)

أحمد بن غسان البصري (مات قبل الثلاثين ومائتين) . صحب ابن عطاء القدري وجلس في المشيخة بعده . ولكنه رجع عن القدر ، وامتنع من القول بخلق القرآن ، فأخذ وحبس ، فرأى في الحبس أحمد بن حنبل والبويطي فأعجبها سمته وكلامه وخاطباه فانتفع . السير ٩ / ٤٠٩ (في ترجمة أحمد بن عطاء)

أحمد بن عطاء الهجيمي البصري شيخ الصوفية العابد القانت القَدَري (ـ٢٠٠) تلميذ شيخ البصرة عبد الواحد بن زيد . قال الدار قطني : يروي عن خالد العبد وعن الضعفاء ، متروك الحديث . السير ٩ / ٤٠٨

(٢٦٤) **السند**

وهب بن منبه . (١٠)

القول

انظر نحوه في الفقرة (٨٨)

المداواة والتغذية بالعقاقير
النباتية في كتاب التيسير في المداواة والتدبير لابي مروان عبد الملك بن زهر

الدكتور عبد الكريم اليافي

يشتمل هذا البحث على التعريف بمؤلف الكتاب ، ثم عرض بعض المعارف التي تضمنتها الصيدلة العربية الاسلامية ، ولا سيما في المغرب ، متمثلة بالكتب المدونة وبأصحابها ، ثم جلاء الاعتبارات الطبية الصيدلانية والمنهج العلمي في كتاب التيسير .

التعريف بمؤلف الكتاب

مؤلف « التيسير في المداواة والتدبير » ابو مروان عبد الملك بن ابي العلاء (٤٦٤ / ١٠٧٢ ـ ٥٥٧ / ١١٦٢) من بيت زهر أحد بيوتات الطب المشهورة في تاريخ الحضارة العربية الاسلامية عامة وفي تاريخ الاندلس خاصة .

جد هذه الاسرة هو الفقيه محمد بن مروان بن زهر الايادى الاشبيلي من أصل عربي وقد برز في الفقه والحديث . ولما كان الحديث والفقه يدفعان الى خدمة الناس ورعاية مصالحهم اتجه ابنه ابو مروان عبد الملك الاول الى الاهتمام بالطب والمداواة . كانت البلاد الاسلامية يسهل فيها تنقل العلماء خاصة على الرغم من انقسامها السياسي المتأخر لان سكانها كانوا دائماً يقدسون العلم والعلماء ويعتبرون كلا من التعلم والتعليم في جميع

الميادين ولا سيا مايهم مصالح المجتمع فريضة يجب أن ينهدوا لها وينهضوا بأعبائها . وكانت ينابيع المعارف والعلوم اذ ذاك في الشرق فرحل عبد الملك الى الشرق ودخل القيروان ومصر وتطبب هناك زمانا كما يقول الرواة أي تعاطى علم الطب وعاناه ، ثم رجع الى الاندلس وقصد مدينة دانية وأقام بها ، واشتهر بالتقدم في هذه الصناعة . ولما ذاعت شهرته انتقل الى مدينة اشبيلية المزدهرة وأقام بها ، ثم أخذ ابنه أبو العلاء زهر عن أبيه الصناعة واطلع على دقائقها وكان ألمعياً .

ابنه أبو مروان عبد الملك هو أشهر أطباء هذا البيت العلمي وهو مؤلف كتاب التيسير واسمه كاسم جده الاول الذي كان أول من مارس الطب . بل هو أشهر أطباء الاندلس . وقد روى مترجموه أنه لم يكن في زمانه من يماثله في مزاولة أعمال صناعة الطب . وله حكايات كثيرة في تَأَتّيه لمعرفة الامراض ومداواتها مما لم يسبقه أحد من الاطباء إلى مثل ذلك . عاش في نهاية دولة المرابطين ، « ونال من جهتهم من النعم والأموال شيئاً كثيراً » ولكن هذه الدولة انقرضت في زمنه وقامت مكانها دولة الموحدين . وقد قرّبه ملكها الاول عبد المؤمن وميزّه على كثير من أبناء عصره احتفاءً بعلمه واستناداً إلى مهارته العلمية .

كان عبد الملك إلى جانب صناعته الطبية المبرزة ذا معرفة عميقة بخصائص النبات وإكساب بعضه خصائص بعض إكساباً يقرّبه من المدرسة الزراعية السوفياتية الحديثة التي تزعمها متشورين . يشهد على ذلك القصة الطريفة التي يرويها ابن أبي اصيبعة وهي أن الامير عبد المؤمن « احتاج الى شرب دواء مسهل وكان يكره شرب الادوية المسهلة ، فتلطف له ابن زهر في ذلك وأتى الى كرمة في بستانه فجعل الماء

الذي يسقيها به ماءً قد أكسبه قوة أدوية مسهله بنقعها فيه أو بغليانها معه . ولما شربت الكرمة قوة الأدوية المسهلة التي أرادها وطلع فيها العِنَبُ وله تلك القوة حمى الخليفة ثم أتاه بعنقود منها وأشار عليه أن يأكل منه وكان حسن الاعتقاد في ابن زهر . فلما أكل منه وهو ينظر إليه قال له : يكفيك يا أمير المؤمنين فإنك قد أكلت عشر حبات من العنب وهي تخدمك عشرة مجالس . فاستخبره عن ذلك وعرّفه به ... » فانتفع عبد المؤمن وتزايدت منزلته عنده . وربما كان في القصة نصيب من المبالغة ، ولكنها تدل دلالة واضحة على معرفة أبي مروان العميقة لخصائص العقاقير النباتية وإمكان تطويرها في نطاق مناسب وتأثير بعضها في بعض .

وقد ذكر مؤلف التيسير ولعه الشديد بذلك في كتابه هذا حتى إن هذا الولع بلغ حد المرض إذ قال (ص ٣٢٠) : « وأما أنا فانّ في نفسي مرضاً من أمراض النفوس من حب أعمال الصيدلانيين وتجربة الأدوية والتلطف في سلب بعض قوى الادوية وتركيبها في غيره وتمييز الجواهر وتفصيلها ومحاولة ذلك باليد . ومازلت مغرماً بذلك ، مبتلىً بحبه ، فسلكت هذا المنهاج شهوةً فيه ، وإن كان على ماهو من الامتهان ، غير أني ألتذّ بعمله كما يلتذّ غيري بالفلاحة والقنص »
ونعتقد أن هذا الولع من أسباب تبريز أبي مروان في الطب حتى فاق أقرانه . واشارته إلى امتهان هذا العمل انما هي من حب الترفع عن الأعمال اليدوية والاقتصار على الأعمال الفكرية .

ألف عبد الملك كتباً عدةً ذكرها ابن ابي أصيبعة وهي :

١ ـ كتاب التيسير في المداواة والتدبير ـ ألفه للقاضي أبي الوليد بن رشد .

٢ ـ كتاب الأغذية ـ ألفه لابي محمد عبد المؤمن بن علي أمير الموحدين .
٣ ـ كتاب الزينة .
٤ ـ تذكرة في أمر الدواء المسهل وكيفية أخذه ـ ألفه لولده أبي بكر وذلك في صغر سنه وأول سفرة سافرها فناب عن ابيه فيها .
٥ ـ مقالة في علل الكلى .
٦ ـ رسالة في علتي البرص والبهق ـ كتب بها إلى بعض الاطباء في اشبيلية .
٧ ـ تذكرة ـ كتبها لابنه أبي بكر أول ماتعلق بعلاج الامراض .

وذكر مؤلفون آخرون لابي مروان كتابا هو « الاقتصاد في إصلاح الأنفس والاجساد » ولم يذكره ابن ابي اصيبعة وانما ذكر له كتاب الزينة . ونظن أن الكتابين هما كتاب واحد وأن ابن ابي اصيبعة ذكر كتاب الزينة ويعني به كتاب الاقتصاد لشدة إلحاح المؤلف فيه على الزينة والتجميل . كتبه لابراهيم بن تاشفين الأمير المرابطي . وهو كتاب معروف كنا وصفناه ولخصنا محتواه في أسبوع العلم الثالث عشر الذي عقد في حلب ١٨ ـ ٢٤ تشرين الثاني ١٩٧٢ ونشر التلخيص في مجموع أعمال الاسبوع والكتاب مايزال مخطوطاً .

ومن أسماء بعض الكتب السالفة نتبيّن مدى عناية ابن زهر بالأغذية والأدوية في نطاق صناعته الطبية .

أهم تلك الكتب كتاب التيسير الذي نحن بصدده . وقد ألفه كما سبقت الاشارة استجابةً لطلب القاضي الفيلسوف ابن رشد المشهور إذ كان بينه وبين عبد الملك بن زهر مودة . فلما ألف ابن رشد كتابه في الامور الكلية ودعاه بكتاب الكليات طلب الى ابن زهر أن يؤلف كتابا

في الامور الجزئية لتكون جملة كتابيهما ككتاب كامل في صناعة الطب كما يذكر ابن أبي اصيبعه . وقد أشار إلى ذلك ابن رشد نفسه في آخر كتابه ونوه بتتام الكتابين . ولما ظهر الكتاب ذاعت شهرته لمعالجة الامور الجزئية في شرح اجزاء البدن بالترتيب وما يصيب كل عضو من الامراض وطرق مداواته بحيث يفيد الكتاب الطبيب الممارس والمثقف العادي الذي يريد أن يلمّ بنصيب من المعرفة الطبية ويتفهم أنواع العلل ويتحاماها ماأمكن . وغدا الكتاب معتمداً في التدريس في دور الطب ، وتداوله الاطباء والمثقفون ، وتُرجم إذ ذاك الى اللاتينية . وكان في المغرب يقابل كتاب القانون لابن سينا في المشرق أهميةً ومكانةً ونفعاً ولكنه أخف مؤونة وأيسر كلفة وأقرب تناولا . ولكي يكون الكتاب تام الفائدة ألحق به مؤلفه فصلاً طويلاً مستقلاً دعاه بكتاب « الجامع » ، ويشتمل على ماكان يدعى بنسخ الدواء وما ندعوه اليوم بالوصفات الطبية ، وهي علاجات بأشربةٍ ومعاجينَ وأدهان لما يحدث في البدن من الامراض والاعراض كي يسهل تناولها لمن « كان بمعزل عن الطب القياسي وعن النظر الصناعي » كما يقول المؤلف نفسه .

وقد حقق الكتاب المرحوم الدكتور ميشيل الخورى عضو مجمع اللغة العربية بدمشق ونشر عام ١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م برعاية المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

الثقافة الصيدلانية العربية

موضوع البحث الذي نقدمه هو المداواة والتغذية بالعقاقير النباتية في كتاب التيسير . بيد أن هذا البحث يستدعي نظرة عامة ومجملة في كتب العلماء الذين ألفوها في هذا الميدان وهي التي كونت التيار الغالب للمداواة في الحضارة العربية الاسلامية التي انتهت الى مؤلف التيسير، وان كان بعضها مفقوداً أو مايزال مخطوطا .

لاشك أن الكتاب الذي كان له أبلغ الاثر في ذلك التيار هو « المقالات السبع من كتاب دياسقوريدوس وهو هيولى الطب في الحشائش والسموم » (نشره المستشرقان الاسبانيان سزار أ . دبلر والياس تريس عام ١٩٥٢ دار الطباعة المغربية ، تطوان) . مؤلفه كما هو معروف طبيب حشائشي نبغ في بلاد الشام فهو من عين زربى في قليقيا اهتم بالعقاقير الطبية والنباتية وساح يبحث عن الحشائش ويتفهّم خواصها ثم كتب ذلك الكتاب . ترجمه بمدينة السلام اصطفن بن بسيل في زمن المتوكل من اليونانية الى العربية وتصفح ذلك حنين بن إسحق فصحح الترجمة وأجازها . « فما علم اصطفن من تلك الاسماء اليونانية في وقته اسماً له في اللسان العربي فسره بالعربية وما لم يعلم له في اللسان العربي اسماً تركه في الكتاب على اسمه اليوناني اتكالا منه على أن يبعث الله بعده من يعرف ذلك ويفسره باللسان العربي ، إذ التسمية لا تكون الا بالتواطؤ من أهل كل بلد على أعيان الادوية بما رأوا وأن يسموا ذلك إما باشتقاق وإما بغير ذلك من تواطئهم على التسمية . فاتكل اصطفن على

شخوص يأتون بعده ممن عرف أعيان الادوية التي لم يعرف هو لها اسماً في وقته فيسميها على قدر ماسمع في ذلك الوقت » ، كما ورد في كتاب ابن أبي اصيبعة .

وقد حرص العرب على استقصاء فوائد هذا الكتاب في شتى مناطق حضارتهم . وانتقل الكتاب الى الاندلس . وقد يكون من المناسب أن نتعرف المراحل التي مر بها هذا الكتاب . فقد أهدى ملك القسطنطينية الى الملك الناصر عبد الرحمن بن محمد بالاندلس هدايا منها كتاب ديسقوريدس مكتوبا بالاغريقية وأرسل اليه بعد ذلك راهباً يدعى نيقولا تعاون هو وجماعة من الاطباء الاندلسيين في تفسير العقاقير الواردة في الكتاب والدلالة على أعيانها . وألف ابن جلجل الذي ادرك الراهب نيقولا وجماعته وصحبهم كتاباً في « تفسير أسماء الادوية المفردة من كتاب ديسقوريدس » ولسنا نعرف بالضبط هل ترجم كتاب ديسقوريدس ترجمة جديدة بالاندلس أو بقي الاعتماد على ترجمة اصطفن بن بسيل وتصحيح حنين لها ثم إدخال بعض التعديل والايضاح على تلك الترجمة .

وكان كتاب ديسقوريدس قد نقله حنين بن إسحاق من اليونانية الى السريانية لرئيس الاطباء بختيشوع بن جبريل . ثم نقل الكتاب من السريانية الى العربية أبو سالم الملطي نقلاً فيه شيء من اللكنة السريانية في زمن السلطان ألبي بن تمرتاش أحد الملوك التركمانيين في ديار بكر وماردين وميافارقين في القرن السادس الهجري (القرن الذي عاش فيه ابن زهر) . ولما لم تكن الترجمة واضحة ولا سليمة كلف السلطان نفسه مهران بن منصور بن مهران أن ينقله مرة جديدة الى العربية نقلاً سليماً ودقيقا .

وأيّاً كان الامر فان كتاب الطبيب الشامي الذي كتبه بالاغريقية غدا مصدرا مهماً بعده لجالينوس وليحيى النحوي ولأمثالهما في الحضارة الاغريقية المتأخرة ، ثم للعلماء والاطباء العرب في المشرق والمغرب فألفوا في الادوية المفردة كتباً استفادوا فيها من ذلك الكتاب وزادوا عليه زيادات واسعة جداً بما نقلوه عن المصادر الفارسية والهندية وبما توارثوه من المعارف العربية القديمة في هذا الشأن وبما عرفوه هم أنفسهم ومارسوه بخبرتهم وتجاربهم ، وبذلك تجاوزوا تجاوزاً كبيراً تلك المعارف المكتوبة باللغة اليونانية . وقد ألف ابن جلجل نفسه « مقالة في ذكر الادوية التي لم يذكرها ديسقوريدس في كتابه مما يستعمل في صناعة الطب وينتفع به وما لايستعمل لكيلا يُغْفَلَ ذكره » . وقال ابن جلجل : « ان ديسقوريدس أغفل ذلك ولم يذكره إما لأنه لم يره ولم يشاهده عياناً وإما لأن ذلك كان غير مستعمل في دهره وأبناء جنسه » (طبقات الاطباء لابن أبي اصيبعة) .

وبحث المستشرق مكس ميرهوف عن المؤلفين في هذا المضار إبّان الحضارة العربية الاسلامية من خلال كتاب القفطي وكتاب ابن أبي اصيبعة فأحصى منهم مائة وعشرة مؤلفين كتب بعضهم أكثر من كتاب واحد في هذا الموضوع (مقدمة المستشرق لكتاب « شرح أسماء العقار » لموسى بن ميمون) . ومع ذلك بقي كتاب ديسقوريدس ركناً من أركان الصيدلة العربية الاسلامية .

وأكثر المؤلفين ذكروا هذا الكتاب ونوّهوا بشأنه ولكنهم في بعض الاحيان نبّهوا على الزيادات التي زادوها في هذا الميدان .

ولا شك أن الاسماء اليونانية لبعض النباتات دخلت العربية على

هذا الطريق وعلى طريق ترجمات كتب الطبيب المشهور جالينوس التي انضمت معارفها الى التراث الطبي والصيدلاني العربي . وذكرت الكتب العربية أصول تلك الاسماء . ولكن إلى جانب بعض الالفاظ اليونانية دخلت ألفاظ فارسية وسريانية وهندية وبربرية واسبانية بحيث أصبح أحياناً للعقّار الواحد أسماء متعددة أي مترادفات تبث البلبلة والحيرة لدى الباحثين والعلماء في الاهتداء اليها اذا غاب عنهم معنى لفظ مرادف عند حرصهم على التدقيق والتحقيق .

وهذا ماحفز العالم الكبير أبا الريحان البيروني أن يعمد في أواخر حياته إلى تأليف كتابه « الصيدنة » (ترجمه الى اللغة الروسية مع تحقيق علمي واسع عبيد الله كريموف من أزبكستان كما تُرْجِمَ الكتاب الى اللغة الفارسية قديماً وإلى الانكليزية حديثاً) .

ولما كان أبو الريحان يشارف الثمانين من عمره اذ ذاك احتاج لمن يعاونه في جلب العقّار ليتأمله ويصفه عن عيان ، فهو لا يكتفي بالنقل بل يعتمد على المشاهدة والتدقيق فوجد عالماً طبيباً اسمه أبو حامد أحمد بن محمد النهشعي كان مديرا لمستشفى أو بيمارستان . وقد نوّه بهذه المعاونة إذ قال : « وقد قام بحق المعاونة في إضافة ما معه إلى ما معي ودوام السعي في مسألة من له بصر بالصيدنة بحسب المكان والزمان ثم حمل الادوية المفردة إلى ماقِبَلي لإصفها عن عيان » . ونبّه، وهو المدقق المحقق ، على مايلحق بالكتب المترجمة من اليونانية الى العربية من تحريف وغموض واستعمال ألفاظ أجنبية تستر المراد دون فهم دلالاتها فقال : « إلاّ أنّا لانثق بها ولا نأمن التغاير في نسخها . وللتراجمة فيها خيانة أخرى هي ترك مايوجد في أرضنا من العقاقير وفي لغة العرب اسم لها على حاله باليونانية حتى يحوج الترجمة إلى تفسير كالكرفس الجبلي والجزر البري والزرشك

ولحية التيس وامثالها فانهم لم ينقلوها الى العربية » .

وهو يكره الغموض الناشيء عن استعمال الفاظ غريبة كما يكره الاستغلال المالي الذي قد يستغله باعة العقاقير . ويورد قصة وقعت في عصره نذكرها لطرافتها ولقلة شيوع كتاب الصيدنة . يقول : « وفي الاحاطة باسم الدواء الواحد بصنوف اللغات فوائد . وأتذكر أن بعض أمراء خوارزم اعتل وأُنفذ إليه من نيسابور نسخة دواء لعلته وعرضت على الصيادنة فلم يهتد لعقار واحد فيها الا واحد منهم ذكر أنه عنده واشتري منه بخمسمائة درهم صرف خمسة عشر وأخرج اليهم أصل السوسن فاستنكروه وقال : مابعتكم الا ماجهلتموه من الاسم دون الجسم » .

ودفعاً للغموض ومنعاً للاستغلال وحباً في نشر العلم وايضاح مدلولات الالفاظ ذكر مؤلف الصيدنة الادوية المفردة والعقاقير في كتابه بلغات عدة كالرومية والفارسية والسريانية والخوارزمية والسنسكريتية والعبرية وبلهجات شتى اذ ذاك كالسندية والبخارية والترمذية والبلخية والطخارية وغيرها . فكتابه يتجاوز مجرد الصيدنة الى صفة معجم متعدد اللغات واللهجات . هذا ولفظا الصيدنة والصيدلة سواء . ومن المؤسف أن يبقى هذا الكتاب المهم في اللغة العربية غير مطبوع طبعاً محققاً وواسع النشر .

ولا يمكن أن ننتقل الى الكتب التي ظهرت في المغرب في هذا الميدان دون أن نشير الى كتاب القانون للشيخ الرئيس ابن سينا معاصر ابي الريحان البيروني . وكتاب القانون هذا الذي تناقلته دور الطب في الشرق يشتمل على بحث واف في الادوية المفردة والمركبة .

من أقدم من أَلّف في مفردات الادوية والعقاقير الطبية في المغرب

إسحاق بن عمران وهو بغدادي الاصل استقدمه زيادة الله بن الاغلب في تونس فاستوطن القيروان ، وبه ظهر الطب بالمغرب . من كتبه المتعددة كتاب الادوية المفردة . وقد قتل حول عام ٢٩٢ هجرية .

ثم إسحق بن سليمان الاسرائيلي وهو كحّال من أهل مصر قدم القيروان ولازم إسحق بن عمران وتتلمذ له . عُمِرَّ عمراً طويلا . له كتاب الاغذية والادوية . وكتبه من أوائل الكتب التي ترجمها قسطنطين الافريقي الى اللاتينية . مات عام ٣٢٠ هـ .

ثم أبو جعفر أحمد بن ابراهيم المعروف بابن الجزار من أهل القيروان وهو من أسرة الجزار المعروفة بالطب فهو طبيب ابن طبيب وعمه ابو بكر طبيب . وكان ممن لقي اسحاق بن سليمان وصحبه وأخذ عنه . وقد شهر بعلمه وفضله ونزاهته . له عدة كتب جيدة يهمنا منها كتابان في الصيدلة هما كتاب الادوية المفردة ويعرف بالاعتماد وكتاب في الادوية المركبة ويعرف بالبغية . كما أن له كتاباً طريفاً اسمه طب الفقراء . وهو رسالة في أبدال الادوية . هذا وان الجامعة العربية احتفلت بذكراه هذا العام ، وقد ترجمت طائفة من كتبه الى اللاتينية وبعضها الى اليونانية . مات عام ٣٩٥ هـ .

كتب هؤلاء الاطباء كانت عمدة الطب وركيزته في المغرب وفي اسبانية . وقد كانت القيروان متألقة بالمعارف والعلوم . وسبق أن ذكرنا رحلة أبي مروان عبد الملك بن زهر الاول الى المشرق إذ دخل القيروان ومصر ليأخذ الطب عن علمائها وأطبائها .

وقد نبغ في اسبانية العربية الاسلامية كبار الاطباء الذين اشتغلوا الى جانب الطب بتركيب العقاقير الطبية والتأليف فيها . نوّه بهم ابن أبي أصيبعة .

من الذين كتبوا في الصيدلة سعيد بن عبد ربه وهو ابن اخي أبي عمرو أحمد بن محمد بن عبد ربه صاحب العقد الفريد . لسعيد هذا من الكتب كتاب الاقراباذين . مات عام ٣٢٨ هـ .

ولم يَخْلُ بعض الاطباء من أن يصححوا أخطاء بعض الكتب السابقة . فقد نشأ عبد الرحمن بن اسحق بن الهيثم القرطبي وهو غير الحسن بن الهيثم الطبيب والرياضي المشهور وغدا طبيبا يعنى بالحشائش والمفردات ، وكان بين الجماعة الذين رافقوا نقولا الراهب وصححوا ترجمة كتاب ديسقوريدس . له كتاب « الاقتصاد والايجاد في خطأ ابن الجزار في الاعتماد » . وله ايضا كتاب « الاكتفاء بالدواء من خواص الاشياء . » توفي عام ٣٤٠ هـ .

ومن الذين ألّفوا في الطب وترجموا للاطباء وكتبوا في المفردات وأعانوا على شرح كتاب ديسقوريدس وأكملوا ماغاب عنه في كتابه لعهدهم ابن جلجل (سليمان بن حسان) وقد مرت الاشارة الى ماألف في هذا الميدان . عاش ابن جلجل في أيام هشام المؤيد بالله ، ومات عام ٣٧٢

ومن اشهر الاطباء الاندلسيين ابو القاسم خلف بن عباس الزهراوي . كان طبيباً خبيراً بالادوية المفردة والمركبة . له كتاب « التعريف لمن عجز عن التأليف » وهو من أشهر الكتب الطبية وقد توفي سنة ٤١٠ هـ وكتابه ترجم الى اللاتينية باسم Liber servitoris , . وكتابه هذا الواسع يبحث الجزء السابع عشر منه في الادوية المفردة . وقد تداول كتابه الاطباء من بعده وذكروه في كتبهم .

وكانت الادوية الناجحة من السلع التي يُتاجر بها بين المشرق والمغرب . فقد ذكر ابن أبي أصيبعة نقلاً عن ابن جلجل أن الطبيب الحراني ورد من المشرق الى الاندلس « وكانت عنده مجربات حسان

بالطب فاشتهر بقرطبة وحاز الذكر فيها وأدخل الاندلسَ معجوناً كان يبيع الشربة منه بخمسين دينارا لأوجاع الجوف فكسب به مالاً فاجتمع خمسة من الاطباء واشتروا منه شربة من ذلك الدواء وانفرد كل واحد منهم بجزء يشمه ويذوقه ويكتب ماتَأدّى إليه منه بِحِسِّه . ثم اجتمعوا واتفقوا على ماحدسوه وكتبوا ذلك . ثم نهضوا إلى الحراني وقالوا له : قد نفعك الله بهذا الدواء الذي انفردت به ، ونحن أطباء اشترينا منك شربة وفعلنا كذا وكذا وتأدّى إلينا كذا وكذا . فان يكن ماتأدّى إلينا حقاً فقد أصبنا والاّ فأشركنا في علمه فقد انْتَفَعْت . فاستعرض كتابهم فقال ماأعديتم من أدويته دواء ، لكن لم تصيبوا تعديلَ أوزانه . وهو الدواء المعروف بالمغيث الكبير فأشركهم في علمه وعُرِفَ من حينئذ بالاندلس . »
والخلاصة أنهم بالتعبير الحديث أحسنوا تحليل المعجون تحليلا كيفيا ولم يستطيعوا تحليله تحليلا كميا .

ومن العلماء الاطباء الذين الفوا بالاندلس في الادوية عبد الرحمن بن محمد بن وافد اللخمي . كان في أيام ابن ذي النون بمدينة طليطلة وتوزّر له .

نقل ابن أبي أصيبعة عن القاضي صاعد أن ابن وافد « تَمَهَّرَ بعلم الادوية المفردة حتى ضبط منها مالم يضبطه أحد في عصره وألف فيها كتابا جليلا لانظير له جمع فيه ماتضمن كتاب ديسقوريدس وكتاب جالينوس المؤلفان في الادوية المفردة ورتبه أحسن ترتيب . قال : وأخبرني أنه عانى جمعه وحاول ترتيبه وتصحيح ماضمّنه من أسماء الادوية وصفاتها وأودعه اياه من تفصيل قواها وتحديد درجاتها نحواً من عشرين سنة حتى كمل موافقاً لغرضه وتم مطابقاً لبغيته . وله في الطبّ منزع لطيف ومذهب نبيل وذلك أنه كان لايرى التداوي بالادوية ماأمكن

التداوي بالاغذية أو ماكان قريباً منها ، فاذا دعت الضرورة الى الادويـة فلا يرى التداوي بمركبها مـاوصل الى التـداوي بمفردهـا ، فـان اضطر الى المركب منها لم يكثر التركيب بل اقتصر على أقل مايمكنه منه . وله نوادر محفوظـة وغرائب مشهورة في الابراء من العلل الصعبـة والامراض المخـوفـة بأيسر العلاج وأقربه . » وقد توفي عام ٤٦٧ .

ومن الذين لهم خبرة واعتناء بالغ بالادويـة المفردة يونس بن اسحق بكلارش خدم بصناعة الطب بني هود وله كتـاب « الجـدولة في الادويـة المفردة » وقد دعي كتابه بالمستعيني نسبة الى المستعين بالله .

وفي بلدة دانية بشرق الاندلس حيث عاش جـد بني زهر ونشـأ ابنـه ابو مروان نبغ ابو الصلت أمية بن عبد العزيز في صنـاعـة الطب وغيرهـا من العلوم وكان أديباً ممتازا وشاعرا مجيدا . له كتـاب في الادويـة المفردة توفي سنة ٥٢٩ .

وأمية هذا ظهر في القرن السـادس الهجري أهم عصور الانـدلس علمـا وثقافة وحضارة وقد تتابع بعده كوكبـة من العلمـاء والفلاسفـة والاطبـاء وتطـاير صيتهم . ومن أبرزهم أبو بكر محمـد بن يحيي بن الصـائغ المعروف بابن باجة ، علامة وقته وأوحـد زمـانـه . من كتبـه الطبيـة « كلام على شيء من كتاب الادوية لجالينوس » و « كتاب التجربتين على أدوية ابن وافد . » اشترك في تأليف هـذا الكتـاب ابن بـاجـة وابو الحسن سفيـان . توفي ابن باجة ٥٣٣ هـ . ومن تلاميذه القاضي ابن رشد .

أبو الوليـد هـذا مولـده ومنشؤه بقرطبـة وقـد اشتهر بتمحيصـه أقوال ارسطو وشرحـه لهـا واتّبـاعـه ايـاهـا وترك أثراً ضخماً في التفكير الأوربي بعدما نقلت كتبه وآراؤه الى اللاتينية فـأثرت في كبـار مفكريهـا ولا سيما القـديس تـومـاس الاكـويني . ولكنـه كان متميزاً في علم الطب . ولـه في

الطب كتاب الكليات وقد أشرنا إليه حين ذكرنا سبب تأليف ابن زهر لكتابه التيسير . يبحث السفر الخامس من الكليات الأدوية والاغذية ولابن رشد أيضاً تلخيص كتاب المزاج لجالينوس وتلخيص كتاب القوى الطبيعية لجالينوس وتلخيص أول كتاب الادوية المفردة لجالينوس ومقالة في الترياق ، الى جانب كتبه الاخرى الكثيرة . توفي ابن رشد ٥٩٥ هـ .

لا غرو بعد هذا العرض أن يستبين التقدم الكبير الذي تقدمه علم الطب ولا سيما البحوث التي تتناول الادوية والعقاقير . وذلك أن الاطباء العرب المسلمين كانوا يعتقدون مضمون الحديث الشريف : « مأنزل الله داءً الا أنزل له شفاء » . فكانوا يلتمسون الشفاء في العقاقير الموجودة على الارض من معدنيات ونبات على وجه الخصوص . ولذلك اشتدت عنايتهم بالحشائش وتلقفوا خصائصها من مختلف المصادر ولا سيما اليونانية وبحثوا هم انفسهم في الاقطار وجربوا ماالستطاعوا حتى فاقوا الامم جميعا قبلهم ولعهدهم .

في هذا العصر الغنيّ بالثقافة والثّريّ بالعلوم ظهر بالاندلس بيت بني زهر الطبي وبرز بينهم مؤلف في العقاقير الى جانب تأليفه في الطب وهو ابو العلاء بن زهر أبو مؤلف كتاب التيسير . كتب في هذا الموضوع كتاب الخواص وكتاب الادوية المفردة ومقالة في الرد علىابن سينا في مواضع من كتابه في الادوية المفردة ، ألفها لابنه أبي مروان ومقالة في بسط رسالة يعقوب بن اسحق الكندي في تركيب الادوية . فلا غرو أن رسخ هذا الميل العميق في نفس ولده الالمعي وهو ميل استحوذ عليه الاستحواذ كله . وقد اشرنا إلى ذلك آنفا .

وفي زمن ابي العلاء هذا وصل كتاب القانون لابن سينا الى المغرب . حمل نسخة منه تاجر أتى بها من العراق الى الاندلس بولغ في تحسينها

وأتحف بها أبا العلاء تقربا اليه ولم يكن هذا الكتاب وقع اليه قبل ذلك . يروى أنه لما تأمله « ذمه واطرحه ولم يدخله خزانة كتبه وجعل يقطع من طرره ما يكتب فيه نسخ الادوية لمن يستفتيه من المرضى » . وأغلب الظن عدم صحة هذه الرواية أريد بها اظهار نبوغ طبيب متفوق لعهده . وإلاّ كيف يكتب مقالته في الرد على ابن سينا وهي التي اشرنا اليها آنفا . توفي ابو العلاء عام ٥٢٥ . ومهما يكن من أمر فان ثقافة ذلك العصر الطبية وثقافة بيت بني زهر هيأت أبا مروان عبد الملك مع مواهبه النادرة للتألق في افق الطب والتأليف فيه .

وربما كان من المناسب أن نذكر أخيرا بعض المؤلفين الذين ظهروا في عصر مؤلف التيسير وبعده وكتبوا كتبا مشهورة في العقاقير الطبية . وهكذا لابد من الاشارة في ذلك العصر الى احمد بن محمد الغافقي المتوفى عام ٥٦٠ هـ . كان طبيبا وعقاقيريا . من تصانيفه كتاب الادوية المفردة .

وكذلك إلى موسى بن ميمون توفي عام ٦٠٥ هـ مؤلف كتاب « شرح أسماء العقّار » الذي نشره المستشرق مكس ميرهوف .

ثم جاء العشاب ابن الرومية احمد بن محمد الاشبيلي ٥٦١ - ٦٣٧ هـ ويدعى ايضا بالنباتي . زار مصر والشام والعراق والحجاز مدة سنتين يأخذ عن شيوخها الحديث وعن منابتها الاعشاب . فاق أهل زمانه في معرفته بالنبات وتمييز العشب . له « تفسير اسماء الادوية المفردة من كتاب ديسقوريدس » و « أدوية جالينوس » و « الرحلة النباتية » يصف فيها رحلته العلمية .

وأهم الموسوعات المتأخرة في هذا الميدان خلال القرن السابع الهجري كتاب « الجامع لمفردات الادوية والاغذية » لابن البيطار (عبد الله بن

احمد) . وهو كتاب واسع الشهرة والانتشار . وابن البيطار مالقي اندلسي هاجر الى دمشق وأقام فيها حيث توفي عام ٦٤٦ هـ . وهو استاذ ابن ابي اصيبعة .

ومن الكتب المتداولة في هذا الشأن كتاب « المعتمد في الادوية المفردة » مؤلفه شرقي ، وهو الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول الغساني التركماني صاحب اليمن المتوفى سنة ٦٩٤ استخرجه من كتاب ابن البيطار ومن كتاب ابن جزلة المعروف بالمنهاج ومن كتاب حسن بن ابراهيم التفليسي ومن ابدال الزهراوي وابدال أحمد بن (إبراهيم بن أبي خالد) المعروف بابن الجزار ، كما يذكر مؤلفه ذالك في مقدمته . وقد حقق وطبع عدة مرات ، ولذلك آثرنا ذكره .

ثم جاء في القرن العاشر المؤلف السوري الضرير داوود الانطاكي وكتب كتابه المشهور « تذكرة أولي الالباب والجامع للعجب العجاب » . عاش في القاهرة وتوفي في مكة عام ١٠٠٨ هـ .

وهكذا يستبين ازدهار التأليف في مجال الصيدلة والتحري عن خصائص العقاقير والحشائش الطبية ازدهاراً قل مثيله نجد ملامح منه في كتاب التيسير .

الاعتبارات الطبية والمنهج العلمي في التيسير

ورث العرب فيما ورثوه من الحضارات الخالية علوم اليونان الطبية . وكان أشد ماتأثروا منها كتب ابقراط وأرسطو وجالينوس وكتاب ديسقوريدس . واشتد ميلهم خاصة الى جالينوس فتلقفوا كتبه المترجمة ومحصوها وأخذوا بأكثر ماجاء فيها . وذلك لان الفكر اليوناني كان نظرياً في أغلبه . وكان جالينوس وأمثاله في مدرسة الاسكندرية أكثر تمشيا مع التجربة وأوفر ملاحظة فَواتى هذا الاتجاه الفكر العربي . لقد تقبل هذا الفكر بعض الاعتبارات النظرية لانه كان بحاجة اليها ولكنه اتجه اتجاها تجريبيا نجد ملامحه ومعالمه فيما كتبه اطباء الحضارة العربية الاسلامية وعلماؤها .

من المعروف أن اليونان كانوا يعتمدون في تأملهم المادة على فكرة العناصر الاربعة وهي الارض والماء والهواء والنار . ولفظ العناصر هذا له مرادفات يحسن جلاؤها أول الامر . ذلك أن اللغة العربية واسعة وغنية فاستعمل العلماء العرب ألفاظا متحدة بالذات مختلفة بالاعتبار ولكنها في النهاية تدل على تصورات واحدة . وتلك الالفاظ هي الركن والعنصر والاصل والاسطقس والمادة والهيولى والموضوع . وهي قد تدل دلالة واحدة ولكن هذه الدلالة تختلف من جهة الاعتبار . وذلك لان الشيء الذي يتكون منه شيء آخر لابد من أن يكون قابلاً للصور ، فباعتبار كونه قابلا للصور مطلقا من غير تخصيص بصورة معينة يسمى هيولى . وباعتبار كونه قابلا لصورة معينة يسمى مادة (وقد يقال له بهذا

الاعتبار طينة وجبلة) . وباعتبار الصورة حاصلة فيه بالعقل يسمى موضوعا . وباعتبار كونه جزءا من المركب يسمى ركنا . وباعتبار كونه يبتدىء منه التركيب يسمى عنصرا . وباعتبار كون ذلك المركب مأخوذا منه يسمى اصلا ، لان أصل الشيء مامنه الشيء .

ويقابل تلك العناصر الاربعة الطبائع الاربع وهي اليبوسة والرطوبة والبرودة والنار . وقد تسمى هذه أوائل الملموسات أو الكيفيات الأُوَل .

هذه الطبائع الاربع تتمثل ممتزجة في جسم الانسان بالاخلاط الاربعة . وهي الدم وهو حار رطب ، والبلغم وهو بارد رطب ، والصفراء وهو حار يابس ، والسوداء وهو بارد يابس . وكل واحد منها ينقسم الى طبيعي وغير طبيعي . والطبيعي أو المحمود هو الذي من شأنه ان يصير جزءا من جوهر المغتذي وحده أو مع غيره . وغير الطبيعي أو الرديء هو الذي ليس من شأنه ذلك .

والمزاج في الاصل مصدر مازج نقله الحكماء والاطباء الى ماركّب عليه الشيء من الطبائع . والمزاج في الاشياء ينقسم الى أول وثان . فالاول هو الحادث عن مجرد امتزاج العناصر . والثاني هو الحادث عن امتزاج الامزجة كالترياق فان لكل من مفرداته مزاجا خاصا وللمجموع مزاجا آخر . وهذا الثاني قد يكون صناعيا كمزاج الترياق وطبيعيا كمزاج اللبن .

ومزاج البدن ماركب عليه من الاخلاط الاربعة . والامزجة تنقسم في كيفية واحدة الى حار وبارد ورطب ويابس . وتنقسم في كيفيتين الى حار رطب وحار يابس وبارد رطب وبارد يابس . وهكذا تكون الامزجة موازية أو مساوية للاخلاط الاربعة

والمزاج ينقسم أيضا بحسب الكيفية والكمية الى معتدل أو مستو والى غير معتدل أو مختلف . ومعنى المعتدل عند الاطباء مايتوافر من كميات العناصر وكيفياتها القسط الذي ينبغي له وما يليق بحاله ويكون أنسب بأفعاله . وغير المعتدل مالا يتوافر ذلك فيه .

والصحة هيئة طبيعية يكون بها بدن الانسان في مزاجه وتركيبه بحيث تصدر عنه الافعال كلها صحيحة سليمة . ويقابلها المرض عند فريق من الاطباء فلا واسطة بين الصحة والمرض إذ لاخروج من النفي والاثبات . وهنالك فريق من الاطباء ذهب الى الواسطة كجالينوس ومن تبعه ، ومنهم ابن زهر ، وسمّوا الواسطة الحالة الثالثة .

وهكذا نفهم كلام ابن زهر حين يرى أن « هذه المزاجات تكون طبيعية منذ خلق الانسان وتكون عرضية . ووجه الصواب فيما هو عرضي أن ترده الى مزاجه الطبيعي بالادوية والاغذية . واعتمد في ذلك على مثل مايكون انحرافه من ضد الجهة التي مال اليها المزاج بنقصان بعض درجة ، فانك بالدؤوب تنقل المزاج من غير أن تحدث آفة في البدن . فان المزاج اذا انحرف الى جهة ورام الطبيب صرفه سريعا ، إن كانت القوة في البدن قوية ، احتمل ذلك وشفاه الله ، وأما إن كانت القوة ضعيفة ، إما خلقة وإما بالسن والكبرة ، فاني لا آمن عليه أن يتلفه مع مزاجه ، فالحزم ماذكرته . هذا فيما هو عرضي ، وأما ماهو طبيعي فأنت في الامر بين شيئين في جميع الاعضاء ، بين أن تبقيه على حاله فيكون صاحبه يسمى صحيحا ، وإما أن تنقله رويدا رويدا الى ضد الجهة التي مال اليها مزاجه . وليس يمكنك هذا الا فيمن هو في سن الصبا والغاية في سن الشبيبة ، وأما فيمن أسن فليس يمكنك ذلك . ولا مع الصبي يتم ذلك الا مع فراغ وتمكن وأمور لاتخرجه عن فعل ماينبغي » . (ص ٢٨٦) .

وكذلك نفهم تمحيصه في التعبير وتفريقه بين مصطلحاته المتقاربة حين يقول : « وقولي لك بلغم وبلغمي وصفراء وصفراوي ودم ودموي وسوداء وسوداوي ليس قولي ذلك بمعنى واحد فان البلغم الذي هو رطب المزاج بالقوة بارد المزاج بالقوة أيضا . وما قلت فيه بلغمي يمكن ان يكون رطب المزاج ولا يقال فيه بارد المزاج لحرارة تسلطت عليه أو لعفونة .

وكذلك قولي صفراء هو ماهو لطيف الجوهر حار المزاج يابسه صَيَّرَتْه كذلك إحالة الكبد . وما قلت فيه صفراوي قد يكون حارا يابسا ولا يكون لطيفا كالصفراء المُحيّة وغيرها . وكذلك قولي دم هو الجوهر الحار الرطب الملائم لحياة الانسان . وقولي دموي ربما قلته عما قد استحال الى الحمرة من غير أن تكون استحالته كلية في جملة جوهره أو يكون قد احترق بعض الاحتراق فخرج عن حد الدم الحقيقي ، ولكنه يقال فيه دموي . وأما السوداء فانما هي الخلط البارد اليابس وهو من أركان البدن . وقولي سوداوي انما هو مالم يكن كذلك باحالة طبيعية محمودة على طريق الصلاح والفلاح الى تلك الرتبة ، وانما خرج بأي حرارة اتفق الى أن صار خليطاً سوداويا . وهذا الخلط ليس من أركان البدن ولا واحدا مما تقدم ذكره من الاركان . » (ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣) .

وعلى الغالب تقسم الامراض المفردة ثلاثة أجناس : سوء المزاج وسوء التركيب وتفرق الاتصال . يحصل سوء المزاج اذا صارت احدى الكيفيات الاربع أزيد أو أنقص مما ينبغي بحيث لاتبقى الافعال سليمة . وسوء التركيب عبارة عن مقدار أو عدد أو وضع أو شكل أو انسداد مجرى يُخِلُّ بالافعال . وتفرق الاتصال أو انتقاضه مايحدث عن قطع وفسخ وهشم ورضّ أو ماشابه ذلك من تمدد شديد أو شيء أكّال كالحمض أو مرارة بعض

العقاقير كالتافسيا و الخردل (التيسير ص ١١٨ و ١١٩) .

تتم المعالجة والتأثير بالغذاء وبالدواء كما تتم بالراحة وتحسين الشروط المحيطة .

فالغذاء مايكون به نماء الجسم وقوامه من الطعام والشراب أو هو مايقوم بدل مايتحلل في الجسم . هذا وكل مامن شأنه أن يصير بدلا لما يتحلل من بدن الانسان قبل وروده عليه يسمى طعاما وغذاء بالقوة ، وبعد وروده واستحالته الى مشابهة الاعضاء يسمى غذاء بالفعل . والغذاء على حد تعبيرهم أيضاً منه لطيف ومنه كثيف ومنه معتدل . فاللطيف هو الذي يتولد منه دم رقيق ، والكثيف هو الذي يتولد منه دم ثخين ، والمعتدل بين بين . وكل واحد من الاقسام قد يكون كثير التغذية وقد يكون قليل التغذية .

والكيلوس غذاء لم تتغير صورته النوعية بالكلية وهو رطب سيال شبيه بماء الكشك يحصل عن الطعام المختلط في المعدة .

والكيموس غذاء تغيرت صورته الاولى بالكلية . ويقال : هذا الطعام يولد كيموسا جيدا أو رديا .

والاغذية كسائر الاشياء ذوات أمزجة . فالفلفل ونحوه حار بالقوة على حين النار حارة بالفعل ، والخس والهندباء باردان بالقوة على حين الثلج بارد بالفعل وهكذا . والدواء مايؤثر في البدن أثراً ما بكيفيةٍ . وهو مفرد وهو الدواء الواحد . وهو إما نبات ، ويكون ثمرا أو بذورا أو زهرا أو ورقا أو قضبانا أو أصولا أو قشورا أو عصارات أو البانا (آتيا من اليتوعات) أو صموغا . وإما معدني وإما حيواني . أو هو مركب وهو مايكون مركبا من دواءين أو أكثر كالترياقات والمعجونات والايارجات والمطبوخات والحبوب واللعوقات والاقراص والجوارشنات والأضمدة

والاطلية والادهنة والاشربة والربوب والانبجات أي المربيات .

والدواء اسم لما يستعمل لقصد ازالة المرض والالم أو لاجل حفظ الصحة ليبقي على الصحة بخلاف الغذاء فانه اسم لما يستعمل بقصد تربية البدن وابقائه ليتحصل بدل مايتحلل بسبب الحرارة الغزيرة أو بسبب عروض العوارض .

وهناك دواء مطلق ودواء سمي ودواء غذائي وغذاء دوائي . والدواء المعتدل هو الذي يَرِد على البدن الانساني المعتدل وينفعل عن قواه بالحرارة الغريزية دون أن يؤثر فيه بكيفية زائدة على كيفيته وهذا الدواء خارج عن مطلق الدواء .

أما سائر الادوية فلها أربع درجات فالاولى أن يؤثر الدواء في البدن بكيفية زائدة على كيفيته دون أن يكون محسوسا احساسا ظاهرا . وهو يسخن ويبرد مثلا تسخينا وتبريدا لايحس به احساسا ظاهرا . لكن ان تكرر التناول أو كثر مقدار المتناول فيحس به احساسا ظاهرا . والدرجة الثانية أن يكون الفعل فيه أقوى من ذلك بأن يكون تأثيره محسوسا لكن لايبلغ ذلك الفعل أن يضر بالافعال ضررا بيّنا الا أن يتكثر أو يتكرر . والدرجة الثالثة أن يكون الفعل فيه موجبا بالذات أضرارا بَيّنةً لكن لا يبلغ الى أن يهلكه ويفسده الا أن يتكثر أو يتكرر . والدرجة الرابعة أن يكون الفعل بحيث يبلغ أن يهلكه ويفسده . ويسمى الدواء الذي في هذه الدرجة بالدواء السمي وهو غير السم لان هذا الدواء قاتل بكيفيته والسم قاتل بصورته النوعية .

ولابد في معرفة الدرجة من تعيين مقدار مخصوص من الدواء بحيث اذا ورد على البدن ترك فيه أثرا ما . فمعنى الحار في الأولى أن يخرج عن المعتدل بجزء واحد حار ، وفي الثانية عن الأولى بجزء واحد ، وكذلك

الثالثة عن الثانية ، والرابعة عن الثالثة . وتركيب الأدوية ناشىء عن اختلاط الأخلاط المرضة . « وكما أن الأخلاط المرضة اختلطت يجب أن تخلط الأدوية في علاجها واصلاحها بذاتها وفي إخراجها بالادوية المسهلة » (التيسير ص ١٤٧) وعلى الطبيب أن يعرف كيف يستعمل الأدوية حسب درجاتها : « ويجب أن تعلم أن النخاع كما سائر الأعضاء ، متى خرج عن مزاجه الطبيعي من حيث إنه نخاع ، يجب أن تسعى في رد مزاجه عليه كيفما امكنك . لكن تجنب الافراط ولا تتعدّ في أدويتك وخاصة في النخاع الدرجة الثانة ، واجعل ترددك مابين أول الدرجة الثانية الى أول الدرجة الثالثة ومع ذلك فلا تُخْلِ دواءك من قوة يسيرة فيها قبض . وأما العطرية فاعتمدها جزافا من غير حذر ولا توقّ . وانما تنظر أو تتحرى فيما يُحر أو يبرد أو يرطب أو يجفف » (ص ١٣٨ - ١٣٩) .

هذا و « حكم الدواء وحكم الغذاء مختلفان ... وبينهما فرق عظيم وذلك أن الدواء انما نقدره بحسب المزاج والسن والوقت الحاضر والبلد وبحسب المرض ، والغذاء أيضا ندبره بحسب ذلك . غير أنا لاننسى واحدة : أن الغذاء اذا كان منافرا للمزاج منافرة شديدة وبعد عنه وان كان مقاوما للأسباب المرضة لم يغتذِ به البدن واندفع مع الفضول . فيجب أن يتوسط الحال وينظر جيدا . ولا تغفل هذه الزيادة فلا تُمِلِ الغذاء الى ضد الجهة المرضة » (ص ١٣٠ - ١٣١) (هذه الملاحظة من نوع المداواة بالمثل) .

ويعتمد الطبيب في تركيب العقاقير النباتية على الافادة من خصائصها مجتمعة تلقاء الاخلاط المختلفة كما سلف أو من تلطيف بعضها

خصائص بعض وقواه كتعديل الكثيراء من حدة شحم الحنظل واكرابه (ص ٣٢٤ ـ ٣٢٥) . هذا ويستعملها في أشكال شتى : نقعا وطبخا وعصارة ودهنا وشما وغير ذلك .

وقد تستفيد الصيدلة الاندلسية من الصيدلة المشرقية في اعتماد بعض الادوية المركبة يتناقله الابناء عن الآباء : « ولم أجد بالتجربة شيئا اسرع فعلا في ذلك من دهن كان جدّي عبد الملك الحاج رحمه الله جلبه من المشرق وكان يعرفه بالبشامي . وكذلك لم أجد في نفع المفلوج اذا دهن به مؤخر رأسه مع فقاره مثله . وهو دهن أصفر اللون رقيق القوام عطر الرائحة حارها لطيف الجوهر قد شاهدت مرارا خلقا فتت حصاهم في أربع وعشرين ساعة . هذا أسرع مارأيته وأعجبه . » (ص ٢٧٧) .

ولم يدع الباحثون العرب في تمحيصهم وسيلة لشفاء المرض دون أن يلتمسوها أيما كانت وأنّى وجدت . وقد انتبهوا لعفن الخوابي التي تخزن فيها الاجبان للمؤونة فاستعملوه في معالجة بعض الامراض الجلدية الغامضة . وفي بحث الثآليل يذكر ابن زهر أنه « ان وضع عليه (على الثؤلول) شيء من دهن الجبن الموجود في الخوابي التي يختزن الجبن القديم فيها فانه ييبسه حتى يسقط بإذن الله » (ص ٣٤٦) . ومن المعروف أن العفن يستخرج منه بعض الصادّات الحيوية اليوم . وربما كانت قراءة الكتب القديمة المترجمة الى اللاتينية أوحت الى الباحثين الحديثين باستعمال هذا العفن وأمثاله ومزاولته واستخراج المادة الحية الفطرية التي تصطلم الآفة ، إذ لابدّ في الكشف عن شيء جديد من نواة إلهام تدفع اليه .

والأعضاء الرئيسية في البدن أربعة وهي الدماغ والقلب والكبد والأنثيان (وهما الخصيتان في الذكر والمبيضان في الانثى) .

وثمة ألفاظ مشتركة في التراث أو متقاربة . فلا بد للطبيب العالم اذا استعمل بعضها أن يشرح المعنى الدقيق الذي يريده . ومن تلك الألفاظ الروح . « قولي روح إنما أعني به ذلك الجوهر اللطيف الذي يكون في القلب والذي يكون فيما شأنه أن يكون فيها من الأعضاء . ولست أريد بذلك الروح الذي أمره مجهول ، تقصر عقولنا عن علمه وهو الذي نحيا به ونموت عندما يقبض بقدرة الله عنا . وإنما أريد بقولي روحٌ البخارَ اللطيف الذي يكون في القلب وفي غيره من الأعضاء التي شأنها أن يكون نوع من ذلك فيها » (ص ٣٨٩ - ٣٩٠) .

وكذلك الرطوبة لفظ مشترك « فإن الرطوبة تقع على الكيفية كما نقول عود السوس مرطب بازاء مانقول إن تبن القمح مجفف ونقول رطوبة نريد شيئاً متميعاً وإن كان يجفف بطبعه ، فنقول للصفراء رطوبة وللخل رطوبة وكلاهما يجفف » (ص ٨٣) .

ويفرق ابن زهر بين الورم والتورم : « قولي تورم إنما أريد غلظا يحدث في العضو غير طبيعي كالذي يعرض في يدي من يضرب بالمجاذيف من غير اعتياد أو من يحمل على عضو من أعضائه خردلاً أو تافسيا . وأما إذا قلت ورما فإنما أريد مادة منحصرة في موضع من البدن قد انقطعت فيه حتى لايصل التنفس النبضي الى الموضع على ماكان يصل قبل » (ص ١٠٠) .

كذلك يفرق بين الحار الغريزي والحرارة الغزيرية التي الحار الغريزي ينبوعها من جهة والحرارة العرضية من جهة مقابلة . « قولي حار غريزي انما أريد به إما الروح الذي ينبوعه القلب واما الروح الذي ينبوعه الكبد أو مجموعاً منهما . هذه الحرارة مصلحة للبدن أبدا ، كما أن الحرارة العرضية تخل بافعال الأعضاء أيا كانت من تعب أو من مجاورة

شيء حـــار أو من اهتمام أو من غضب أو من أي شيء كانت وهي كثيراً ماتُحـدث حرارة أخرى هي على الحمى أضر منهـا بكثير ، وهي الحرارة العفونيـة كما يكـون في الحميـات التي بـأدوار المقلعـة وغير المقلعـة التي من أصنافها المسماة سونوخوس وهي التي لا تقلع كأنها نوبة واحدة الى أن يبرأ العليل أو يموت بقدره وبلوغ أجله . وهذه الحرارة هي التي بسببهـا تُنتن جثث الموتى من الحيوان وبهـا ينتقض اتصـال أعضـائهـا . ولـولا مقـاومـة الحرارة الغريـزيـة لهـا ومـا تتنفســه من الهـواء لعرض للجثث الحيــة في الحميـات من تلـك الحرارة العفونيـة مثـل مـا يعرض في الجثث الميتـة من التزلع وانتقاض الاتصال » . (ص ١٠١ ـ ١٠٢)

والقوى التي تمسك على الجسم اعتدالـه أربع وهي الجـاذبـة والمـاسكـة والمغّيرة والدافعة (ص ٢٧٢) .

وثمـة الفـاظ وردت في التيسير وغيره مخصوصـة المعنى في الطب . فالقدح إخراج الماء الفاسد من العين .

والاستفراغ إخراج الفضول بـالقيء أو بـالرعـاف أو بـالتليين أو بالاسهال أو بالفصد أو بـالشراب أو بـالعرق أو نحو ذلـك . وقـد يطلق لفظ النفض على اخراج الفضول من البدن بالعلاج أيضاً . وللفصد عندهم في الطب مكانة كبرى .

والردع منع انصباب المادة الى العضو ومنع العضو من قبولها .

والدواء الذي يفعل ذلك يقال لـه الرادع . واستعمل ابن زهر لفـظ المردع .والبحران حـالـة تُحـدث للعليـل دفعــة استفراغـا وتغيرا عظيـا ويكون هذا في الأمراض الحادة ، وينتقل المريض من البحران الى صلاح أو إلى ماهو أشد مما هو فيه . « إنه مجاهـدة بين قوى البـدن وبين الخلـط الممرض » على حد تعريف ابن زهر (ص ٤١١) .

وابن زهر يُعْجَب خاصة بجالينوس ويتبعه في تصرفه الطبي وفيما يذكره عن أبيه . ولكنه إلى جانب ذلك يذكر مشاهداته فيقول : « قد رأيت ذلك مشاهدة » أو يذكر ماجربه هو نفسه على الحيوان : « كنت في وقت طلبي إذ قرأت هـذه الأقوال شققت قصبة رئة عنز بعد ان قطعت الجلد والغشاء تحته وقطعت من جوهر القصبة قطعاً باتا دون قدر الترمسة ثم التزمت غسل الجرح بالماء والعسل حتى التأم وأفاق إفاقة كلية وعاش مدة طويلة . وعندما أخذ الجرح في الانكماش والاندماج كان يذرَّر عليه جوز السرو مسحوقا منخولا حتى أفاق . ولكن هذا شيء لم يستعمله أحد ممن لحقناه وممن لحقه سلفنا . » (ص ١٤٩ ـ ١٥٠) . وقد يجلو المؤلف أوهاما دخلت عقول الاطباء : « لما كان الانسان على مذهب جالينوس تكوّنه من مني الاب ومن مني الام بقدرة الله واغتذاؤه منذ أول الحمل من الدم الآتي إلى الرحم ، وقد قال جالينوس في ذلك دم الطمث ، ظن كثير من أئمة علم الطب ذلك واعتقدوه على ماذكره ظاهرا . وليس الامر كذلك فان جالينوس انما جرى على عادة اليونانيين في أنهم يسمون كل دم يأتي الى الرحم طمثا يسمونه بحسب العضو كما جرت عادتهم أن يسموا كل مايكون في الحلوق من الأورام ، كان من خلط صفراوي أو من خلط سوداوي أو من خلط بلغمي أو من خلط دموي إذا كان الورم في الحلق ، ذبحة ، ويسمون كل ورم يكون في الغشاء المستبطن للأضلاع شوصة ، ويسمون كل ورم يكون في القدمين نقرسا كان من أي خلط كان ، كذلك لا محالة جرت عادتهم أن يسموا الدم اذا انصب الى الرحم طمثا . وأما الطمث الحقيقي وهو الذي ينقى به دم المرأة فلو اغتذى به لم يعش الجنين البتة . وانما يغتذى الجنين من أفضل دم يكون في بدن الأم » (ص ٤٣٢)

ومن أفضل مافي الطب العربي هذه النظرة الكلية إلى المريض . فاعضاء البدن مرتبط بعضها ببعض صحة ومرضا ، والبدن والنفس يقترن كلاهما بالآخر . وكذلك السن والوقت والمحيط والذكورة والأنوثة كل ذلك يجب الانتباه له عند المعالجة . ويستبين هذا لدى مطالعة الكتاب ووصف الدواء المناسب لكل داء . هذا إلى العناية الكبيرة بالمريض والاهتمام الدائم بشأنه .

كما أن أفضل مافيه اعتماد التجربة فهي المحك والفيصل القاطع . وهذا ما وجه العلم الانساني وجهة جديدة تجاوزت العلم اليوناني وغيره . « كل ماذكرته في كتابي هذا وأثبته لا شك انه سيروم من يتعسف تزييفه بالكلام وأنا أحاكمهم كنت حيا أو ميتا إلى التجربة . فان الكلام يدخله الصدق والكذب . والحجج منها ما هو برهان ومنها ماهو إقناع ومنها ماهو سفسطة ومنها ماهو تخيل . والبرهان هو ميزان حق في الحجج . لكن كثيرا ماتدخل فيه أقوال إما جدلية اقناعية وإما سفسطة وإما أقوال تخيلية . وليس يفرق بين الاقوال إلا البصير بعلم المنطق وخاصة إن كان بصيرا بعلم الطب . فحينئذ يمكنه أن يميز الحق من الباطل فيما يكون له بالطب معلق . وكثيراً ماقد يّموِه عليه مَنْ شأنه اللجاجة . والتجربة وحدها هي التي تثبت الحقائق وتذهب البواطل » (٣٢٦ ـ ٣٢٧) .

تعليقات وشروح

أ ـ كل نظام فكري علمياً كان أو فنياً أو غير ذلك يستند في قواعده على مصادرات أو ما يدعى الآن أوليّات . وهي تُفرَض وتقبل حسب العصر التاريخي والتقدم العلمي النسبي الحاصل فيه . ولقد بحث المفكرون قديماً كما هو معروف عن العناصر الأولى في الطبيعة فحسبوا أنها تنحصر في أربعة عناصر وهي الماء والهواء والنار والتراب . وبنوا على ذلك نظاماً فكرياً واسعاً أفاض فيه العرب . وربما كان توهم هذا الحصر متصلاً بما تأملوه وتخيلوه فهو يشف عن طبائع الخيال الانساني المتصل بهذه العناصر وقدرته إذ ذاك على التحليل كما ذهب إلى ذلك الفيلسوف الفرنسي غاستون بشلار وأمثاله . ولقد بحث هذا الفيلسوف طبائع الخيال الأربع هذه في الأدب خاصة .

ثم لما تقدم العلم وجد الباحثون أن الماء والهواء والتراب مواد مركبة وعرفوا العناصر التي تتركب منها ونسب هذه العناصر حين استطاعوا تحليلها الكيفي والكمي ووجدوا أن النار إذا نظر إلى الحرارة الناشئة منها فحرارتها ضرب من ضروب الطاقة .

وقامت على هذه الاعتبارات اتجاهات علمية جديدة تجاوزت مرحلة العناصر الأربعة . ولكن العلماء في عصر متأخر حسبوا أن العناصر الأولى من معدنيات وأشباه معدنيات محصورة العدد في الطبيعة كما هو معروف في جدول مندلييف . فنشأ من ذلك نظام علمي جديد .

ثم استطاع العلماء البلوغ إلى اطراف المادة الدقيقة وأجزاء الطاقة وتبينوا خواص الذرات وتصوروا بنية كل منها كما عرفوا إشعاع بعضها

وإمكان تحول بعضها إلى بعض وتمكنوا من صنع ذرات مشعة جديدة إلى جانب ماعرفوه من متاكنات تلك الذرات ثم أدركوا إمكان تحول المادة إلى طاقة والطاقة إلى مادة فقام على ذلك نظام فكري أحدث مما سبقه . وذلك كله في مجال الفيزياء والكيمياء . يضاف إلى ذلك التقدم الهائل الذي حصل في علم الأحياء وعلم الوراثة . وهذا كله ترتكز عليه نظم فكرية تتطور وتتبدل تدريجياً أو طفرات حسب المعرفة العلمية التاريخية النسبية .

وفي كل نظام فكري من تلك النظم لاغرو أن تنشأ تطبيقات مختلفة في شتى الميادين . ومن هذه الميادين علم الطب الذي هو علم تطبيقي .

ب ـ الألفاظ النباتية

(١) أنبج ، أنبجات

اللفظ اللاتيني mangifera indica

من الفصيلة البطمية anacardiaceae

اللفظ الفرنسي manguier , arbre de mango ,

اللفظ الانكليزي mango , mango - tree

ثمرة شجرة هندية شهية الطعم وهي التي تدعى اليوم منغا أو منجا باللهجة المصرية تؤكل وتربب وتعصر شراباً وتخلل . وقد تربب بالعسل وتحمل إلى البلاد فيقال للمربى أنبجاً ويجمع على أنبجات بمعنى المربيات وهذا اللفظ الأخير على صيغة الجمع هو المراد وهو الوارد في المقال .

(٢) تافسيا هو باللاتينية thapsia garganica من الفصيلة الخيمية um belliferae ، وبالفرنسية faux turbith, faux fenouil وبالانكليزية smouth

tapsia , drias plant وهو نبات طبي لفظه مشتق من جزيرة تافسوس Thapsus وهي قريبة من ساحل تونس الشرقي ، أي قريبة من قرطاجة قديماً ، وكانت تابعة للفينيقيين (في الجغرافية القديمة)

(٣) حنظل هو باللاتينية citrullus colocynthis

من الفصيلة القرعية cicurbitaceae

وبالفرنسية coloquinte

وبالانكليزية colocynth

وقد ورد في اللغة الحمظل أحياناً مكان الحنظل ويقال لشجرة الحنظل الحنتم ولحبّه الهبد والهبيد . ولمرارته يطلق لفظه العربي على كل ماهو شديد المرارة .

(٤) زرِشْك هو باللاتينية berberis vulgaris

من فصيلة البرباريسيات berberidaceae

وهو بالفرنسية vinettier , épine - vinette

وبالانكليزية pipperidge , berberry , barberry

ويقال له أنبرباريس وأثرار .

(٥) الكثيراء هي باللاتينية astragalus

من فصيلة القرنيات leguminosae

وهي بالفرنسية tragacanthe , astragale

وبالانكليزية milk vetch , astragal

ولها أنواع شتى ويقال لبعض هذه الانواع القتاد ولآخر العنزوت والانزروت .

(٦) لحية التيس هو باللاتينية tragopogon pratensis

ومعناها لحية التيس ترجمة عن العربية

وهو من الفصيلة المركبة compositae

وهو بالفرنسية Salsifis des prés , barbe de bouc

وبالانكليزية yellow goat's beard

له جذور تطبخ وتؤكل .

(٧) اليتوع يقال في اللاتينية euphorbia

وهو من الفصيلة اليتوعية أو الفربيونية euphorbiaceae

وفي الفرنسيةeuphorbe

وبالانكلزية spurge

وقد تشدد التاء في اللفظ العربي أو تقدم على الياء وتشدد الياء فهو التيوع واليتّوع والتيّوع .

ويقال له فربيون . وهو يطلق على كل نبات له لبن دارّ أي يسيل إذا قطع .

ج ـ الأدوية المركبة

(١) أيارج Hiera

اللفظ من أصل يوناني ومعناه الدواء الالهي وهو معجون مسهل وله أنواع

(٢) ترياق بالانكليزية Theriaca , Theriacو بالفرنسية Thériaque

اللفظ من أصل يوناني مشتق من لفظ Thêrion أي الوحش وهو مركب من مواد كثيرة يبلغ عددها السبعين أحياناً كان يعد شافيا من مختلف أنواع السموم وله أصناف عدة . وقد يوصف به مركبات حديثة بسبب احتوائها على مادة الأفيون فهي مسكنة للآلام .

(٣) جُوارش بلانون وجُوارِشْن بالنون ومعناه باللغة الفارسية هاضم الطعام وأكثر مايقع هذا الاسم على المعاجين المحلاة بالسكر والعسل وله

أنواع متعددة .

ويترجم عادة إلى الفرنسية بلفظ électuaire والى الانكليزية بلفظ electuary واشتق اللفظان المتشابهان الانكليزي والفرنسي حوالى عام ١٣٨٠ م من اللفظ اللاتيني electus بمعنى المختار وهذا من اليوناني ekleiktein وهو فعل بمعنىلحس وذلك ترجمة للفظ العربي الفارسي .

د ـ الأمراض

ورد في المقال لفظ الذبحة وهو بضم الذال وفتح الحاء وعرفّته الكتب الطبية العربية بأنه ورم حاد في العضلات من جانب الحلقوم التي بها يكون البلع . وفرق الأطباء العرب القدماء بين ورم اللوزتين والعضلات المحيطة بها وعضلات الحنجرة فإن كان الورم في العضلات الخارجية فهو الخناق ، وإن كان في العضلات الداخلة فهو الذبحة . وقد يطلق الخناق عليهما جميعاً لاشتراكهما في الأعراض ويقابل اللفظ العربي angine الفرنسية و angina وتذكر كتب اللغة الأجنبية أن هذين اللفظين آتيان من اللاتينية angina من angere أي ضيق الحلقوم وأنها وضعت عام ١٥٣٨ م

ورد في هذا المقال أيضاً لفظ الشَوْصة ومعناه في كتب الطب القديم وَرم في حجاب الاضلاع تحت الحجاب الحاجز يحدث معه وجع لا يقدر العليل معه أن يتحرك ولاينام على شكل من الأشكال ويقابله اليوم في اللغة الفرنسية pleurésie purulente وفي الانكليزية thoracic empyema وربما قوبل أيضاً بلفظ empième الفرنسي و empyema الانكليزي

هذا ، وفيما سبق إنما شرحنا الألفاظ القليلة الاستعمال وضربنا صفحاً عما هو متداول .

كلمات حائرة

الدكتور مختار هاشم

هناك كلمات حائرة لاتهتدي الى معناها ، فهي لم تَرْضَ بالمعنى الأصلي الذي استحقته بل زاحمت رفيقتها على معناها وجعلتها تنكمش من مجال الاستعمال وتقبع في زوايا المعجمات أو تنطلق انطلاقاً جديداً فلا تجد بدّاً من الارتباط بالمعنى الذي أهملته صاحبتها ، أو أن الكلمة يفرض عليها التخلي عن معناها الأصلي ومبادلة رفيقة لها به .

هذا ما كان من أمر بعض أزواج الكلم كالمعدن الذي كان في الأصل يدل على مكان عدون جواهر الأرض على اختلاف أجناسها ، فإذا به يدلّ على جواهر الأرض نفسها ويدلّ على جنس مخصوص من جواهر الأرض ، فهذه الكلمة عَدَت على معنى الفلزّ الذي انطوى على نفسه وعاد لايدري أيّ وظيفة يؤديها . كذلك الأشنة فقدت معناها الأصلي وأخذت معنى الطحلب فلم يجد الطحلب بدّاً من القبول بالمبادلة .

وما وقع لهذه الكلمات أحدث كثيراً من الفوضى والبلبلة في كتب المصطلحات العلمية في اللغة العربية ولكنه واقعٌ تفسّره نواميسُ تطوّر معاني الكلم ، وليس بدعاً في تاريخ اللغات . فقد يدلّ اللفظ على شيء محسوس وعندئذٍ يمكن تعريفه بالإشارة ، وقد يدلّ على معنى مجرّد فلا يمكن تعريفه إلا بعد تحديد مفهومه ، وهذا أمر صعب المنال محفوف بالمآزق ، لأن المفهومات متصلة بالمنظور الحضاري وخاضعة لسنة النشوء

والتطوّر . والتعريف بالإشارة وإن كان سهلاً فهو غير قابل للاستخدام إلا في حالات محدودة .

وما كان وضع (علم الدلالة[1]) من قبيل الترف الذهني بل جاء تلبية لحاجات ماسّة ، وما أدراكَ مايواجه هذا العلم من عقبات ، فالكلمات تختلف معانيها من زمان إلى زمان ومن مجتمع إلى مجتمع ومن فئة إلى فئة في نطاق المجتمع الواحد . والمعنى ليس شكلاً هندسياً محدوداً بل صورة ذات ألوان وظلال ولا يمكن استقراء دلالة كلمة بمفردها بل لابدّ من استقراء المجال اللغوي برمّته .

ولنتصدّ الآن لمثالين من الكلمات التي ألمعت إليها .

المَعْدِنُ والفِلِزّ

جاء في لسان العرب (عدن) : « المعدِن بكسر الدال وهو المكان الذي يثبت فيه الناس لأن أهله يقيمون فيه ولا يتحوَّلون عنه شتاءً ولا صيفاً ، ومعدن كل شيء من ذلك ، ومعدن الذهب والفضة سمي معدناً لإنبات الله فيه جوهرها وإثباته إيّاه في الأرض حتى عَدَن أي ثبت فيها . وقال الليث : المعدن مكان كل شيء يكون فيه أصله ومبدؤه نحو معدن الذهب والفضة والأشياء . وفي الحديث : فعن معادن العرب تسألوني ! قالوا : نعم ، أي أصولها التي ينسبون إليها ويتفاخرون بها . وفلان معدن للخير والكرم إذا جُبِل عليهما ، على المَثَل ؛ وقال أبو سعيد في قول المُخَبَّل :

---

(١) يدعى بالفرنسية والانكليزية Semantique ، Semantic وكان من الممكن ترجمته بعلم المعاني لولا محذور الالتباس بعلم المعاني الذي يدخل في علوم البلاغة العربية إلا أنه يبدو لي أن بين العلمين مجالاً مشتركاً وحبذا لو انتدب باحث لدراسة هذه الناحية .

خَوَامِسُ تنشقُّ العصا عن رؤوسها كما صدع الصخر الثقالَ المُعَدِّنُ

قال : المعدِّن الذي يُخرج من المعدن الصخرَ ثم يكسرها يبتغي فيها الذهب . وفي حديث بلال ابن الحارث : أنه أقطعه معادن القَبَلِيّة ؛ المعادن : المواضع التي يستخرج منها جواهر الأرض » .

وجاء في اللسان (فلز) : « الفِلَزّ والفِلِزّ والفُلُزّ : النحاس الأبيض تجعل منه القدور العظام المُفْرَغَة والهاوُنات . والفِلَزُّ والفِلِزّ : الحجارة . وقيل : هو جميع جواهر الأرض من الذهب والفضة والنحاس وأشباهها وما يُرْمَى من خبثها . وفي حديث علي ، كرم الله وجهه : من فِلِزّ اللُّجَين والعقيان ، وأصله الصلابة والشدّة والغلظ ، ورواه ثعلب : الفُلُزّ ، ورواه ابن الأعرابي بالقاف وسيأتي ذكره . والفِلِزّ أيضاً ، بالكسر وتشديد الزاي : خَبَثُ ما أُذيب من الذهب والفضّة والحديد وما ينفيه الكير مما يذاب من جواهر الأرض . وفي الحديث : كل فِلِزّ أُذيب ، هو من ذلك . ورجل فِلِزّ :غليظ شديد » .

ولنراجع الآن كلمتي معدن وفلزّ في معجم فارسي ـ فرنسي من القرن التاسع عشر الميلادي لنرى ماجرى لهاتين الكلمتين بين عصر صاحب اللسان وعصر صاحب هذا المعجم[٢] :

معدِن Pl معادِن

(1) Mine d′ on l′ on retire des mineraux

(٢) Dictionnaire français- persan de pierre Desmaisons

مخطوطة هذا المعجم تحمل تواريخ من سنوات ١٨٥٩ ـ ١٨٦٨ ، وقد طبع هذا المعجم سنة ١٩٠٨ ، ولايستنكر القارىء استخدامنا لمعجم فارسي ـ فرنسي لمتابعة تطور كلمات عربية فإنّ العربية لغة الحضارة الاسلامية في جميع بلاد العالم .

(2) Lieu popre ou primitif d' une chose , véritable source d' une chose

(3) mineraux , métaux

مَعدنيّ

(1) Appartenant à une mine

(2) Fossile , mineral

(3) Métal

(4) Métallique

مِعْدَن

Marteau pour casser les pierres

فِلِزّ

(1) Scories d' un métal fondu

(2) Métaux

(3) cuivre fondu

(4) Pièce de métal sur laquelle on essaie la trempe d' une lame en frappant dessus

(5) Homme dur , avare

(6) Homme robuste , fort

(7) Pierres et pierres précieuses

فأنت ترى أن ابن منظور لم يذكر لكلمة معدِن إلا معنى واحداً وذلك هو : الموضع الذي يستخرج منه جواهر الأرض : يستعمل استعمالاً أصلياً كما في حديث بلال بن الحارث ويستعمل استعمالاً مجازياً كما في حديث : فعن معادن العرب تسألوني وكما في قولهم : فلان معدن للخير والكرم .

وقد أورد (ديميزون) في تفسير معدِن الاستعمالين (1,2) وزاد عليهما في

(رقم 3) معنيين آخرين Mineraux , Metaux

وأورد في تفسير (فلزّ) سبعة معانٍ هي ترجمة لمعاني فلزّ الواردة في المعجمات العربية والتي ذكرها صاحب اللسان كلها ماعدا المعنى (4) : الضريبة تجرّب عليها السيوف والمعنى (5) : الرجل البخيل المتشدد ولعل (ديميزون) قد نقلها عن القاموس أو التاج . والجدير بالملاحظة أنه يقابل Métal pl. metaux بثلاث كلمات : معدِن ، معدنيّ ، فلزّ

والظاهر أن المعدِن لهذا المعنى مولّد متأخّر أما استعمال الفلزّ لهذا المعنى فقديم كما سنرى .

١ ـ جاء في **البيان والتبين** لعمرو بن بحر الجاحظ :

لما قام بشار بعذر ابليس في أن النار خير من الأرض وذكر واصلاً بما ذكره ، قال صفوان [الأنصاري] :

زعمتَ بأن النارَ أكرم عنصراً وفي الأرض تحيا في الحجارة والزند[٣]

إلى أن يقول :

وفي الحَرّة الرجلاء تُلفى معادن لهن مغارات تبجّس بالنقد
من الذهب الابريز والفضة التي تروق وتُصبي ذا القناعة والزهد
وكلّ فلزّ من نحاس وآنكٍ ومن زئبق حيٍّ ونوشادر سِندي
وفيها زرانيخ ومكر ومَرْتَكٌ ومن مرقشيتا غير كابٍ ولا مُكْدي
وفيها ضروب القار والشبّ والمها وأصناف كبريت مطاولة الوقْد

---

(٣) قصيدة رائعة تستحق الدرس العلمي لصلتها بالمعدنيات وتستحق الدرس الأدبي كما أن لها قيمة مميّزة في دراسة الحضارة إذ يتجلّى فيها الصراع الحضاري بين عبادة النار عند الآريين وتقديس الأرض المتّصل بعبادتها عند الساميين القدماء .

ترى العِرق منها في المقاطع لائحاً كما قدَّتِ الحسناء حاشية البُردِ
وفي كل أغوار البلاد معادن وفي ظاهر البيداء من مستوٍ نجد
وكلٌّ يواقيت الانام وحليها من الأرض والأحجار فاخرة المجد

ويفسّر الجاحظ الفلزّ : جوهر الأرض من الذهب والفضة والنحاس والآنك وغير ذلك . كما يورد شعراً لسليمان الأعمى (أخي مسلم بن الوليد الأنصاري) جاءت فيه كلمة (فِلزّ)

٢ ـ جاء في **ديوان الأدب** للفارابي[٤] : الفلزّ : ما أُذيب من جواهر الأرض . ولم يورد من معاني فلزّ السبعة إلا هذا المعنى .

٣ ـ قسّم **ابن سينا** المعدنيّات إلى أربع مجموعات[٥] :
الأحجار والأحجار الكريمة ، الفلزّات métaux ، المواد المشتعلة ، الأملاح .

٤ ـ كتاب **البيروني** (الجَماهِر في معرفة الجواهر)
يتألف صميم الكتاب من مقالتين :

المقالة الأولى في الجواهر وهي اللؤلؤ والأحجار الكريمة
المقالة الثانية في الفلزّات ويذكر فيها الزئبق والذهب والفضّة والنحاس والحديد والاسرب والخارصيني .

ويقول في الجواهر إنها مُثَمَّنات وإن بعض الفلزّات أثمان للجواهر (يشير

(٤) ديوان الأدب أول معجم عربي مرتّب بحسب الأبنية تأليف أبي إبراهيم اسحاق بن إبراهيم الفارابي المتوفى عام ٣٥٠ هـ .

(٥) نوّهت الموسوعة الفرنسية Univessalis بأعمال العرب في علم المعدنيات وبابن سينا الذي وضع هذا التصنيف الرباعي ، وكان ارسطو قسم عالَم المعدن إلى فلزات metaux وإلى أحافير أو حفائر Fossiles ، أما الموسوعة البريطانية فاغفلت العرب في هذا المجال ومرّت من أرسطو عند اليونان إلى اغريقولا مباشرة .

إلى استعمال بعض الفلزّات كالذهب والفضة والنحاس في التعامل بالنقود)
ويقول في الصفحة ٧٩ في أثناء كلامه في الياقوت الأبيض :« ... وذلك معين على اجتماع الماء عليه قطرات كاجتماعه على أواني الفلزّات المملوءة ثلجاً الموضوعة في الظل صيفاً » .

واسم (الجُماهِر) ينطبق على حقيقته وما أحراه بالتحقيق والتدبّر فهو لم يعتمد على السيمياء (بمعناها الأوربي المبتذل) بل اعتمد على المشاهدة الحسّية والتجربة المتّئدة وأدرك بطريقة (الامتحان المائي) حقائق غابت عمّن سبقه . وذلك قبل اغريقولا[٦] بزمان طويل .

ومن الطريف إنه يذكر المستحاثات ويشير إلى الحِقَب الجيولوجية التي مرّت في تاريخ تكوّن الأرض مستشهداً بأبيات عربية قديمة . ففي الصفحة ١٨٩ يقول : « ومتى استحجر حيوان أو نبات زال استبداع تحجّر الماء والأرض ، ولولا كثرة مشاهدة المتأملين ذلك لما تواتر على ألسنتهم قال الطِرِمّاح :

لنا الملك اذ صُمُّ الحجارةِ رطبةٌ وعهد الصَفا باللين من أقدم العهد

وقال العجّاج (أو رؤبة ابنه)

---

(٦) أشرت في حاشية سابقة إلى تجاهل أكثر الغربيين للتراث العربي ، وزعمهم أن المعدنيات لم تبدأ إلاّ باغريقولا الذي لقب أبا المعدنيّات . وهو عالم ألماني ولد في Chemnitz في ألمانيا بتاريخ ٢٤ ـ ٣ ـ ١٤٩٤ ودرس الأدب والفلسفة وفقه اللغة في جامعة (لايبتزغ) ، ثم رحل إلى إيطاليا فانتحل اسماً لاتينياً ودرس فيها الطب والفلسفة والعلوم الطبيعية .

ترجم كتابه (المعدنيات De re metallica) مهندس المعادن هربرت هوفر Hoover Herbert (أصبح المهندسُ المترجِم رئيساً للولايات المتحدة فيما بعد) وقال فيه : ان اغريقولا هو أول من بنى العلوم الطبيعية على المشاهدة والتجربة خلافاً لمن سبقه من العلماء الذين كانوا يعتمدون على التفكير النظري الذي لايجدي fruit-less

قـــد كان ذاكم زمن الفِطحــل والصخر مبتــلٌّ كطين الــوحــل

وقال آخر :

وكان رطيبـا يـوم ذلـك صخرهـا وكان حصيداً طلحها وسَيالُهـا » .

اليس زمن الفطحـل الحقبـة الجيولـوجيـة التي ظهرت فيهـا على سطـح الأرض الزواحف الجبّارة ؟ ألا يذكر البيت الأخير تطوراً مماثلاً في الحياة النباتية ؟

إن كتاب الجُماهِر معدن غني بالجواهر ولو استخرجنا كنوزه لأغنينا تراثنا اللغوي فهو يفسّر لنا القِبْقِب (نوع من الأصـداف البحريـة) والاضطهار (عيب في الجواهر ولفظ ضَمَر دارج عنـد الجوهريين في الشـام) والمخشلب (الوارد في شعر المتنبي) وكأن أبا سعيد بن دوس قصد الجماهر عنـدما قال :

عَــزّ الغــزال لِمسكــه لامَسكـــه والصرف للعقيــان لا الصَرَفـــان

شبـــه الــزمردّ لايكــون زمرّداً ولئن تقـــارب منهما الــوزنـــان

٥ ـ **عجائب المخلوقات** للقزويني :

يقول في (النظر الأول في المعدنيات)

وهي مع كثرة أفرادها داخلةٌ تحت ثلاثة أنواع :

(النوع الأول) الفلزّات .

(النوع الثاني) الأحجار

(النوع الثالث) الأجسام الدهنية

وردت في النسخة المطبوعة الأجسام الذهبيـة خطـأ ويـذكـر فيهـا الزئبق والكبريت والقير والنفـط والمومـاين ويفهم هـذا النـوع بـالاستئنـاس بتصنيف ابن سينا ، فإن هـذه الأجسـام تـدخل في مجموعـة المواد المشتعلة

وذلك إن القزويني يقول في مكان اخر : « وأما الأجسام الدهنية فمن الرطوبات المتخلّقة في باطن الأرض إذا احتوت عليها حرارة المعدن تحلّلت ولطفت واختلطت بتربة القاع وحرارة المعدن في نضجها وطبخها حتى تزداد غلظاً وتصير مثل الدهن » . وهو يدعو الفلزّات أيضاً الأجساد السبعة ويقول إنها تتولد من اختلاط الزئبق بالكبريت على اختلاف في الكم والكيف .

٦ ـ **نهاية الطلب** في شرح المكتسب للجلدكي :

« المعدني منطرق يندرج تحته ستة أشخاص صورية طبيعية غير مقيّدة كأشخاص الحيوان والنبات وهي الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والقصدير » الشرح : اعلم ان موضوع علم الصناعة هو البحث عن عوارض الفلزّات المنطرقة الذائبة ، كما قال الشيخ إن موضوع صناعة الكيمياء نوع واحد حقيقي يسمّى المعدنيّ المنطرق يندرج تحته ستة أشخاص صورية طبيعية . أما قوله : نوع واحد حقيقي يسمّى المعدني المنطرق فيحتاج إلى البرهان لأنه لايمكن كل أحد أن يسلّم ان ستة الاشخاص نوع واحد لاسيا من أبطل هذه الصناعة وأنكرها لأن المنكر يدعي إن كل شخص من هذه الستة نوع مفرد كالانسان والحيوان [فان ابن سينا] رأى ان كل واحد من هذه الصور الستة نوع حقيقي بمفرده تحت جنس واحد وهو المعدن مثل جنس النبات وفيه أنواع . وكما انه لايجوز أن يتحول الفرس كلباً ... كذلك يمتنع أن تعود الفضة ذهباً .

٧ ـ ولمّا كنا بصدد الخلاف بين القائلين بصناعة الكيمياء والمبطلين لهذه الصناعة ـ وكان أبو بكر الرازي من رؤوس القائلين بالرأي الأول وكان الشيخ ابن سينا من رؤوس القائلين بالرأي الثاني ـ وجدت من المناسب ذكر شيء عن أبي بكر الرازي :

في المكتبة القوميّة في باريس مخطوطة برقم ٦٥١٤ ، تمثّل معلومات العرب في القرنين العاشر والحادي عشر من التاريخ الميلادي[٧] وهو بحث منهجي واضح المعالِم كتبه الرازي عنوانه كتاب الأسرار[٨] ويصف فيه المؤلف الأنواع المعدنية والأدوات المستعملة في الكيمياء . وقد قسم فيه الجواهر إلى ستة أصناف : الأرواح ، الأجساد ، الأحجار ، الزاجات ، البوارق ، الأملاح . ويشمل صنفُ الأرواح : الزئبق ، أملاح النشادر ، الزرانيخ ، الكباريت .

وفي صنف الأجساد يقول إنها سبعة : الذهب ، الفضّة ، النحاس ، القصدير ، الحديد ، الرصاص ،eatesim[٩]
وفي صنف الأحجار يذكر ثلاثة عشر جنساً : المرقشيتا[١٠] (بأنواعها) ، المغنيسيا[١١] (بأنواعها) ، التوتيا[١٢] (بأنواعها) ، اللازورد ، حجر الدم ، الجبس .. إلى آخره .

ويتابع بحثه فيذكر الزاجات وأنواعها (٦ أنواع) والشب[١٣] وأنواعه

(٧) انظر La chimie au moyen- áje
M. Berthelot mars 1893

(٨) كتاب الأسرار Liber secretorum Bubacaris

(٩) هكذا قرأها (برتلو) ولايخفى انها الخارصيني

(١٠) يقول ابن البيطار (المرقشيتا) كتاب الأحجار : انها ذهبية وفضية ونحاسية وحديدية وكل صنف يشبه الجوهر الذي نسب إليه .

(١١) يذكر ابن البيطار أربعة أنواع للمغنيسيا وذلك نقلاً عن الرازي

(١٢) يقول ابن البيطار نقلاً عن ابن وافد : منها مايكون في المعادن ومنها مايكون في الاتاتين التي يسبك فيها النحاس ... ثم يقول : فإما المعدنية فهي ثلاثة أجناس .

(١٣) يتساءل المرء : في أي صنف يُدخل الشُبوب ؟

(الشَبُوب) والبوارق والأملاح .

٨ ـ وأخيراً نأتي إلى **داود بن عُمَر الأنطاكي**[١٤] .

يقول في كتاب (النُزهة المبهجة في تشحيذ الأذهان وتعديل الأمزجة) :
القسم الخامس من أقسام الطبيعي : علم المعادن وكيفية انقسامها وانها إمّا تامة جامدة كالياقوت ، أو تامّة منطرقة كالذهب ، أو ناقصة صحيحة سيّالة كالزئبق ، أو شعّالة كالكبريت ، أو فاسدة يرجى صلاحها ونقلها إلى كيان آخر مثل الكحل والرَهَج ، أو لا ، مثل الزاج والشبّ وما وجه توالد كل ذلك ويقول في الباب الثاني من (تذكرة-أولي الألباب والجامع للعجب العجاب) إن المركبات :
إما ان لا تكون ذات قوة غاذية ولا نامية وهي المعدنيات ...
أو تغذو[١٥] وتنمو بلا شعور وهي النبات ...
أو تجمع إلى التغذية والنمو شعوراً وحركة إرادية فإن كان مع ذلك كالُ تعقّل فالانسانُ ، وإلا غيرُه من الحيوان .
ويقول في الباب نفسه : الضروة قاضية بتقدّم خلق الأرض والمعدن على النبات الخ ... ويقول : في المفردات (الباب الثالث من تذكرته)
(ياقوت) : هو أشرف أنواع الجامدات وكلها تطلبه في التكوين كالذهب في المنطرقات فيمنع العارض ، وأصله كما سبق في (المعدِن) الزئبق ويسمى الماء ، والكبريت ويسمى الشعاع .
ويظهر من هذه النصوص أن داود يدين بمبدأ تحوّل المعادن وانه يستعمل المعادن بمعنى المعدنيات عموماً بأقسامها الأربعة عند ابن سينا أو بأصنافها الستة عند أبي بكر الرازي ويسمي المواد المشتعلة الشعَّالة .

(١٤) ولِد بانطاكية نحو سنة ٩٥٠ هـ وتوفي بمكة المكرمة سنة ١٠٠٨ هـ

(١٥) كذا في الكتاب المطبوع والصواب تغتذي أو تتغذّى .

(نفط) هو معدن بأقصى العراق كالزفت والقار يتحلّب غليظاً ثم يُسْتَقطر أو يصعّد ، وأول دفعة منه الأبيض ثم الأسود فان صُعِّد الاسود ثانياً أُلحِق بالأول ، وبجبال الطُور من أعمال مصر وبجانب البحر نوع منه يسمّى هناك زيت الجبل ... الخ

بعد هذه الجولة في كتب اللغة والعلوم انتقل إلى تحديد معاني بعض الكلمات وبيان أصولها .

(الجوهر)

لسان العرب : الجوهر كل حجر يستخرج منه شيء ينتفع به . وجوهر كل شيء : ماخلقت عليه جبلّته ، قال ابن سيده : وله تحديد لايليق بهذا الكتاب . وقيل الجوهر فارسي معرَّب

الألفاظ الفارسية المعرّبة : الجوهر : الأصل ، وكل حجر كريم تعريب كوهر بكاف فارسيّة والجوفر لغة فيه . أقول : إن مؤلف هذا الكتاب السيد ادّى شير متسرّع إلى إرجاع الكلمات العربية إلى أصل فارسي لمحض التشابه حتى جعل السراب فارسي الأصل . ويأتي الجوهر بمعن المادّة : قالوا : جوهر صلب وجوهر مائي وجوهر فرد يعنون به الجزء الذي لايتجزأ وقال ابن سينا : وكذلك إذا قلنا إنه [أي الدواء] حارّ أو بارد فلسنا نعني أنه في جوهره بغاية الحرارة والبرودة .. الخ أي مادته . فالجوهر يقابل substance ويعنون ماتتقوّم به المادة بصرف النظر عن صفاتها الخارجية . وبما أن المادّة عرضة للتغير في صفاتها الخارجية مع بقائها ثابتة في صميمها فقد استعمل الحكماءُ العرب كلمتي الجوهر والعرض للدلالة على هذين المفهومين بملحظ أن الجوهر مصون والعرض زائل . فما هو أصل كلمة الجوهر ؟ إن الكلمة كانت تدل في الأصل على اللؤلؤ المستخرج من البحر ، والبيروني يذكر للؤلؤ مرادفات كثيرة منها الجوهر

والجمان والهيجُمان يقول المتنبي :

كالبحر يقــذف للقريب جـواهراً جـوداً ويبعث للبعيد سحــائبــا

ولنـذكر الغوّاصين على سـاحل الخليج العربي حين كانـوا يجتهرون اللـؤلـؤ ويستخرجونـه حتى إذا استخرجوا لـؤلـؤة فريـدة جهرتهم بمنظرهـا الرائـع وأُخِذوا بجُهْرها وجَهَارتها . قال أبو النجم :

وأرى البياض على النسـاء جَهَـارة والعِتــق أعرفــــه على الأدْمــــاءِ

ويالها من جوهرة تُعشي الأبصـار في وضح النهـار ، وكأن الغوّاص أصيب بالجَهَر . وانتقل معنى الجهـارة من اللؤلؤ المستخرج من البحر إلى الحجـارة الكريمـة التي يتنـافس فيهـا الأمراء والملـوك حتى كأنّهـا من الفلـزّات بـل أشرف الفلزّات ونعني به الذهب الذي لم يوجد إلاّ لتثمينها مجـاراة للبيروني في حكمه : الجواهر مثمّنات والفِلِزّات لها أثمان .

وانتقل الجوهر إلى مصطلح المتكلمين والفلاسفة فقالوا : الجوهر ماهيّـة إذا وجدت في الأعيان كانت لافي موضوع وقـالوا: هو محلّ الصورة. وقـالوا: هو الهيولى وتسمى الحقيقة الجوهرية[١٦] ويمكن التقرّب إلى هذه المعاني من طريـق التـأمـل في الجـدليّـة الثنـائيـة بين الثبـات والتغير وبين البقـاء والزوال ، فالجوهر عند الفلاسفـة صعب الادراك والعرض قريب التنـاول وآفته عدم الاستقرار على حـال ، ولم يُبعِـد أبو عبيـدة عنـدمـا قـال جميع متاع الدنيا عرض ، هذا بالقياس إلى الحياة السرمدية .

وانتقل الجوهر إلى الأطباء فصار دالاّ على بسائط المادة التي يتـألف منهـا الجسد أو الدواء ، والجواهر فعّـالـة تتوقّف عليهـا أفعـال الجسـد أو أفعـال

(١٦) انظر كتاب التعريفات للجرجاني (الجوهر)

الدواء فهذا ابن نفيس يقول في (ماهيّة الأنْجُدان) : إن هذا الدواء ، لما كان فيه جوهر ناريّ حرّيف وباقي أجزائه باردة غليظة فهو لامحالة قريب من الاعتدال . وكلمة substance من اللاتينية substantia ومؤلفة من sub تحت و stare قام . أي مايحمل الصفات المتغيرة أو كما قال فلاسفة العرب هو محلّ الصورة ، وكل هذه المعاني ترجع إلى أن الجوهر مصُون وبعيد عن التغير والفساد . انتقل الجوهر بمعنى الحجر الكريم - وهو المعنى الشائع في العربية والفارسية إلى اللغات الأوربية فصار في الفرنسية joyau (في الفرنسية القديمة joel) وفي الانكليزية jewel وفي الألمانية juwel وقالوا لبائعه أوصانعه joaillier ، jeweller ، juwelier وأخذ المعجميون الأوربيون يبحثون عن أصله فقرّ رأيهم على أنه فرنسي من أصل لاتيني :

١ - إما من معنى السرور joie الآتي من اللاتينة gaudium من فعل gaudeo سرّ

٢ - وإمّا من معنى اللعب والهزل : jouer الفعل الفرنسي الآتي من jocari[١٧] والجواهر تبعث السرور وتدعو إلى اللعب ! هكذا ! أما كان لهم في أصلها الشرقي مندوحة عن هذا التكلّف ؟ ألا يفسّر هذا الأصل العربي سبب تأخر ظهور هذه الكلمة في اللغة الفرنسية حتى القرن الثاني عشر من التأريخ الميلادي (سنة ١١٧٥) أي بعد احتكاك الغرب بالشرق .

ولنبحث الآن عن الكلمة اللاتينية الدالّة على الحَلْي والحجر الكريم والتي سبقت استعمال الجوهر والجواهر :

(١٧) يذكر Chamber في معجم أصول الانكليزية الاحتمالين ويكتفي Clédat في معجم أصول الفرنسية بالرأي الثاني .

في المعجم الفرنسي اللاتيني تأليف Henri Gœlzer نجد :

Joyau: ornement precieux Gemma, Gemmae f.

وإذا بحثنا عن gemma في معجم أصول اللاتينية[١٨] وجدنا :

Gemma- ae f. : 1 : bourgeon, œil de la vigne

2 : pierre pecieuse, puis bijou,

objet précieux ou brillant.

ويقول « المعنى الأصلي هو « بُرعُم » مهما كان رأي شيشرون ، إذن انتقل إلى معنى حجر كريم تشبيها بالشكل واللون . ويأخذ المؤلف في إيراد الكلمات الهندية الأوروبية التي ترجع إلى جذر ـ gem بمعنى عَصَر . وينهي كلامه بقوله هذا إمكان محض .

وأنا أقول إن كلمة Gemma من العربية جمانة وتعني اللؤلؤة وما أشبه البراعم بالجُمان . وهكذا فإن اللغة العربية تفتح لنا ماستغلق من هذه الغوامض اللغوية . ولا غرو فإنها جديرة بأن تدعى « أم اللُغات »

(المعدن)[١٩]

رنا الانسان ببصره إلى عناصر الأرض وذلك منذ فجر التاريخ يستمدّ منها

---

(١٨) Dietionnaire étymologique de la langue latine

A. Ernout et A. Meillet.

(١٩) يدعى المعدن في الفرنسية والانكليزية Mine وهذه الكلمة ترجع إلى Mina في اللاتينية وهذه مأخوذ من اليونانية Mna وتدل على وزن معلوم ومنها اقتبست العربية (منا) قال ابن سيده وهو أفصح من(المنّ) وقال الشيخ والمنّ الرومي عشرون أوقية والانطاكي والمصري ستة عشر أوقية وقال في الارشاد : المنّ وزن رطلين والرطل اثنى عشر أوقية .. إلى آخره (قاموس الأطبّا للقوصوني)

أقول : من الضروري التصدي لبحث تاريخي في الأوزان والأكيال إذ يتوقف عليها فهم كثير من نواحي التراث العربي وليس ذلك بعزيز على همة الباحثين من أولي العزم .

أسباب بقائه بل يبحث فيها عن مجده وفخاره ، فبدأ باستخدام عناصر الأرض مباشرة (عصر الصوّان المنحوت) ثم استخدم مافيها من عناصر معدنية نافعة (عصر البرونز ، عصر الحديد الخ) . واتسع مجال هذا الاستخدام حتى اقتضى الأمر في عصرنا الحاضر ـ لاسباب اقتصادية وقانونية في آن واحد ـ الى تقسيمها إلى مجموعتين[٢٠] :

منتجات المَقَالِع — Produits de carrières

منتجات المعادن — Produits de mines

فالأولى شائعة الاستعمال وعظيمة النفع ولكنها بخسة الأثمان ولاتنقل إلى مسافات بعيدة لذلك ظلّت في نطاق التجارة المحلّية ولم تخضعها السلطات الحكومية لقيود صارمة والثانية اطلق عليها لفظ معادن وهي جواهر اندر وجوداً وأغلى ثمناً مما جعلها من نصيب التجارة الدولية وأخضعها لقيود تشريعية صارمة من حيث التنقيب عنها واستثمارها والمتاجرة بها .

وجرى العرف بتقسيم هذه المعادن[٢٠] إلى ثلاثة أصناف :

المعادن المولّدة للطاقة

المعادن الفلِزّية

الجواهر غير الفلزّية ، وهي المعدنيات التي لاتندرج تحت الصنفين السابقين كالأَمْيانْت والأَلْماس والفوسفات والبوتاس والملح الصخري والكبريت .

ولا تحظى المعادن بالاهتمام الاقتصادي مالم تتوفّر بكميات تسمح باستغلالها مباشرة أو في مستقبل قريب ، فإذا توفّر المعدن بالقدر الكافي سمّي ركازاً وجمعه أرْكِزة gisement, s

---

(٢٠) انظر Minerais :E. Univrsalis: مقالة كتبها F. CALLOT رئيس مهندسي المناجم .

وللمعدن (بمعنى المكان الذي تستخرج منه المعادن بمعناها العام) مرادف معروف الا وهو المَنْجَم وجمعه مناجم ، أما المَعْدِن[٢١] بمعنى Mineral فيدل على أي معدِني وجمعه معادن Mineraux

(الفِلِزّ)

من معاني الفلزّ الكثيرة نكتفي بمعناه العلمي الذي يقابل في اللغات الأوربية Métal (ويمكن تسمية شبه المعدن بشبه الفلزّ أو الفلزّاني) ، وبمعناه المجازي أذا راق للأدباء استعماله .

وكما أن الكلمة اليونانية القديمة Metallon كانت تدل على المَنْجَم وعلى المعدنيات وعلى الفلزّات وأصبحت لاتدل إلا على هذا المعنى الأخير ، كذلك يبقى هذا المعنى من نصيب لفظة فلزّ في اللغة العربية . جاء في أساس البلاغة : « من اعزّه هذا الفلزّ فهو الغرير[٢٢] المستعزّ » ويعني بالفلزّ الذهب والفضة وأمثالهما ومن المجاز : قولهم للبخيل المتشدّد فلزّ شبه بهذا الجنس ليبسه وجساوته أو لنبوّه على طالبيه ألا ترى إلى قول رؤبة :

وكُرّز يمشي بطين الكُرْز
لايرهب الكيّ بنار الكَنْز
كأنما جُمّع من فِلِزّ

وكلمة فلزّ تقع من العربية في صميمها ، ويمكن أن ندرك التطوّر العربي

(٢١) كتاب التعريفات للجرجاني (اسطقس) هو لفظ يوناني بمعنى الأصل وتسمى العناصر الأربعة التي هي الماء والأرض والهواء والنار إسْطِقسات لأنها أصول المركّبات التي هي الحيوانات والنباتات والمعادن .

(٢٢) في مطبوع الأساس (العزيز) ونبّهني إلى تصحيحه : الدكتور عبد الكريم اليافي

الذي يفسّرُها من اشتقاق النصّ الوارد في لسان العرب . الكبد : معدن العداوة . وكبد الأرض : مافي معادنها من الذهب والفضّة ونحو ذلك قال ابن سيده : أُراه على التشبيه ، والجمع كالجمع . وفي حديث مرفوع : وتُلقي الأرض أفلاذ كبدها أي تلقي ماخُبِىء في بطنها من الكنوز والمعادن فاستعار لها الكبد ، وقيل إنما ترمي مافي باطنها من معادن الذهب والفضّة .

إذن (فلز) و (فلذ) من أرومة واحدة .

الأَشْنة والطُحلُب

من الكلمات التي لم يتمّ بعدُ الاتفاق عليها بين مجامع اللغة العربية وظلّ مؤلفو الكتب العلميّة في البلاد العربية حائرين في مفهومها كلمتا الأُشْنة والطحلب ممّا أدّى إلى كثير من الالتباس والفوضى . ولم تجد بعض المعجمات الأجنبية العربية بل بعض المؤسسات المعنيّة بالترجمة بدّاً من إيراد كلمتي أشنة وطحلب في مقابل Algue وكأنها مترادفتان .

ولما كانت هذه الكلمات ذات شأن كبير في التضيف النباتي وليست كسائر الأنواع النباتية فقد بادرتُ إلى تحقيقها آملاً أن أكون قد وضعت الأمور في نصابها . وأول ما يتبادر إلى الذهن مراجعة كتب النبات التي ألفها أجدادنا من العلماء العرب ، ولكن سرعان ما وجدت أن علم النبات عندهم مازال عيّلاً على علوم الطب والزراعة ، ولم يتبوأ مكانا مستقلاً مما رسم لي الطريق إلى المراجع الواجب تصفّحها .

لسان العرب (أشن)

الأُشنة : شيءٌ من الطيب أبيض كأنه مقشور . قال ابن برّي : شيءٌ من العطر أبيض دقيق كأنه مقشور من عرق . قال أبو منصور : ماأراه عربياً .

تعريف لسان العرب مقتضب لايتّضح المقصود منه ولو أكملناه بعبارة ابن برّي وسنرى مايقول أصحاب المفردات .

ابن سينا في الكتاب الثاني من القانون :

(أُشْنة) الماهيّة : قشور دقيقة لطيفة تلتفّ على شجرة البلّوط والصنوبر والجوز ولها رائحة طيّبة ، وقال قوم إنها يؤتى بها من بلاد الهند .

البيروني في كتاب الصيدنة : (الأشنة) باليونانية براوون .

ابن البيطار في كتابه الجامع :

(أشنة) : هو المعروف بشيبة العجوز . ديسقوريدس في الأولى : الجيّد منها ماكان على الشربين وكانت جبلية وبعدها مايوجد على الجوز ، والأطيب من هذه ماكانت أطيب رائحة وكانت بيضاء وما كان منها لونه إلى السواد ماهو فإنه أردؤه .

ابن النفيس في الشامل :

(ماهية الأشنة وأحكامها على الاطلاق) الأشنة هي شيبةُ العجوز وهي تلتفّ على شجر الشربين والبلّوط والجوز والصنوبر ، ولا أصل لها ولا زهر ولا بزر . ولها رائحة طيبة ومع ذلك فهي تكتسب الرائحة من كل ذي رائحة يخالطها .. الخ

داود الانطاكي في تذكرته :

(أشنة) عربي شيبة العجوز ، باليونانية بريون ، بالفرنجية مسحو ، باللاتينية كله ذباليه ، وبمصر الشيبة

تبين من قول البيروني أن الأشنة تدعى باليونانية براوون ومن قول

داود انها بريون أي أن الكلمة الأصلية في اليونانية هي :

Bruon (tò) : mousse[٢٣]

واختلاف رسم الكلمة عند البيروني وعند داود راجع إلى نقل الحروف من اليونانية إلى العربية ، أما في اللاتينية فهي :

Muscus m : mousse

وتتحول في الفرنجية إلى Musco وجاءت عند داود مسحو
أمّا كله ذباليه فاحسبه تصحيفا ولم اهتد إلى صوابه .
وفي المعجم الفرنسي - اللاتيني تأليف Henri Gœlzer :

Mousse : plante cryptogame, Muscus

وفي معجم أصول اللغة اللاتينية تأليف A. Ernout et A. Meillet :

Mùscus, : mousse

يقول : تجد هذه الكلمة في جميع اللغات الرومانية ماعدا لغة رومانيا وهي تختلف عن Muscus بمعنى المِسك المستعارة من الفارسية .
وفي بعض اللغات الرومانية نجد الكلمة في صيغة التصغير كما نجدها كذلك في اليونانية الحديثة Moúscoúla .
ترجع الكلمة إلى أصل هندي أوربي ونجده في بعض اللغات بمعنى mousse كما في الروسيّة وفي بعضها بمعنى عَفَن moisissure كما في اللتوانية .

لسان العرب (طحلب) .

الطُحْلب : خضرة تعلو الماء المُزمِن وقيل : هو الذي يكون على الماء كأنه نسج العنكبوت ، والقطعة منه طُحْلُبة . وطَحْلَب الماءُ : علاه الطحلبُ .

---

(٢٣) انظر Dictiomaire grec- français de A. chassang
أو أي معجم يوناني سواه .

وماء مُطَحْلَبٌ : كثير الطحلب قال ذو الرمّة :

عيناً مُطَحْلَبة الأرجاء طامية   فيها الضفادع والحيتان تصطخب

ابن سينا في الكتاب الثاني من القانون

(طحلب) الماهية : معروف ، والنهري مائي أرضي ، والبحري أشد قبضاً ، وأما طحلب الصخر فهو حزاز الصخر وقد ذكرناه .

ديسقوريدس في هيولي الطب[٢٤] :

72 فاقوس وهو طحلب

الموجود في الماء القائم وهو الخضرة الشبيهة بالعدس في شكلها

82 فوقس البحري

هو عدة أصناف فمنه ماهو إلى العَرْض ومنه إلى الطول ولونه إلى الحمرة .

هذه الترجمة مشوشة ونجد النصّ أكثر وضوحاً في كتاب ابن البيطار .

ابن البيطار (في الجامع لمفردات الأدوية والأغذية)

(طحلب) ديسقوريدس في الرابعة : الطحلب النهري هو الخضرة المشبّهة بالعدس في شكلها الموجودة في الآجام على المياه القائمة .

وأما الطحلب البحري فهو شيء يتكوّن على الحجارة والخزف الذي يقرب من البحر وهو دقيق شبيه في دقّته بالشعر وليس له ساق .

داود الانطاكي .

(طحلب) يتولّد من تراكم الرطوبات المائية وينعقد بالبرد وهو إما

---

(٢٤) كتاب ديسقوريدس في هيولي الطبّ ترجمه اسطفان بن باسيل واصلاح حنين بن اسحاق
La matria medica de Dioscorides
por César Dubler Y Elias Terès

حبّ متفاصل ويسمى الخرء المائي ، أو خيوط متّصلة ويسمى غَزْل الماء أو لابدّ بالأحجار ويسمى خرء الضفادع وهو أجودها . ويُتبِع ذلك ذكرَ فوائدها الطبية .

يستنتج من هذه النصوص مايلي :

[٢٥]Phùcos (TO): fucus, algue marine

(١) ترجم العرب كلمة فوقس اليونانية (وردت بصيغتي فاقوس ، فوقس) بطحلب وهي تقابل في اللاتينية Alga- ae وبالفرنسية Algue وبالانكليزية Alga, Seaweed

(٢) النبات الذي ذكره ديسقوريدس برقم 72 وسماه ابن البيطار طحلباً نهرياً وسمّاه داود الخرء المائي ليس من الطحلب في شيء وإنما هو عدس الماء Lemna minor من فصيلة عدس الماء وهو من ظاهرات الإلقاح ولايجمعه بالطحلب إلا كونهما يعيشان في الماء .

(٣) النبات الذي ذكره ديسقوريدس برقم 82 (فوقس البحري) هو الطحلب حقاً كما ترجموه . سمّاه ابن سينا وابن البيطار : طحلباً بحرياً وسماه داود غزل الماء

(٤) أما النوع الثالث من الطحلب عند ابن سينا والذي سمّاه حزاز الصخر ونقل عن جالينوس أنه شيء يكون على الحجر يشبه الطحلب فهو الذي ذكره ابن البيطار وقال إن أهل مصر يسمونه حناء قريش فهو :

Cetraria islandica Ash.
syn : physcia islandica D.C.

(٢٥) من معجم يوناني فرنسي وقد أوردته للايضاح .

Lichen islandicus

Fr. Mousse d΄ islande

A . Iceland moss

أقول : إن مثل هذا النبات بعث على التشويش وأحدث بلبلة حيث تبين أن اعتباره أشنة أي mousse خطأ ، فقد ظهر أنه ليس نباتاً بسيطاً بل إنه مؤلف من نباتين مختلفين تجمع بينهما صلة التعايش : من فطر لايخضور فيه ، قادر على تركيب المواد الآزوتية المختلفة ، ومن طحلب ذي يخضور يتمكن من تركيب المواد السكريّة ، وهذا التعايش يمكّنهما من النمو والحياة في أقسى الظروف البيئية . ولما رأى بعض الباحثين إن هذا الجنس المركب يسمى Mousse d΄ Islande انزلق إلى تسمية Mousse بالطحلب .

وهناك عدة نباتات خفيّة الالقاح cryptogames تدعى بالعامية الفرنسية Mousse وهي في الحقيقة إما Algues وإمّا Lichens نذكر بعضها :

Mousse de Ceylan (fucus lichenoïde, Gracilaria lichenoïdes) نوع من الطحلب

Mousse de Corse خليط طحالب من أجناس مختلفة أهمها

Corallina of the shops (Gigartina helminthocorton)

Mousse marine وتستعمل في علاج الديدان المعوية

Mousse d Irlande طحلب يعطي عند نقعه في الماء مادّة لعابية

Fucus crispus تستعمل في الطب ملطّفة ومنعشة كما

Mousse perlée انه يحتوي على كمية من اليود

وأدرك العلماء الأوربيون أن تسمية هذه النباتات لاتطابق مفهومها ، فاعتبروا التسمية عاميّة كما وجدوا رتبة من النباتات تدعى Lichens

لاتنطبق على الأشنة ، مع أن اسمها مأخوذ من كلمة أشنة وقد دخلت لغات أوربا وظن الأوربيون أن اللام المبدوءة بها هي من صميم الكلمة فصاروا يتكلمون بها وكأنها كلمة أخرى جديدة وتطوّر معناها عندهم فلم تعد تدلّ على الأشنة بل أصبحت تدلّ على نبات مختلط من طحلب وفطر وسمّوه Lichen

وقد أدرك ابن سينا بصادق حدسه أنه يختلف عن الأشنة كما يختلف عن الطحلب فخصّه باسم مستقلّ وبمادّة مستقلّة :

(حزاز الصخر) الماهيّة: قال جالينوس: هذا شيء يكون على الصخر يشبه الطحلب وهو يجفّف [ويبرّد] من الوجهين جميعاً لأن قوته تجلو وتبرد ، والجلاء اكتسبه من الصخر ، والتبريد من الماء .

ولا شك أن كلمة Usnea اللاتينية من العربية أُشنة ، لأننا لانجدها في اللاتينية القديمة ولم تظهر في اللاتينية إلا بعد ترجمة الكتب العربية إليها ، وكذلك القول في كلمة Lichen هي مأخوذة من الأشنة نفسها مع اعتبار لام التعريف من أصل الكلمة . وهذا مايفهم من معجم بلاشير .

Blachère: Dictiounaire arabe, francais, anglais

أُشْنة ، أُشْن — Usnée: mousse blanche

(sur les arbres), lichen, white moss (on trees)

(cf Latin medieral: Usnéa)

وبالفعل فاننا لانجد كلمة lichen ولا كلمة Usnea في معجم أرنوت ومايبه لكونها طارئتين على اللغة اللاتينية .

Dictionnaire Hachette

Usnée nf lichen (genre usnea)

(du latin medieval Usnea d' oigine arabe)

Lichen n.m. 1 végétal resultant de l' association symbiotique d'un champignon et d' une algue et qui pousse sur les rocs et les matières organiques 2 Dermatose caracterisée par la présence de papules agglomérées... etc.

Gr. Leikhein, 1545

فالأشنة لااختلاف فيها ، أما لِيشِن فأُميلُ إلى أنها نفس الكلمة من حيث الأصل اللغوي فهي لم تعرف في الفرنسية قبل سنة ١٥٤٥ م أما المعجمات الأجنبية فتُرجعها إلى أصل يوناني Leikhèn والمسألة تحتاج إلى مزيد من البحث .

ومهما كان من أمر التأصيل اللغوي فلابدّ لنا من ايضاح مفهوم الحزاز Lichen فاقول :

كان الحزاز Lichen مصدر عناء كبير للباحثين من علماء النبات ، ونال علماءَ اللغة قَدْرٌ من هذا العناء ، فهناك مثلاً حزاز يدعى

بالانكليزية Old man beard, beard moss

وبلغة شكسبير Idle moss

وباللاتينية Usnea barbata

وهو حزاز أصفر أو إلى الخضرة أشبه شيء بكتلة خيوط مشتبكة ، يوجد في المناطق القطبية والمداريّة وتأكله الحيوانات البرّية ، ويتّخذ علفاً للماشية كما يستعمل في علاج الاستسقاء . ولو ترجمناه كما تقتضي اللغةُ بالأُشنة لوقعنا في خطأ جسيم ، لأنه ليس من الأشنة في شيء ، بل هو مؤلف من نباتين متعايشين ليست الأشنة واحداً منها وقد يستحسن

تسميته بالحزاز الشيبي أو الشيبة (وقد وردت شيبة العجوز في كتب المفردات) .

وقد نشر عالم النبات M.E. Hale تصنيفاً للحزاز[٢٦] في عام ١٩٦٧ يحتوي على مايناهز عشرين فصيلة وكانت إحدى هذه الفصائل تدعى Usneaceae فإي ارتباك ننشب فيه لو ترجمناها بالأُشْنيات أو بالفصيلة الأُشنية .

ويدلّ على ماذكرته من عناء النباتيين في تصنيف مجموعة الحزاز النقد الذي قيّمت به الموسوعة البريطانية مااقترح من تصنيفات حتى الحديث منها إذ قالت :

الحزاز مجموعة أحيائية يُعوزها مِلاك مستقرّ في إطار تصنيف الكائنات الحيّة فتصنيفها شاقّ ويبقى موضوعاً خلافياً مدة من الزمن ويرجع جزء من المشكلة إلى أنه أُرسي قبل التنبّه إلى طبيعتها الثُنائية :

وختاماً أُجمِل الكلمات الثلاث التي سبق تحقيقها :

أُشْنَة	لاتيني	Mùscus
	يوناني	Brúon
	فرنسي	Mousse
	انكليزي	Moss

طُحْلُب	لاتيني	Alga- ae
	يوناني	Phúcos

(٢٦) انظر Lichen في الموسوعة البريطانية

فرنسي Algue

انكليزي Alga

حزاز[٢٧] فرنسي ، انكليزي Lichen

ويمكن لواضعي المصطلحات في اللغـة العربيـة أن يشتقوا منهـا كثيراً من الكلمات المركّبة . وبالله التوفيق



(٢٧) جاء في معجم أسماء النبات :

Cetraria islandica ASH

f. Lichen d' Islande, Mousse d' Islande

a. Iceland moss, Iceland lichen

خرز الصخور ، الحرزة (المخصّص) ، شجرة النضّ ، حزاز

ملاحظات على مخطوطات الفلاحة

التطبيقية المحفوظة في المكتبات العربية والأجنبية

د / محمد عيسى صالحية

البحث عن التراث الفلاحي عند العرب ، يتطلب مراجعة لمقتنيات المكتبات العربية والأجنبية من مخطوطات الفلاحة والري والمياه والنبات والحشائش والأدوية وحتى كتب الأطعمة . ولما كنا نقوم بهذا العمل ونحتاج لمزيد من الوقت لإنجازه، فإنّا نرى أن نضع أمام الباحثين عجالة فيما التقطناه من مخطوطات الفلاحة التطبيقية مبينين أماكن حفظها في المكتبات العربية والأجنبية ، ومنبهين على التزويرات والتزييفات والأخطاء التي وقع بها بقصد أو بغير قصد مقتنوها أو مفهرسوها ، لما في ذلك من فائدةٍ لكل من درسها أو اشتغل بتحقيق أحدها ونشره . والمخطوطات[1] هي :

١ ـ أرجوزة في الفلاحة ، لأبي عثمان بن أبي جعفر التجيبي ت ١١٧٧ هـ (منه نسخة في المغرب ، الرباط ـ الخزانة العامة ـ ٣٩ محمد المنوني ، وأخرى في المغرب أيضاً في مكتبة كلية الآداب والعلوم الانسانية ، مكل ٢٦) .

٢ ـ بغية الفلاحين للأشجار المثمرة والرياحين ، للملك الأفضل

(١) الكثير من هذه المخطوطات لم يرد في بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ، أما سزكين فقد توقف عند سنة ٤٣٠ هـ كما هو معروف .

العباس بن علي بن داود بن يوسف بن رسول الغساني ت ٧٦٤ هـ (منه نسخ في استانبول ـ مكتبة متحف الطوب قابي ، رقم ٢٤٢٢ / ٢ أحمد الثالث ، اليمن ـ صنعاء ، مكتبة الجامع الكبير ، ١ غربية ، وثالثة بمصر ، القاهرة ، دار الكتب والوثائق القومية ، ورابعة بمصر ، القاهرة ، دار الكتب والوثائق القومية ٤٢٣ زراعة وري) .

٣ ـ جامع فرائد الملاحة في جوامع فوائد الفلاحة لرضي الدين ، محمد بن محمد الغزي ، ت ٩٣٥ هـ (نسخة في سورية ـ دمشق ـ المكتبة الظاهرية ٨٤٠٧ عام ، وثانية في مصر ، القاهرة ، دار الكتب والوثائق القومية ، ٤٢ زراعة تيمور ، وثالثة ، بريطانيا ـ لندن ـ المتحف البريطاني ، Or. 5951. DL. 55 ، ورابعة ، مصر ، القاهرة ، دار الكتب والوثائق القومية ، ١٣٤ زراعة ، وخامسة ، تونس ، المكتبة الوطنية ، ١٨٦٣ حسن حسني عبد الوهاب) .

٤ ـ الدر الملتقط من علم فلاحتي الروم والنبط لمحمد بن أبي بكر الأنصاري الدمشقي (شيخ الربوة) ت ٧٢٨ هـ (منه نسخة في مصر ، القاهرة ، دار الكتب والوثائق القومية ، ٢١ زراعة وأخرى منقولة عنها رقم ٨٤ زراعة ، دار الكتب والوثائق القومية) .

٥ ـ رسالة البيان والصراحة بتلخيص كتاب الملاحة في علم الفلاحة ، لمحمد بن عيسى بن محمود بن كنان ت ١١٢٠ هـ[1] (منه نسخة في المانيا

(1) [محمد بن عيسى بن محمود بن كنَّان الصالحي الدمشقي الحنبلي (١٠٧٤ ـ ١١٥٣ هـ) . وضبط الأستاذ محمد أحمد دهمان لفظة « كنّان » بتشديد النون ، كما هو المعروف عند أهل الصالحية ، وكما وردت في أصل كتاب المروج السندسية . انظر ترجمة ابن كنان ومراجعها في مقدمة كتاب (المروج السندسية الفيحية في تلخيص تاريخ الصالحية) الذي حققه الأستاذ محمد أحمد دهمان (دمشق ـ ١٩٤٧ م) ، وفي كتاب الاعلام للزركلي (ط ٤) ٦ : ٣٢٣ ، وفي دائرة المعارف لفؤاد البستاني ٣ : ٤٨٣ / لجنة المجلة] .

الغربية ـ برلين ـ مكتبة برلين الأهلية رقم ٦٢١١ مجموع رقم ٢ . ونسخة أخرى في مصر ، القاهرة ، دار الكتب والوثائق القومية رقم ١٠٤ زراعة طلعت) .

٦ ـ زهر البستان ونزهة الأذهان ، لأبي عبد الله ، محمد بن مالك الطغنري (التغنري) ، كان حياً سنة ٤٨٠ هـ (وتوجد منه نسخ في :

أ ـ المغرب ـ الرباط الخزانة العامة ، ٣٩ د(459) (D 39) .

ب ـ المغرب ـ الرباط ـ الخزانة العامة ،2460 (D 1579) .

جـ ـ المغرب ـ الرباط ـ الخزانة الملكية ، ١٥٣٤ (ضمن مجموع) .

د ـ المغرب ـ الرباط ـ جامعة محمد الخامس ـ مكتبة كلية الآداب والعلوم الانسانية ، مكل ١٩٠

هـ ـ المغرب ـ الرباط ـ جامعة محمد الخامس ـ مكتبة كلية الآداب والعلوم الانسانية مكل ٢٣٩

و ـ اسبانيا ـ الأندلس ـ قرطبة ـ مكتبة البلدية رقم ٤

ز ـ نسخة في الخزانة العامة بالرباط رقم 460 ,(D 344) عنوانها : زهرة البستان وترحلة الأذهان) .

٧ ـ عَلَم المَلاَحة في علم الفلاحة لعبد الغني بن اسماعيل النابلسي ت ١١٤٣ هـ[2] (ومنه النسخ التالية :

أ ـ مصر ، القاهرة ، دار الكتب والوثائق القومية ، ١٠٢ زراعة طلعت

(2) [طبع كتاب (علم الملاحة) للنابلسي بدمشق سنة ١٢٩٩ هـ ، وذيّل عليه أحمد شفيق بكتاب سماه : (ذيل الملاحة في فن الفلاحة) وطبع بدمشق سنة ١٣٢٧ هـ . وأعيد طبع كتاب (علم الملاحة) للنابلسي ببيروت سنة ١٩٧٩ / لجنة المجلة] .

ب ـ مصر ، القاهرة ـ مكتبة الجامع الأزهر ، ٨ أباظة [٦٥٢٤]
جـ ـ مصر ، القاهرة ـ مكتبة الجامع الأزهر ، ٣٢ أباظة [٢٣٠٧٤]
د ـ مصر ، القاهرة ، مكتبة الجامع الأزهر ٧٣٠٧٢٦ حسنين باشا
هـ ـ مصر ، القاهرة ، مكتبة الجامع الأزهر ، ٥٧٥٤٦ عام ، ٥٧٥٤٧ عام
و ـ مصر ، القاهرة ، دار الكتب والوثائق القومية ، ١٠١ زراعة طلعت
ز ـ سورية ـ دمشق ـ المكتبة الظاهرية ، ١١٢١٨
ح ـ المانيا الغربية ـ برلين ـ مكتبة برلين الأهلية Ldbg 456 ٦٢٠٩
ط ـ بريطانيا ـ لندن ـ مكتبة معهد ولكم لتاريخ الطب ٥٣٠١٢١
ي ـ ليبزغ ـ مكتبة ليبزغ ، ١٣٦
يا ـ تركيا ، استانبول ـ مكتبة متحف الطوب قابي ـ ١٣٦ أحمد الثالث
يب ـ مصر ، القاهرة ـ دار الكتب والوثائق القومية ، ٣ زراعة تيمور
يج ـ مصر ، القاهرة ـ دار الكتب والوثائق القومية ، ٣٨ زراعة تيمور)

٨ ـ عمدة الصناعة في علم الزراعة لعبد القادر الخلاصي ت ١٢٠٠ هـ

(ومنه نسختان في :

أ ـ سورية ، دمشق ـ المكتبة الظاهرية ٧٤٠٧ عام
ب ـ المانيا الغربية ـ برلين ـ مكتبة برلين الأهلية .We 1710
٦٢١٠)

٩ ـ الفصول السنية في الفلاحة المدنية لمحمد السيد كبريت الحسيني ت ١٠٧٠ هـ (ومنه نسختان في :

أ ـ مصر ، القاهرة ـ دار الكتب والوثائق القومية ، ٥٤ زراعة تيمور
ب ـ هولندا ، ليدن ـ مكتبة الجامعة ، ٧١٠٢)

١٠ ـ الفلاحة المنسوب لديمقراطيس ت القرن الخامس قبل الميلاد . (ومنه نسخة في ايران ـ طهران ـ مكتبة مجلس ملي شواري ، ٢٣٠ ، وأخرى في فرنسا ـ باريس ـ المكتبة الوطنية ، ٢٨٠٢ / قديم ٩١٤) .

١١ ـ كتاب الفلاحة لابن بصال (محمد بن بصال الأندلسي) عاش قبل سنة ٤٦٧ هـ (وتوجد منه نسخ في :

أ ـ اسبانيا ـ الاسكوريال ، مكتبة دير الاسكوريال ، ٤٥
ب ـ اسبانيا ـ الاسكوريال ، مكتبة دير الاسكوريال ، ١٩٥٥
جـ ـ اسبانيا ـ الاسكوريال ـ مكتبة دير الاسكوريال ، ٢٤٧
د ـ اسبانيا ـ مدريد ـ المعهد الملكي للتاريخ ، ٣٠ مجموعة Gayanos
هـ ـ المغرب ـ الرباط ـ الخزانة الملكية ، ٩٦٥١

و ـ المغرب ـ الرباط ـ نسخة يقتنيها السيد محمد عزيمان (نشرت)[3] .

ز ـ فرنسا ـ باريس ـ المكتبة الوطنية ، ٥٠١٣ .

ح ـ المغرب ـ الرباط ـ الخزانة الملكية ، ٦٣٢٢)

١٢ ـ الفلاحة لأبي عبد الله ، محمد بن الحسين ت القرن السادس هـ ، (منه نسخة في فرنسا ، باريس ، المكتبة الوطنية ٤٧٦٤) .

١٣ ـ الفلاحة في الأرضين لأبي زكريا ، يحي بن محمد بن أحمد العوام الاشبيلي ، المعروف بابن العوام ، من علماء القرن ٦ هـ[4] (ويوجد منه النسخ التالية :

أ ـ اسبانيا ـ مدريد ، المكتبة الوطنية ، ٤٨٧٨

ب ـ اسبانيا ـ مدريد ، المكتبة الوطنية ، ٦٢

جـ ـ اسباني ـ مدريد ، المكتبة الوطنية ، ٦٣

د ـ اسبانيا ـ مدريد ، المكتبة الوطنية ، ٤٩

هـ ـ اسبانيا ـ مدريد ، المكتبة الوطنية ، ٥١

و ـ اسبانيا ـ غرناطة ـ أكاديمية سان فرناندو (بدون رقم)

---

(3) [كتاب الفلاحة لأبي عبد الله محمد بن ابراهيم بن بصال الطليطلي ، قام بتحقيقه ونشره الأستاذان خوسي مارية مياس بييكروسا ومحمد عزيمان (تطوان ١٩٥٥ م) ، وقدّم له بييكروسا بمقدمة (ص ١١ ـ ٣٦) بيّن فيها مكانة كتاب ابن بصال بين كتب الفلاحة الأندلسية ، ووصف المخطوطة التي اعتمدها في نشر الكتاب ، وأشار الى أنها نسخة مختصرة ، كما نبّه على مخطوطة المكتبة الوطنية بباريس ذات الرقم ٥٠١٣ ، وسترد للأستاذ صالحية ملاحظة حول نشرة الكتاب في الفقرة « خامساً » من ملاحظاته / لجنة المجلة] .

(4) [طبع كتاب (الفلاحة) لأبي زكريا يحي بن محمد بن أحمد الشهير بابن العوام الإشبيلي ، بمدينة مدريد (اسبانيا) سنة ١٨٠٢ م ، وصدر في جزأين / لجنة المجلة] .

ز ـ مصر ، القاهرة ، دار الكتب والوثائق القومية ٤٩٢ زراعة
ح ـ فرنسا ـ باريس ـ المكتبة الوطنية ٢٨٠٤ A
ط ـ بريطانيا ـ لندن ـ المتحف البريطاني Arabic Add. 10461
ي ـ هولندا ـ ليدن ـ مكتبة الجامعة Or. NR. 346
يا ـ قطعة في المانيا الغربية ـ برلين ـ المكتبة الأهلية ٦٢٠٦
يب ـ ليبيا ـ طرابلس ـ مكتبة الأوقاف ، ١٤ / ١٦
وهناك مختصر له ، محفوظ في بريطانيا ـ كمبردج ـ مكتبة كمبردج Or. 10279. 8(608)) .

١٤ ـ الفلاحة المنتخبة لطيبغا الجركلمشي التامرتمري ت ٧٩٧ هـ (ويوجد منه النسخ التالية :

أ ـ مصر ، القاهرة ، دار الكتب والوثائق القومية ، ٣٧ زراعة .
ب ـ مصر ، القاهرة ، دار الكتب والوثائق القومية ، ٢٢ زراعة
جـ ـ مصر ، القاهرة ، دار الكتب والوثائق القومية ، ٢٤ زراعة تيمور
د ـ مصر ، القاهرة ، دار الكتب والوثائق القومية ، ٢١٩ زراعة
هـ ـ مصر ، القاهرة ، دار الكتب والوثائق القومية ، ١٠٣ زراعة طلعت
و ـ مصر ، القاهرة ، دار الكتب والوثائق القومية ، ٤٨٩٠ ل
ز ـ مصر ، القاهرة ، دار الكتب والوثائق القومية ، ٢٩ زراعة تيمور
ح ـ مصر ، القاهرة ، دار الكتب والوثائق القومية ، ١٩ نمرة خاصة ، ٤٢٤٥ نمرة عامة

ط ـ مصر ، القاهرة ، دار الكتب والوثائق القومية ، ٢٠ نمرة خاصة ٢٤٤٦ نمرة عامة

ي ـ فرنسا ـ باريس ـ المكتبة الوطنية ، ٢٨٠٧

يا ـ فرنسا ـ باريس ـ المكتبة الوطنية ، ٢٨٠٨

يب ـ فرنسا ـ باريس ، المكتبة الوطنية ، ٢٨٠٥

يج ـ باكستان ـ معهد الأبحاث الاسلامية ، ٦٣ مجموع أ)

١٥ ـ الفلاحة النبطية لأبي بكر أحمد بن علي بن وحشية ت بعد ٢٩١ هـ[5] (ويوجد منه أكثر من ٣٠ مخطوطة ، التقطنا منها ما يلي :

أ ـ المغرب ـ الرباط ـ الخزانة العامة ، ١٧٢ أدب الكتاني

ب ـ المانيا الغربية ـ برلين ـ المكتبة الأهلية Mg 469 ٦٢٠٥

جـ ـ الهند ـ الدكن ـ حيدرأباد ـ المكتبة الآصفية (نقلت محتوياتها إلى مكتبة الدولة المركزية) ٣٤٨ فلسفة .

د ـ فرنسا ـ باريس ـ المكتبة الأهلية ، ٢٨٠٣ (قديم ٩١٣)

هـ ـ ايطاليا ـ روما ـ مكتبة الفاتيكان ، ٩٠٤ عربي

و ـ مصر ، القاهرة ، دار الكتب والوثائق القومية ، ٢٢٠ زراعة

ز ـ مصر ، القاهرة ، دار الكتب والوثائق القومية ، ٣٩ زراعة

ح ـ مصر ، القاهرة ، دار الكتب والوثائق القومية ، ٩٣ مجاميع م

ط ـ تركيا ـ استانبول ـ المكتبة السليمانية ، ٢٤٩٠ أسعد أفندي

---

(5) [طبع الأستاذ عادل أبو النصر مقتطفات صغيرة من كتاب الفلاحة النبطية لأبي بكر بن وحشية في السلسلة الزراعية بعنوان : (الفلاحة النبطية لابن وحشية ، دراسة جديدة لأثر زراعي قديم) وصدر الكتاب في بيروت سنة ١٩٥٨ م / لجنة المجلة] .

ي ـ تركيا ، استانبول ـ المكتبة السليمانية ، ٣٦١٣ الفاتح
يا ـ تركيا ـ استانبول ـ المكتبة السليمانية ، ٣٦١٢ الفاتح
يب ـ تركيا ـ استانبول ـ المكتبة السليمانية ، ١٠٣١ حميدية
يج ـ تركيا ـ استانبول ـ المكتبة السليمانية ، ١٥٢٦ أياصوفيا
يد ـ تركيا ـ استانبول ـ مكتبة بايزيد عمومي ، ٤٠٦٤
يه ـ تركيا ـ استانبول ـ مكتبة بايزيد عمومي ٢٤٨٥٢ ولي الدين
يو ـ تركيا ـ استانبول ـ جامع نور عثمانية ـ مكتبة نور عثمانية ٣٠٢٨
يز ـ تركيا ـ استانبول ـ مكتبة متحف الطوب قابي ٧١٥٨
يح ـ تركيا ـ استانبول ـ مكتبة متحف الطوب قابي ٧١٥٩
يط ـ تركيا ـ استانبول ـ المكتبة السليمانية ٢٦٤ خديجة طرفان
ك ـ هولندا ـ ليدن ـ مكتبة الجامعة ، ٥٢٤
كا ـ هولندا ـ ليدن ـ مكتبة الجامعة ، ١٢٧٩
كب ـ هولندا ـ ليدن ـ مكتبة الجامعة ١٢٨٠
كج ـ تركيا ـ استانبول ـ مكتبة الجامعة ٧٠٨٤ [؟] . A.Y
كد ـ بريطانيا ـ مكتبة بودليان باكسفورد ، ٣٤٩
كه ـ بريطانيا ـ كمبردج ـ مكتبة كمبردج ، ١٠٢٧
كو ـ بريطانيا ـ لندن ـ المتحف البريطاني ، ١ / ٩٩٧
كز ـ فرنسا ـ باريس ـ المكتبة الوطنية ، ٤٩٥
كح ـ الجزائر ـ مدينة الجزائر ـ المكتبة الوطنية ١٤٩٧) .

وهذا المخطوط قد وضعت له العديد من المختصرات والتقييدات . منها على سبيل المثال : كتاب مختصر الفلاحة النبطية لمجهول ، (موجود في مصر في دار الكتب والوثائق القومية ، ١٠٠ زراعة طلعت)

- تقييد من كتاب الفلاحة النبطية مما جمعه أبو عبد الله ، محمد بن ابراهيم بن علي ابن الرقام الأوسي ت ٧١٥ ، (منه نسخة في الخزانة العامة بالرباط رقم (٢٤٦٤) Dirn) .
- مختصر كتاب الفلاحة لابن وحشية لمؤلفه علي بن حسن بن محمد الحسيني . (منه نسخة في الهند ـ بتنة ـ خدابخش ، ٢٥٠٠)
- كتاب مختصر الفلاحة لمجهول ، (منه نسخة في فرنسا ـ باريس ـ المكتبة الوطنية ٢٨٠٥ / رقم قديم ٩١٥ ، ونسخة أخرى في نفس المكتبة تحت رقم ٢٩٤٢ / ٤)
- كتاب خلاصة الفلاحة لعلي بن محمد الحسيني ـ صاحب المختصر السابق ذكره ، (منه نسخة في الهند ـ بتنة ـ خدابخش ، ٢٢١١ ، واخرى في حيدراباد المكتبة الآصفية ٢ / ١١٩٨ ، / رقم ١٤٥) .

١٦ ـ الفلاحة اليونانية الرومية لقسطوس بن لوقا البعلبكي ت نحو ٣٠٠ هـ / ترجمة سرجس بن هلبا[6] ، (ومنه نسخ في :

أ ـ هولندا ، ليدن ، مكتبة الجامعة ٤١٤

ب ـ هولندا ، ليدن ، مكتبة الجامعة ، ٥٣

جـ ـ هولندا ـ ليدن ، مكتبة الجامعة ، ٥٤٠

(6) [طبع كتاب (الفلاحة الرومية) بالمطبعة الوهبية بمصر سنة ١٢٩٣ هـ ، وجاء عنوانه على صفحة الغلاف (كتاب الفلاحة اليونانية ، تأليف الفيلسوف الحكيم الماهر قسطوس بن لوقا الرومي ، ترجمة سرجس بن هلبا الرومي) . وسترد للأستاذ صالحية ملاحظة حول مخطوطات الكتاب في الفقرة « سادساً » من ملاحظاته / لجنة المجلة] .

د ـ تركيا ـ استانبول ـ مكتبة متحف الطوب قابي ، ٢٤٣٢ أحمد الثالث

هـ ـ تركيا ـ استانبول ـ مكتبة متحف الطوب قابي ، ١٧٠٠ أحمد الثالث

و ـ تركيا ـ استانبول ـ مكتبة متحف الطوب قابي ، ٢٠٢٨ أحمد الثالث

ز ـ تركيا ـ استانبول ـ مكتبة بايزيد عمومي ، ٢٥٣٠ ولي الدين

ح ـ مصر ، القاهرة ـ دار الكتب والوثائق القومية ، ١٣٣ زراعة

ط ـ مصر ، القاهرة ـ دار الكتب والوثائق القومية ، ٥٨ زراعة تيمور

ي ـ مصر ، القاهرة ـ مكتبة محمد صالحي (عرضت للبيع اغسطس ١٩٨١) .

يا ـ بريطانيا ـ اكسفورد ـ بودليان ـ المجموعة (٢)

يب ـ المانيا الغربية ـ برلين ـ المكتبة الأهلية ، ٦٢٠٤

يج ـ المانيا ـ مكتبة غوطا ، ٢١٢ أ

يد ـ تونس ـ المكتبة الوطنية ، ١٨٣٨٥ مكتبة حسن حسني عبد الوهاب)

١٧ ـ فلاح الفلاح لخير الدين ، تاج الدين ، الياس زاده ، كان حيّاً سنة ١١٣٤ هـ (ومنه نسخة في المانيا الغربية ـ برلين ـ مكتبة برلين الأهلية ، Pet 543 ٦٢١٢ ونسخة أخرى في هولندا ـ ليدن ، مكتبة الجامعة ٧١٠٢ المجموع رقم ٢)

١٨ ـ قوانين الدواوين لأسعد بن مماتي ت ٦٠٦ هـ (ومنه نسخ في :

أ ـ المانيا الشرقية ـ مكتبة غوطا ، ٧٤ / ١

ب ـ المانيا الشرقية ـ مكتبة غوطا ، ١٨٩٢

جـ ـ تركيا ـ استانبول ـ المكتبة السليمانية ، ٣٣٦٠ أيا صوفيا

د ـ تركيا ـ استانبول ـ مكتبة بايزيد عمومي ، ١٩٧٢ ولي الدين

هـ ـ تركيا ـ استانبول ـ المكتبة السليمانية ، ٢٣٥٣ أسعد أفندي

و ـ تركيا ـ استانبول ـ المكتبة السليمانية ـ ٤١٩٨ أيا صوفيا

ز ـ فرنسا ـ باريس ـ المكتبة الأهلية ، ٢٩٦٢ عربي

ح ـ بريطانيا ـ لندن ـ المتحف البريطاني ، ٥٥٣

ط ـ مصر ، القاهرة ـ دار الكتب والوثائق القومية ، ٤٧٧٥ تاريخ)

١٩ ـ كتاب في ذكر الأشجار والثار والرياحين لمجهول ، (ومنه نسخة في :

ـ مصر ، القاهرة ، دار الكتب والوثائق القومية ، ٣٤ (زراعة زكية) .

٢٠ ـ كتاب في الزراعة لمجهول ، (ومنه نسخة في :

ـ مصر ، القاهرة ، دار الكتب والوثائق القومية ، ٣ زراعة حليم)

٢١ ـ كشف القناع عن معرفة أحكام الزراع لحسين بن أبي القاسم بن أبي بكر الأهدل ت بعد سنة ١٠٨٤ هـ (ومنه نسخة في اليمن ـ حضرموت ـ تريم ـ مكتبة الأحقاف ، ٢٠ مجاميع آل يحي) .

٢٢ ـ مباهج الفكر ومناهج العبر ، لمحمد بن ابراهيم بن يحي الوراق

المعروف بالوطواط ت ٧١٨ هـ (ومنه نسخ في :

أ ـ تركيا ـ استانبول ـ مكتبة كوبريلي زاده ، ١١٧٠
ب ـ تركيا ـ استانبول ـ المكتبة السليمانية ، ١٠١٠ يني جامع
جـ ـ تركيا ـ استانبول ـ المكتبة السليمانية ١٩١٣ لآ له لي
د ـ تركيا ـ استانبول ـ المكتبة السليمانية ١٩٩٠ لآ له لي
هـ ـ تركيا ـ استانبول ـ المكتبة السليمانية ، ٤١١٦ الفاتح
و ـ تركيا ـ استانبول ـ المكتبة السليمانية ، ٥٨٦ حكيم أوغلي
ز ـ مصر ، سوهاج ـ مكتبة كلية الزراعة ، ١٨ زراعة
ح ـ مصر ، القاهرة ، دار الكتب والوثائق القومية ، ٢٣٧ زراعة
ط ـ مصر ، القاهرة ، دار الكتب والوثائق القومية ، ٨٥ زراعة
ي ـ مصر ، القاهرة ، دار الكتب والوثائق القومية ٤٠ كيمياء
يا ـ بريطانيا ـ دبلن ـ جستربيتي ، ٤٠٢٠
يب ـ فرنسا ـ باريس ـ المكتبة الوطنية .
يج ـ المانيا الغربية ـ برلين ـ المكتبة الاهلية .We 1247 ٦٢٠٧
يد ـ اميركا ـ جامعة Yale ـ مكتبة الجامعة ١٣٧٥ (ل ـ ٤٧٦)
يه ـ المغرب ـ الرباط ـ الخزانة العامة ـ ٤٨٦ / ٢ مكتبة محمد المنوني
يو ـ سورية ـ حلب ـ المكتبة المارونية ـ نسخة يملكها جرمانوس فرحات)

٢٣ ـ مفتاح الراحة لأهل الفلاحة لمجهول ، وهو المخطوط الذي حققته وزميلي احسان صدقي العمد ، تحت الطبع الآن في المجلس الوطني للثقافة والآداب والفنون ، بالكويت (وتوجد منه النسخ التالية :

أ ـ المانيا الغربية ـ برلين ـ مكتبة برلين الأهلية ٦٢٠٨
ب ـ مصر ، القاهرة ، دار الكتب والوثائق القومية ، ٢٣٧ زراعة
جـ ـ مصر ، القاهرة ، دار الكتب والوثائق القومية ، ٨٥ زراعة) .

٢٤ ـ المقنع في الفلاحة لأحمد بن محمد بن حجاج الأندلسي ، كان حياً سنة ٤٤٦[7] هـ (ومنه النسخ التالية :

أ ـ المغرب ـ الرباط ـ الخزانة العامة ، ٦١٧ الجلاوي
ب ـ المغرب ـ الرباط ـ الخزانة الملكية ، ٦٩
جـ ـ المغرب ـ الرباط ـ الخزانة الملكية ، ٦٣٤٢
د ـ فرنسا ـ باريس ، المكتبة الوطنية ، ٥٠١٣
هـ ـ المغرب ـ الرباط ـ الخزانة العامة ، (D 1410 (.2461) .

٢٥ ـ نزهة العيون في أربعة فنون لمجهول ، (ومنه نسخة في تركيا ـ استانبول ، مكتبة متحف الطوب قابي ، ٢٦١٠ أحمد الثالث ، واخرى في سورية ـ حلب المكتبة المارونية ـ بدون رقم) .

تلكم هي مخطوطات الفلاحة التطبيقية التي التقطناها من فهارس المكتبات العربية والأجنبية ، ولدى تدقيقنا لهذه النسخ انتهينا إلى جملة من الملاحظات عليها :

---

(7) [طبع كتاب (المقنع في الفلاحة) لأبي عمر أحمد بن محمد بن حجاج الإشبيلي في الأردن سنة ١٩٨٢ م . قام بتحقيقه الأستاذ صلاح جرار وجاسر أبو صفية باشراف الأستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري ، واعتمد المحققان المخطوطات الثلاث (أ ، ب ، د) من بين المخطوطات الخمس التي عدّدها الأستاذ صالحية / لجنة المجلة] .

ملاحظات على مخطوطات الفلاحة التطبيقية :

كانت مخطوطة الفلاحة النبطية لابن وحشية ، ومخطوطة الفلاحة في الأرضين ، وجامع فرائد الملاحة للغَزّي ، هي أكثر المخطوطات الفلاحية التي لها تلخيصات ومختصرات ، فالفلاحة النبطية لها نحو عشرة تلخيصات وتقييدات ومنتخبات ، وكتاب الغَزّي له أربع تلخيصات ، وكتاب ابن العوام له تلخيص واحد .

أما أكثر الكتب تأثيراً في المصنفين في فن الفلاحة ، فكانت الفلاحة النبطية والفلاحة لابن بصال والفلاحة لأبي الخير الإشبيلي والفلاحة لابن العوام ، والمقنع في الفلاحة لابن حجاج .

وبالنسبة لملاحظاتنا التفصيلية على المخطوطات الفلاحية ، فانا ندرجها كما يلي :

أولاً : نسبت « بغية الفلاحين للأشجار المثمرة والرياحين » المحفوظة باستانبول ـ مكتبة متحف الطوب قابي ، ٢٤٢٢ مجموع ٢ إلى العباس بن علي بن داود الرسولي ت ٧٦٤ هـ ، واتفقت معها النسخة المحفوظة بالقاهرة في دار الكتب والوثائق القومية ، رقم ١٥٥ زراعة . أما النسخة المحفوظة في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء ١ غربية (زراعة) فنسبت إلى يحي بن اسماعيل الغساني ؟ . وكان سارجنت قد نشر أجزاء منها في مجلة الدراسات العربية ١٩٧٤ دون أن يشير إلى هذا الاختلاف ، ونحن نتفق مع الاستاذ اسماعيل الاكوع الذي نشر بحثاً أثبت أن بني رسول ما كانوا يؤلفون ، وإنما يؤلَّف لهم . فمن هو المؤلف الحقيقي للكتاب ، هل هو سليمان الكركي أم العلاء البيهقي صاحب معدن النوادر في معرفة الجواهر .

ثانياً : ومثل ذلك وجدنا على مخطوطة « جامع فرائد المَلاَحة » ، فقد نسبت في نسخة المتحف البريطاني ، رقم OR. 5751 الى شهاب الدين ، أحمد بن الحمزاوي وبالطبع فإن المخطوطة للغَزّي ، فمن هو الحمزاوي هذا ؟

ثالثاً : النسخة رقم ٨٤ زراعة « مخطوطة الدر الملتقط في علم فلاحتي الروم والنبط » المحفوظة في دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة هي منقولة عن النسخة رقم ٢١ زراعة المحفوظة في الدار ، وثبت ذلك بعد المقابلة والتدقيق ، وعليه ففي دار الكتب نسخة واحدة وفريدة من الدر الملتقط لا نسختان .

رابعاً : إن رسالة البيان والصراحة بتلخيص كتاب الملاحة في علم الفلاحة لمحمد بن عيسى بن محمود بن كنان ، المحفوظة في مكتبة برلين الأهلية تحت رقم We 1740 ٦٢١١ تتفق تمام الاتفاق مع النسخة رقم ١٠٤ زراعة طلعت ، المحفوظة في دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ، وجاء بعنوانها « نبذة علم الملاحة في علم الفلاحة لمجهول » وبذا تكون ١٠٤ زراعة طلعت نسخة اخرى من رسالة محمد بن عيسى بن كنان .

خامساً : ما نشر من كتاب الفلاحة لابن بصال ، اعتمد على النسخة التي يملكها محمد عزيمان ولعل الاشتغال بالنسخ الاخرى ، ٤٥ ، ٤٧ الاسكوريال ، و ٥٠١٣ (المكتبة الوطنية - باريس) ، ٣٠ مجموعة Gayangos (المعهد الملكي باسبانيا) و ٦٣٢٢ ، ٩٦٥١ الخزانة الملكية بالرباط ، سيضيف جديداً ، لا سيا وان معلوماتنا عن الكتاب الكامل انه مفقود ، والمنشور هو ملخصه ليس إلا .

سادساً : مخطوطة الفلاحة الرومية

جاء على صفحة العنوان في النسخة رقم ٤١٤ المحفوظة في مكتبة جامعة ليدن . « كتاب الفلاحة الرومية للحكيم قسطوس بن اسكوراسيكية . أخرجه من اللغة الرومية الى اللغة العربية عدد من المترجمين منهم قسطا بن لوقا . واسطفان ، وأبو زكريا ، يحي بن عدي ، وسرجس بن هلبا الرومي » ، والملاحظ أن الذين نقلوه جماعة من المترجمين ، أما النسخ الأخرى وخاصة المحفوظة في مكتبة جامعة ليدن Or. 540 ورقم ٢٤٣٢ أحمد الثالث ـ متحف الطوب قابي و ١٣٣ زراعة ، دار الكتب والوثائق القومية ، فجاء عليها ان ناقلها هو سرجس بن هلبا وحده[8] .

وملاحظة ثانية ، أن عدد الاجزاء اختلف من نسخة الى أخرى ، فالاجزاء سبعة في بعضها واثنا عشر جزءاً في البعض الآخر ، فهل معنى ذلك ان الترجمة تمت في فترات متباعدة وقام بها عدة أشخاص[9] .

(8) [جاء في مفتتح كتاب (الفلاحة الرومية) الذي نشرته المطبعة الوهبية بمصر بعنوان (كتاب الفلاحة اليونانية) : « هذا كتاب قسطوس الفيلسوف الرومي في الزراعة وما يتعلق بها مما لا يستغني الزارعون وأكثر سائر الناس عن علمه ، ويشتمل على اثني عشر جزءاً ، ترجمة سرجس بن هلبا الرومي ، ترجمه من اللسان الرومي الى العربي » . وجاء في الصفحة ١٩ من الكتاب : « الجزء الثاني من كتاب الفلاحة الرومية ، وضع الحكيم قسطوس بن اشكور اشكنبه ، وترجمة سرجس بن هلبا الرومي ، ترجمه من اللسان الرومي الى العربي » . وجاء في كتاب كشف الظنون لحاجي خليفة (٢ : ١٤٤٧) : « كتاب الفلاحة الرومية تأليف الحكيم قسطوس بن اسكور اسكينه ، وترجمه سرجس بن هليا الرومي من الرومي إلى العربي ، يشتمل على اثني عشر باباً (الصحيح : جزءاً ، لأن كل جزء يقسم الى أبواب) . وعربه أيضاً قسطا بن لوقا البعلبكي واسطاث وأبو زكريا يحي بن عدي ، وكانت ترجمة سرجس أكمل وأصلح من غيرها . وترجم هذا الكتاب بالفارسية وسماه الفرس كتاب (پور نامه) ، وترجمه بعض المترجين من الفارسية الى العربية فلم يأت به على ما يجب من الترتيب والكمال » / لجنة المجلة] .

(9) [كتاب الفلاحة الرومية المطبوع بالمطبعة الوهبية (مصر ١٢٩٣ هـ) يشتمل على اثني عشر جزءاً / لجنة المجلة] .

وملاحظة ثالثة ، أن بعض نسخ الفلاحة الرومية حملت عناوين مختلفة مثل البراعة في الفلاحة والزراعة لقسطوس الحكيم ، كتبه لابنه باسليس ، وعند تدقيقها ، فاذا هي الترجمة الفارسية للفلاحة الرومية ، حيث جاءت متطابقة مع النسخة رقم ٦٢٠٤ مكتبة برلين الأهلية ، وكانت هذه النسخة قد صنفت في مكتبة برلين تحت عنوان « الفلاحة النبطية لابن وحشية » وهذا خطأ . فهي الفلاحة الرومية (الترجمة الفارسية) .

- [مخطوطة] الفلاحين المحفوظة في مكتبة متحف الطوب قابي - خزانة أحمد الثالث ، رقم ٢٠٢٨ ، التي كتبها أبو نصر ، هبة الله بن يحي بن هبة الله بن جبرائيل النصراني في سنة ٥٦٣ هـ والتدقيق والمقابلة يثبتان انها نسخة من الفلاحة الرومية .

سابعاً : اقتنى العالم العظيم أحمد تيمور باشا قطعة من كتاب فلاحة ، أودعها في مكتبته تحت رقم ٢٩ زراعة تيمور ، وأولها : الباب الثامن ، يتعلق بتركيب الشجر ، وعند درسها وقراءتها ، نقول ، انها ليست لمجهول ، بل هي الباب الثامن من كتاب الفلاحة المنتخبة لطيبغا الجركلمشي التارتمري .

ثامناً : في اعتقادي أن النص المنشور لكتاب الفلاحة لأبي الخير الاشبيلي انما هو نص منتحل ، ذاك أن نصوص الكتاب المنشور لااتصال بينها ، وقد حاولت مقابلة النصوص التي نقلها ابن العوام في كتابه الفلاحة في الأرضين ، وكذلك النصوص الفلاحية المنقولة من ابي الخير الاشبيلي والموجودة في كتاب مفتاح الراحة لأهل الفلاحة ، وعارضتها مع

النص المنشور من فلاحة ابي الخير ، فلم تتفق معها لا في المعنى ولا الشكل ولا الكيفية[10] .

تاسعاً : عند اشتغالي وزميلي د . احسان العمد في تحقيق كتاب مفتاح الراحة لأهل الفلاحة ، وجدنا النسخ التالية تحمل نفس العنوان وهي :

- نسخة رقم NO.6208.Ldbg61 (مكتبة برلين الأهلية)
- نسخة رقم ٣٧ زراعة (دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة)
- نسخة رقم ٨٥ زراعة (دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة)

وعند التدقيق يثبت لديك ان النسختين ٣٧ ، ٨٥ زراعة ماهما الا الفن الرابع من موسوعة مباهج الفكر ومناهج العبر للوطواط .

أما النسخة الأولى فقد نسبت إلى أبي عبد الله ، شمس الدين محمد بن وحشية ، وفي بحثنا اثبتنا أنه نحلٌ وتزييف بدلائل وقرائن أوردناها في موضعه من الدراسة .

(10) [صدر في فاس (المغرب) سنة ١٣٥٧ ـ ١٣٥٨ هـ كتاب في الفلاحة لأبي الخير الإشبيلي الاندلسي ، نشره القاضي التهامي الناصري الجعفري وحققه محمد بن عبد الملك الرسموكي . ويقول الأستاذان صلاح جرار وجاسر أبو صفية محققا كتاب المقنع في الفلاحة في صفة كتاب أبي الخير : « وتبين من تدقيق نص كتاب الفلاحة المنسوب لأبي الخير أنه يتكون من قسمين : الأول (ص ٢ ـ ٨٤) ، والثاني (ص ٨٥ ـ ١٩٢) ، وان القسم الثاني هو منقول من كتاب الطغزي (زهر البستان) ، فمقدمته (د ـ ط) هي نفس مقدمة زهر البستان (١ ـ ١١) ، كما أن باقي المطبوع هو اقتباسات من بعض فصول هذا الكتاب ، رغم ما هناك من تباين في تقديم فصل أو تأخيره ، رغم ضعف التحقيق . وفي هذا القسم اشارة (ص ٩٩) الى أن المؤلف كان يقرأ على الحكيم أبي الحسن شهاب سنة ٤٩٤ هـ ، وهذا ماورد في مخطوط زهر البستان (ص ٦٨) . أما القسم الأول من الكتاب المنسوب لأبي الخير (ص ٢ ـ ٨٢) فان النص رغم ما فيه من تحريف هو نفس الصفحات (١ ـ ٧٨) من هذا الكتاب (أي كتاب المقنع في الفلاحة لأبي عمر ابن حجاج الاشبيلي) ، وهذا يدعو الى مزيد من التدقيق » / لجنة المجلة] .

عاشراً : ونقف أمام الموسوعة العلمية « مناهج الفكر ومباهج العبر » لجمال الدين ، محمد بن إبراهيم بن يحي الوراق ، الوطواط ت ٧١٨ هـ ، التي كانت أكثر الكتب عرضة لتلاعب النساخ ومقتني الكتب ومدعي التأليف ، فقد سطت الأيدي على الموسوعة ومزقت أجزاء منها وعلى الأخص فنها الرابع ، فأضيفت الى المقدمة أوراق وانتحل البعض تأليفها ، وقد اكتفى أحد المؤلفين الضعفاء بإضافة سطر واحد فقط وادعى « انه كتاب ساقته المقادير الى أنامل الحقير ... »

وأكثر من ذلك ، فان بعض المالكين له نسبه إلى ابن العوام ، وانطلت مثل هذه الألاعيب على مفهرسي المكتبات ، وأدرجوها كما هي ودون أن يكلفوا أنفسهم عناء الكشف عن حقيقة الكتاب ، ومثال ذلك :

أ ـ حملت النسخة رقم ٤٠٢٠ المحفوظة في مكتبة جستربيتي عنوان « الفلاحة في الأرضين » وعند مطالعتها ومقارنتها مع كتاب ابن العوام المعروف والمنشور ، لاتجد أي اتفاق بينهما ، وتكتشف أنها « الفن الرابع من مباهج الفكر » أي الجزء الفلاحي من موسوعة الوطواط .

هذا ، وقد وجدت الاشارات التالية على النسخة ، اثبتها علها تفيد في تحديد المكان الأصلي الذي كانت فيه النسخة قبل رحيلها الى دبلن

Els . NO . 1698

الفلاحة للشيزري M . 97

مخرج ١١١٦

ب ـ النسخة رقم ٦٢٠٧ (مكتبة برلين الأهلية) . جاء بعنوانها

« كتاب في علم الفلاحة » مما ساقته المقادير الى أنامل عبده الحقير يوسف أفندي بن الشيخ الجليل المكردي ، ومع أن النسخة رديئة الخط ، يحاول الناسخ في مرات كثيرة أن يقفز أسطراً ، كأخطاء سبق النظر ، إلا أن مقابلتها مع موسوعة مباهج الفكر يثبت أن المخطوطة رقم ٦٢٠٧ ما هي إلا نسخة أخرى من المباهج .

جـ ـ النسخة رقم ١٨ زراعة ، المحفوظة في مكتبة كلية الزراعة بسوهاج ، كان عنوانها « هذا كتاب في كيفية الزراعة وما يتعلق بها ، وأسماء الأشجار وغير ذلك » وهو من مقتنيات الخزانة الملكية التي اتحفت بها كلية الزراعة فيما بعد ، وعندما تفحصها تجدها نسخة اخرى من الفن الرابع من الموسوعة الوطواطية .

د ـ النسخة رقم ١٩٩٠ المحفوظة في خزانة لا له لي ، بالمكتبة السليمانية ـ باستانبول ، وكان عنوانها « فلح النباتية » ونسبت لمجهول ، حتى اذا ما قرأت المخطوطة وقابلتها مع الفن الرابع ، تجدها نسخة اخرى منه ، وانها ليست كتاباً مستقلاً اسمه « فلح النباتية » .

انها ملاحظات التقطناها من خلال دراستنا لتراث الفلاحة التطبيقية عند العرب ، نرجو أن تجد العناية من الباحثين في تاريخ الفلاحة عند العرب لتسير أبحاثهم في طريقها الأصوب منذ البداية .

(التعريف والنقد)

نظرات في نظرات

الأستاذ أحمد راتب النفاخ

١

للأستاذ صبحي البصام فيما يحبّره من مقالات التفاتاتٌ طريفة ، وتحقيقات بارعة لا يغض من قدرها أنه ربما ذهب في بعض الأمور مذهباً يرى غيره خلافه . وحسبُ الأستاذ فضلاً أنه استثار تلك الأمور واجتهد فيها اجتهاده ، ثم عرض ذلك كلّه للبحث والنظر . ومن ذلك أشياء استوقفتني وأنا أنظر في مقالته : « نظرات في كتاب التعليقات والنوادر ـ الجزء الثاني »[1] قبل دفعها إلى الطبع ، منها ماسهافيه الأستاذ في النقل عن بعض المصادر ، أو في تسميتها ، ومنها ماتناول فيه مسائل بدا لي فيها غير ماذهب إليه . وكنت هممت إذ ذاك أن أعلق على مقالته بما بدا لي ، إلا أني رأيت غير ما مسألة من تلك المسائل لا يفي بها تعليق مقتضب ، ولهذا ماآثرت أن أفرد لبسط ذلك هذه المقالة .

وقد حملني على الإطالة في عدة مسائل أن كان لابد لاستيفاء الكلام في بعضها من دراسة طائفة من الأسانيد ، وقد اضطرني ذلك إلى محاولة الكشف عن أمر رجال من رجال الرواية ، منهم من خفيت حاله ، ومنهم من لم أُصب له ترجمة ، وأني رأيت الأستاذ بنى كلامه في بعضها على نصوص منها ماوهم صاحبه ، ومنها ما شابته شوائب من السقط والتحريف وسوء الضبط ، فكان لابد لي من تقصّي القول في ذلك أيضاً . وقد أردت ـ فيما أردت ـ من ذلك الإلماع إلى أصول من أصول النظر في الروايات والنصوص ونقدها من جهة ، والإشارة إلى أن كثيراً من أمهات مراجعنا في الأدب واللغة والتاريخ ماتزال تفتقر إلى طبعات علمية

محررة ودراسة جامعة من جهة أخرى . ولهذا حديث يطول اجتزأت عنه بهذه الكليات .

وهذا بسط ما بدا لي في مقالة الأستاذ :

١ ـ ذكر الأستاذ في الفقرة (٤) من مقالته أن الهجري أنشد لعمرة بنت النعمان الأنصارية

فإن ولدتْ مهراً كريماً فبالحَرَى وإن يكُ إقرافٌ فمن قِبَل الفَحْلِ

وعقب على ذلك قال : « وها هنا أربعة أمور تقال .... » ثم بسط تلك الأمور ، وأخذ في الثالث منها على محقّق الكتاب (؟) أن قال في التعليق على البيت : « لم أعثر على البيت في مختلف المصادر الأدبية » ! على حين جاء البيت مع آخر قبله في كثير من كتب الأدب واللغة ، وقد عدّد الأستاذ منها طائفة حسنة [٢] . وأما الأمور الثلاثة الأخر فكانت نظراتٍ في نسبة البيتين ورواياتها ، وفي كلّ منها مقال .

أ ـ قال الأستاذ في ذكر الأمر الأوّل : « منها أن الأغلب في رواية البيت لهند وليس لعمرة ، بدلالة بيت قبله لم يذكره الهجري ، وهو :

وهل هند إلاّ مهرةٌ عربيةٌ سليلةُ أفراسٍ تجلّلها بَغْل »

كذا قال الأستاذ ، ومراده ـ كما يبدو من جملة كلامه ـ أن الأرجح في نسبة البيتين أنهما لهند لا لعمرة . ويظهر أن الأستاذ نظر فيما رجع إليه من مصادر نظرة خاطفة ، ثم سارع إلى البتّ بهذا الذي قال وقد غابت عنه أشياء . وليكون القول في مثل هذا الأمر على بصيرة لا بدّ من التأنّي في استقراء الروايات ومعارضة بعضها ببعض ، والنظر في مخارج ما أُسنِد منها وطرق تحمّله ، حتى إذا ما بدا ما يوجب ترجيح قول على غيره فذاك ، وإلاّ اقتُصِر على ذكر الخلاف على وجهه ، ونسبة كل قول

إلى صاحبه أو مصدره . وقد يكون الخطب في نسبة هذين البيتين أهون من أن يُتَكلَّف له هذا العناء ، غير أني تجشّمت ذلك تنبيهاً على هذا الأصل في مدارسة النصوص والأخبار من جهة ، وتحذيراً من مغبة التسرّع في إلقاء الأحكام من جهة أخرى .

وفي نسبة البيتين أقوال ، غير أن أكثر المصادر والروايات تجتمع على نسبتهما إلى ابنةٍ للنعمان بن بشير الأنصاري ـ وهو الثبت الذي لا مدفع له ـ ثم تختلف في تسميتها ، لم يشذّ عن ذلك ، فيما وقفتُ عليه ، إلا حكاية لا يُعْرَف لها مخرج ، ومقالة لأبي الفرج خالف فيها ما حكاه عن رجاله ، وكلتاهما ـ كما سيأتي ـ ممّا لا تقوم به حجة .

وأقدم ما وقفتُ عليه من المصادر التي روت البيتين مجاز القرآن لأبي عبيدة (ت ٢١٠ هـ) أنشدهما فيه ٢ : ٥٥ واقتصر على أن قال : « قالت بنت النعمان بن بشير الأنصارية .... » ولم يذكر لها اسماً . ثم سُمِّيت في طائفة من المصادر والروايات : حميدة ، وفي طائفة : هنداً . وقد حكى غير واحد كلا القولين من غير ما ترجيح . وأمّا نسبة البيتين أو أحدهما إلى عمرة بنت النعمان فلم أجد من صرّح بذلك غير الهجري ، وهو قول شاذّ لا يعاج به ، والظاهر أنه سهو منه .

وأقدم من أصبتُ عنده تسميتها حميدةَ أبو عثمان الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) أنشد لها البيتين في كتاب البغال ـ رسائل الجاحظ (تحقيق عبد السلام هارون) ٢ : ٣٥٨ ، القول في البغال (نشرة پلا) ص : ١٢١ . ثم سُمِّيت حميدةَ أيضاً فيما حكاه أحمد بن أبي طاهر طيفور (ت ٢٨٠ هـ) وأبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦ هـ) من خبرها مع أزواجها ، وسيأتي القول في رواياتها .

وأما أقدم من وجدت عنده البيتين منسوبين إلى هند بنت النعمان بن بشير فهو ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) وذلك في كتابيه : أدب الكاتب ، ص : ٤٢ (ط . ليدن) ، ٤١ (ط . بيروت) وغريب الحديث ٢ : ٣٢٦ . ثم أنشدهما لهند أبو منصور الأزهريّ (ت ٣٧٠ هـ) في معجمه تهذيب اللغة ٦ : ٦٠ ـ وهما عنه في اللسان (هجن) ، والراغبُ الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ) في محاضرات الأدباء ٣ : ٢١٠ ، وموفّقُ الدين ابن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠ هـ) في الاستبصار ، ص : ١٢٣[٣] .

وكذلك سُمِّيت هنداً فيا حكاه من خبرها وفيه البيتان ابن عبد ربه (ت ٣٢٨ هـ) في العقد ٦ : ١١٥ ـ ١١٦ ، وصاحب كتاب أخبار النساء ، ص : ١١١ ـ ١١٢ (ط . بيروت) وهذا الكتاب نُسِب إلى الإمام ابن القيِّم (ت ٧٥١ هـ) وإني لفي شك من صحّة هذه النسبة[٤] .

وقد سمّاها هنداً أيضاً الشاعر الأندلسيّ : ابن صارة الشنتريني في قوله :

وصاحب لي كداء البطن صحبته ... يودّني كوداد الذئب للراعي
يثني عليّ جزاه الله صالحة ... ثناءَ هند على روح بن زنباع

أنشدهما له ابن خلّكان (ت ٦٨١ هـ) في ترجمته في وفيات الأعيان ٣ : ٩٥ (تحقيق د . إحسان عباس) وعقب عليها بأن المعنية هند بنت النعمان بن بشير ، وأنشد لها البيتين ، ثم ذكر أنهما يرويان لحميدة أيضاً . ومن قبله أنشد أبو عبيد البكري (ت ٤٨٧ هـ) البيتين في اللآلي ، ص : ١٧٩ لهند ، وقال عقبها : « وقال الليثي : إن اسمها حمدة أو حميدة ، وروايته : وهل كنتُ إلا مهرةً عربية » . وانظر التنبيه ، له أيضاً ،

ص : ٣١ . وكذلك ذكر ابن السِّيد البطليوسي (ت ٥٢١ هـ) في كتابه : الاقتضاب الذي شرح فيه أدب الكاتب ، ص : ١١٧ ، وص : ٣٠٦ أن هناك من يرويها لحميدة ، ونصّ في الموضع الثاني أن هؤلاء يروون : « وهل أنا إلاّ مُهْرة .... » وفي الموضع الأوّل أنهم يروون : « وما أنا إلا مهرة .... » . وجاء نحو هذا في تعليق لبعض علماء الأندلس أيضاً في حاشية الدلائل في غريب الحديث لقاسم بن ثابت السرقسطي ، ورقة : ١٠٧ ب (مخطوط الظاهرية - انظر « حديث الشعبي في صفة الغيث » تحقيق د . شاكر الفحام في هذه المجلة ، المجلد ٥٨ ، ج ١ : ١٢) .

على أن المصادر والروايات السالفة - وإن اختلفت في اسم قائلة البيتين - لم تختلف في أنها كانت زوجاً لروح بن زنباع الجذامي (ت ٨٤ هـ) وأكثرها ينصّ أنها قالتها فيه . وشذّ مما سُمِّيتْ فيه حميدةَ إحدى روايات أبي الفرج التي سيأتي ذكرها ، فجعلتها ممّا قالته في الفيض بن أبي عقيل الثقفيّ ، وكان هذا قد تزوّجها بعد روح . وكأن ابن السّيد عنى هذه الرواية عند ما قال في الاقتضاب ، ص : ١١٧ : « وقد روي هذا الشعر لحميدة بنت النعمان بن بشير وأنها قالته في الفيض بن أبي عقيل الثقفي .... » إلا أن ابن السيد نفسه لما ذكر ثانيةً في كتابه هذا ، ص : ٣٠٦ أن البيتين رويا لحميدة أيضًا حكى ما جاء في الروايات الأخر من أنها هجت بها روحاً . وهو الأثبت .

هذا ، ولا حفْل بحكاية نقلها من المتأخرين الأبشيهيُّ (ت ٨٥٢ هـ) في المستطرف ١ : ٥٣ - ٥٤ ثم السيوطيُّ (ت ٩١١ هـ) في تحفة المجالس ، ص : ٢٧٩ - ٢٩٠ ومجملها أنه وُصِف للحجاج حُسْن هند بنت النعمان فتزوّجها ، ثم سمعها يوماً تقول فيه البيتين وهي تنظر في

المرآة فطلقها ، فتزوّجها بعده عبد الملك بن مروان .... في خبر طويل !! فهي حكاية مختلقة لايُعرَف لها أصل ولا مخرج ، وفيها ركّة وتخليط كثير ، ويظهر أنّها مما كان يلفّقه أصحاب الأسمار ومن إليهم[٥] .

وباعتبار هذا الإجماع على أن قائلة البيتين كانت زوجًا لروح بن زنباع من جهة ، وبالنظر في طرق الرواية من جهة أخرى فإنّ الذي يظهر رجحانه أنها حميدة كما قال الجاحظ ، وكما جاء فيما حكاه ابن أبي طاهر وأبو الفرج من خبرها ؛ فإن رواياتها في الجملة أعلى الروايات وأصحّها مخرجًا ، ويصدّقها في أن التي تزوّجها روح من بنات النعمان بن بشير إنما هي حميدة مصدران من أوثق كتب الرجال والأنساب .

أما ابن أبي طاهر فحكى خبرها في القطعة التي طبعت من كتابه : « المنثور والمنظوم » باسم بلاغات النساء ، ص : ١٣٢ ـ ١٣٧ (ط . بيروت) عن شيخه عمر بن شبة (ت ٢٦٢ هـ) موقوفاً عليه .

وأما أبو الفرج ـ وعلى رواياته المعوّل ـ فحكى ذلك في موضعين من الأغاني :

أولها : في « ذكر الحارث بن خالد ونسبه .... » ٩ : ٢٢٧ ـ ٢٣٣ . وقد حكاه ثَمَّ أوّل ما حكاه عن أحمد بن عبد العزيز (الجوهري) عن عمر بن شبة أيضاً . وفي هذه الرواية ـ وهي أحسن سياقة من رواية ابن أبي طاهر ـ قدّم عمر طرفًا من خبرها حكاه بلاغًا ، وجاء في رواية ابن أبي طاهر مؤخّراً محكيّاً بصيغة التمريض : « يُقال » . ومجمله أن الحارث بن خالد ـ ويقال : بل خالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد ـ تزوّج حميدة هذه فهجته بأبيات ، وهجاها بأبيات ، ثم طلقها فخلف عليها روح بن زنباع . وقد حكى أبو الفرج عقب هذا الجانب من رواية

عمر نحو ما جاء فيه من وجه آخر ، قال : « وأخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال ، حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال ، حدثنا محمد بن الحكم ، عن عوانة بهذا الخبر فذكر مثله ، ولم يذكر أنّ الحارث هو المتزوّجها .... » ثم رجع إلى رواية عمر فقال : « قال أبو زيد (يعني عمر) : وحدثني ابن عائشة عن أبيه بهذا الخبر ونحوه ، وزاد فيه أنّ الحارث لما تزوّجها قالت فيه :

نكحتُ المدينيّ إذ جاءني فيالك من نكحة غاويهْ

وذكر الأبيات المتقدّمة (وكان قد أنشد الأبيات فيما تقدّم) وقال عمر بن شبة فيه (يعني فيما حكاه عن ابن عائشة عن أبيه) : وتزوّجها روح بن زنباع .... » وساق خبرها مع روح وما كان بينهما من تهاجٍ وفيه البيتان ، ثم خبرها مع الفيض الذي تزوّجها بعده ، وسائرَ ما ذكره بمثل ما جاء في رواية ابن أبي طاهر .

وهذا سند للخبر حسن أو إلى الحسن ما هو .

وأوّل رجاله أبو الفرج نفسه ، وهو غنيّ عن التعريف ، وحسبنا قول الحافظ الذهبي في ترجمته في ميزان الاعتدال ٣ : ١٢٣ : « الظاهر أنه صدوق » وقد أقرّه على ذلك الحافظ ابن حجر في لسان الميزان ٤ : ٢٢١ .

وأحمد بن عبد العزيز الجوهري من شيوخه الذين أكثر من الرواية عنهم في الأغاني ، وقد حكى عنه في مواضع من مقاتل الطالبيين أيضاً ، وقد روى عنه أبو أحمد العسكري (ت ٣٨٢ هـ) في بضعة عشر موضعاً من كتابه : المصون ، وكذلك حكى عنه المرزباني (ت ٣٨٤ هـ) في الموشح أخباراً كثيره كتب بها إليه . ولم أجد له ترجمة ، غير أن الخطيب البغدادي ذكره في شيوخ أحمد بن عبد الله بن خلف أبي بكر الدوريّ الوراق في تاريخ بغداد ٤ : ٢٣٤ ، وأفاد أنه بصريّ . ويؤخذ من أسانيد أبي الفرج أنه روى عن جماعة منهم إسماعيل بن إسحاق القاضي

(ت ٢٨٢ هـ) وعبد الله بن أبي سعد الوراق (ت ٢٧٤ هـ) ومحمد بن زكريا الغلابي ، وعلي بن محمد النوفلي ، ومحمد بن القاسم بن مهرويه ، وغيرهم ، إلا أنّ أكثر روايته عن عمر بن شبة . وربما قرنه أبو الفرج بآخر من شيوخه أو أكثر ، كحبيب بن نصر المهلبي (ت بعد ٣٠٧ هـ) وأحمد بن عبيد الله بن عمار (ت ٣١٤ هـ) وإسماعيل بن يونس الشيعي (ت ٣٢٣ هـ) . وقد اعتبرت طائفة صالحة من رواياته وعارضتها بروايات غيره فرأيتها إلى الاستقامة ، ويظهر أنه كان حسن الحفظ والأداء لما يرويه . وقد جاءت رواية ابن أبي طاهر لهذا الخبر - وإن كانت موقوفة على عمر - مصدّقة لروايته في الجملة .

وابن أبي طاهر هذا تحامل عليه بعضهم ، فغض منه واتّهمه باللحن والتصحيف ، غير أني لم أجد أحداً يدفعه عن الصدق فيما ينقله ويحكيه ، بل لقد شهد له الخطيب البغدادي بأنه « كان أحد البلغاء الشعراء الرواة ، ومن أهل الفهم المذكورين بالعلم » انظر ترجمته في الفهرست ، ص : ١٤٦ (ط . ليبسك) ١٦٣ (ط . طهران) وتاريخ بغداد ٤ : ٢١١ ، ومعجم الأدباء ٣ : ٨٧ ، والوافي بالوفيات ٧ : ٨

وشيخهما أبو زيد عمر بن شبة من كبار الأخباريين الموثّقين عند أصحاب الحديث ، قال فيه الخطيب : « كان ثقة عالماً بالسير وأيام الناس ، وله تصانيف كثيرة » . انظر ترجمته في الفهرست ، ص : ١١٢ (ط . ليبسك) ١٢٥ (ط . طهران) وتاريخ بغداد ١١ : ٢٠٨ ، ومعجم الأدباء ١٦ : ٦٠ ، ووفيات الأعيان ٣ : ٤٤٠ ، وتهذيب التهذيب ٧ : ٤٦٠ ، وغاية النهاية ١ : ٥٩٢ ، وبغية الوعاة ، ص : ٣٦١ .

وشيخه ابن عائشة هو أبو عبد الرحمن عبيد الله بن محمد بن حفص التيمي القرشي (ت ٢٢٨ هـ) ويقال له : ابن عائشة ، والعائشي ، والعيشي لأنه من ولد عائشة بنت طلحة . وكان من جلّة العلماء بالأخبار والأنساب والآثار ، روى عنه الحديث من الكبار الإمام أحمد ، وأبو حاتم ، ويعقوب بن أبي شيبة ، وغيرهم .

وقال فيه الخطيب : « كان فصيحاً ، أديباً ، سخيّاً ، حسن الخلق ، غزيرَ العلم ، عارفاً بأيام الناس » ونعته الحافظ الذهبي بـ « الإمام العلامة الثقة » . انظر ترجمته في تاريخ بغداد ١٠ : ٣١٤ ، وتهذيب التهذيب ٧ : ٤٥ ، وفي سير أعلام النبلاء ١٠ : ٥٦٤ وسائر ماذكر محققوه من مصادر .

وأبوه محمد بن حفص لم أجد له ترجمة ، خلا أن الجاحظ ذكره في البيان والتبيين ١ : ٣٢٠ في النسابين العلماء وقال : « وابنه عبيد الله كان يجري مجراه » وكان قد ذكر فيه ١ : ١٠٢ عبيد الله في البلغاء ، وشهد له بأنه « كان كثير العلم والسماع ، متصرّفاً في الخبر والأثر » ثم قال في أبيه : « وكان أبوه محمد بن حفص عظيم الشأن كثير العلم » .

ثم إنّ أبا الفرج حكى خبرَها عقب رواية عمر من وجه آخر قال : « أخبرني محمد بن خلف وكيع قال ، حدثنا سليمان بن أيوب قال ، حدثنا المدائني ، عن مسلمة بن محارب قال : قالت حميدة بنت النعمان لزوجها روح بن زنباع .... » وقصّ طرفًا من خبرها مع روح لم يقع في رواية ابن شبة ، وقال أبو الفرج بعده : « ثم ذكر باقي خبرها مثل ما تقدّم » يعني مثل ما جاء في رواية ابن شبة . وهو يفيد أن البيتين جاءا في هذه الرواية أيضاً فيما هجتْ به روحاً .

وسند هذه الرواية نحو سند الرواية السابقة :

محمد بن خلف وكيع القاضي (ت ٣٠٦ هـ) أخباريّ علامة ، قال فيه الخطيب : « كان عالما فاضلاً عارفاً بالسير وأيام الناس وأخبارهم وله مصنفات كثيرة » وكان إلى ذلك من أهل القرآن والفقه والنحو . وقد حكي عن ابن المنادي أن الناس أقلّوا عنه للين شهر به - يعني في الحديث ، غير أن الحافظ الذهبي قال فيه : « صدوق إن شاء الله » انظر ترجمته في تاريخ بغداد ٥ : ٢٣٦ ، والمنتظم ٦ : ١٥٢ ، وميزان الاعتدال ٣ : ٥٣٨ ، ولسان الميزان ٥ : ١٥٦ ، والوافي ٣ : ٤٣ .

وشيخه سليمان بن أيوب أبو أيوب المديني من رجاله الذين حكى عنهم في كتابه : « أخبار القضاة »[٦] . وقد حكى أبو الفرج عن غير واحد من شيوخه عنه[٧] ، وذهب مصححو الأغاني ٢ : ٨ التعليق : ٢ إلى أنه الذي ذكره ابن النديم في الفهرست ، ص : ١٤٨ (ط . ليبسك) ١٦٥ (ط . طهران) قال : « أبو أيوب المديني ، واسمه سليمان بن أيوب بن محمد . من أهل المدينة ، من الظرفاء الأدباء ، عارف بالغناء وأخبار المغنين ، وله في ذلك عدة كتب .... » وفي نفسي من ذلك شيء ؛ فإن الذي حكى أبو الفرج عن وكيع وغيره من شيوخه عنه سمّي في بعض أسانيده ١٩ : ١٩٥ « سليمان بن أيوب بن أعين » لا « سليمان بن أيوب بن محمد » كالذي ذكره ابن النديم . ثم إن ماجاء في الأغاني من طريقه في غير أخبار المغنين يربي كثيراً على ماجاء عنه من أخبارهم . ومهما يكن الأمر فإن شيخ وكيع هذا كان ـ فيما يظهر ـ من حفظة الأخبار المتّسعين في الرواية ، وقد أحصيت له من أسانيد أبي الفرج نحو عشرين شيخاً من أجلّهم مصعب الزبيري (ت ٢٣٦ هـ) ومحمد بن سلام الجمحي (ت ٢٣٢ هـ) وأبو الحسن علي بن محمد المدائني (ت ٢٢٥ هـ) وهو شيخه الذي روى عنه هذا الخبر . ويظهر أن أبا أيوب هذا كان عند أبي الفرج من الحفظة المتقنين لما يروون ؛ يشهد بذلك أنه حكى ١٣ : ٣٣٠ ـ ٣٣١ خبراً من أخبار مطيع بن إياس عن أبي الحسن الأسدي ، وهو أحمد بن محمد (ت ٣٠٧ هـ) عن حماد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن سعيد بن سالم [لعل الصواب : سلم] عن مطيع نفسه ، وقال عقبه : « هكذا ذكر أبو الحسن الأسدي في هذا الخبر ، وهو غلط » مع أن أبا الحسن هذا وثقه الدارقطني ، انظر ترجمته في تاريخ بغداد ٥ : ٤٢ ، ثم لم يزد أبو الفرج على أن قال بعد ذلك : « نسخت خبر هذا من خط أبي أيوب المدائني [الصواب : المديني] عن حماد ، ولم يقل : عن أبيه : عن سعيد بن سالم [سلم] عن مطيع .... » وساق الخبر من روايته وفيها خلاف لرواية أبي الحسن[٨] .

وأما شيخه أبو الحسن المدائني فمن أكبر الأخباريين الثقات المكثرين من التأليف ، وثقه يحي بن معين وغيره ، ونعته الحافظ الذهبي بـ « العلامة الحافظ

الصادق » ثم قال فيه : « وكان عجبًا في معرفة السير والمغازي والأنساب وأيام العرب ، مصدَّقًا فيما ينقله عاليَ الإسناد » . انظر ترجمته في الفهرست ، ص : ١٠٠ (ط . ليبسك) ، ١١٣ (ط . طهران) وتاريخ بغداد ١٢ : ١٥٤ ، وفي سير أعلام النبلاء ١٠ : ٤٠٠ وسائر ماذكره محققوه من مصادر .

وشيخه مسلمة بن محارب (الزيادي) ترجمه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٤ : ١ / ٢٦٦ قال : « مسلمة بن محارب الزيادي كوفيّ روى عن أبيه ، وعن ابن جريج ، روى معتمر بن سليمان ، عن رجل من أهل الكوفة ، عنه . وروى أبو الحسن المدائني عنه ، سمعت أبي يقول ذلك » . وأظنه وهم في قوله : كوفيّ ؛ فإن مسلمة هذا من ولد زياد بن سمية (ابن أبيه) وإليه نسبته ، وموطن ولده البصرة لا الكوفة . وتمام نسبه : مسلمة بن محارب بن سلم بن زياد . انظر أنساب الأشراف ٣ : ٩١ ، وشرح النقائض ، ص : ٧٢٦ ، وأخبار أبي تمام ، ص : ١٧٨ . وقد جاء في الأغاني روايات أخر للمدائني وغيره عنه ، ولأبي عبيدة روايات عنه في شرح النقائض ، ص : ٧٢٦ ، ٧٣٠ ، ٧٣٤ . وممن أكثر من النقل عن المدائني عنه : البلاذريّ في أنساب الأشراف ، ولاسيما في أخبار زياد . (انظر فهرس الأعلام في الجزء الأول من القسم الرابع منه ، ص : ٦٦٦) وكذلك روى الطبري في مواضع شتى من تاريخه عن عمر بن شبة ، عن المدائني ، عنه . ويظهر من أسانيده أن مسلمة هذا روى عن أناس كثر ، وممن روى عنهم من الأعلام الثقات : داود بن أبي هند (ت ١٣٩ هـ) وخالد بن مهران الحذاء (ت ١٤١ هـ) وعوف بن أبي جميلة الأعرابي (ت ١٤٦ هـ) .

وانظر تعليق شيخنا العلامة أبي فهر محمود محمد شاكر على طبقات فحول الشعراء ، ص : ١٢٧ ، ٣٧٦ ، وهو الذي هداني إلى أن مسلمة هذا هو الذي روى عنه المدائني ، وكنت قد حرت في أمره ، ومنه أفدت أكثر هذا الذي قلته فيه .

والموضع الثاني الذي حكى فيه أبو الفرج خبرها كان فيما ألحقه بـ « أخبار النعمان بن بشير ونسبه » من ذكر الشعراء من ولده ١٦ :

٥٣ ـ ٥٤ . ويظهر مما عقب به في أواخر الخبر على بعض ما جاء فيه أنه حكاه في هذا الموضع من رواية خالد بن كلثوم ، كما يظهر من كلامه في مواضع قبل ذلك ص : ٢٧ ، ٤٠ ، ٤٥ ، ٤٨ أن ما حكاه في هذه البابة عن خالد هذا من شعر النعمان وخبره وخبر ولده نسخه من « كتاب أبي سعيد السكري في مجموع شعر النعمان » وأن الكتاب كان بخط أبي سعيد نفسه ، وأن أبا سعيد روى ذلك عن محمد بن حبيب عن خالد . وقد استهلّ خالد ذكرها بقوله : « .... وبنت النعمان بن بشير ، واسمها حميدة ، كانت شاعرة ذات لسان وعارضة وشرّ ، فكانت تهجو أزواجها .... » ثم ساق خبرها مع أزواجها وما قالته فيهم . وعمود الخبر يكاد يكون في روايته ورواية عمر بن شبة واحداً ، غير أنهما اختلفا في أشياء مألوف الاختلاف في مثلها ، ومنها أن خالداً جعل قولها : « وهل أنا إلا مهرة .... » البيتين مما قالته في الفيض لا في روح . وهذه الرواية هي التي تقدّم أنها شذّت في ذلك عن سائر الروايات .

وأبو سعيد الذي نسخ أبو الفرج من كتابه بخطه هو الراوية الكبير المكثر المجوِّد أبو سعيد الحسن بن الحسين السكريّ (ت ٢٧٥ هـ) قال فيه الخطيب : « كان ثقة ديّناً صادقاً يقرئ القرآن ، وانتشر عنه من كتب الأدب شيء كثير » وحكى ابن النديم أنه كان حسن المعرفة باللغة والأنساب والأيام ، مرغوباً في خطه لصحته . ثم ذكر أنه عمل أشعار جماعة من الفحول ، وقطعة من القبائل . ومــاانتهى إلينا من صنعته ـ ولاسيا ديوان الفرزدق ، وشرح أشعار الهذليين ـ يصدّق قول ياقوت فيه : « كان إذا جمع جمعاً فهو الغاية في الاستيعاب والكثرة » . انظر ترجمته في تاريخ بغداد ٧ : ٢٩٦ ، والفهرست ، ص : ٧٨ (ط . ليبسك) ٨٦ (ط . طهران) والمنتظم ٥ : ٩٧ ، ومعجم الأدباء ٨ : ٩٤ ، وفي إنباه الرواة ١ : ٢٩١ وسائر ما ذكره محققه من مصادر . وانظر أيضاً مقدمة الدكتور شاكر الفحام للجزء الذي نشره المجمع بالتصوير من ديوان الفرزدق ـ صنعة أبي

سعيد هذا ، وما كتبه أيضاً في كتابه : الفرزدق ، في « توثيق نسخة الديوان » ص : ٢٣٩ ـ ٢٥٢ .

وشيخه محمد بن حبيب (ت ٢٤٥ هـ) قال فيه ابن النديم : « كان من علماء بغداد بالأنساب والأخبار واللغة والشعر والقبائل ، وعمل قطعة من أشعار العرب . روى عن ابن الأعرابي ، وقطرب ، وأبي عبيدة ، وأبي اليقظان وغيرهم . وكان مؤدّباً وكتبه صحيحة » . وقد وثقه الخطيب قال : « كان عالماً بالنسب وأخبار العرب ، موثَّقاً في روايته » . انظر ترجمته في تاريخ بغداد ٢ : ٢٧٧ ، والفهرست ، ص : ١٠٦ (ط . ليبسك) ١١٩ (ط . طهران) ومعجم الأدباء ١٨ : ١١٢ ، وفي إنباه الرواة ٣ : ١١٩ وسائر ما ذكره محققه من مصادر .

وأما خالد بن كلثوم فأجمع ما وجدت في ترجمته ما ذكره ابن النديم في الفهرست ، ص : ٦٦ (ط . ليبسك) ٧٣ (ط . طهران) وهو يعدد علماء الكوفيين قال : « ومن علمائهم أيضاً ورواتهم خالد بن كلثوم الكلبي من رواة الأشعار والقبائل وعارف بالأنساب والألقاب وأيام الناس ، وله صنعة في الأشعار والقبائل ـ هذه الحكاية من خط ابن الكوفي . وله من الكتب كتاب الشعراء المذكورين ، كتاب أشعار القبائل ويحتوي على عدّة قبائل » . وقد شهد له ابن سلام في طبقات فحول الشعراء ، ص : ١٤٨ بأنه « من أهل العلم » . وحكى أبو الطيب في مراتب النحويين عن أبي حاتم مقالة في المفضل قال بعدها ، ص : ٧٢ : « ثم كان خالد بن كلثوم صالح العلم بالشعر ، وكان أوسع في العربية من المفضل » . ولم أجد تاريخاً لوفاته ، غير أن الزبيدي ذكره في طبقاته ، ص : ٢١١ (الطبعة الأولى) في الطبقة الثانية من اللغويين الكوفيين بعد المفضل الضبي (ت ١٦٨ ، أو ١٧١ هـ) وأبي محمد الأموي ، وقبل محمد بن عبد الأعلى (ت ٢٠٧ هـ) وأبي عمرو الشيباني (ت ٢٠٦ ، وقيل : ٢١٠ ، ٢١٦ هـ) ولم يزد على إثبات اسمه شيئاً . وكأنه يلمع إلى أنه إلى الأخيرين أقرب ، وجملة ما اجتمع لي من أخباره يصدق ذلك ويرجح أنه توفي بعد المئتين . ومن أخباره ما يفيد ـ إن صح ـ أنه ولد في أواخر المئة الأولى . وبسط ذلك كله وتحقيق القول فيه يحتاج إلى مقالة مفردة .

وسند هذه الرواية جيد ، غير أن ابن حبيب لم يصرّح بالسماع من خالد ، ولا أرى سماعه منه مستبعداً ، فقد روى عن غير واحد من طبقته .

وبعد ، فهؤلاء ثلاث روايات مختلفات المخارج حكاهنّ أبو الفرج ، وسند كل منهن من صالح ما يحكى به هذا الضرب من الأخبار ، ورواية ابن أبي طاهر تعضد أولاهنّ ، ثم إنهن يقوّي بعضهن بعضاً ، وقد اجتمعن على أن هذه التي تزوّجها روح من بنات النعمان بن بشير تدعى حميدة ، وفي ذلك أبين الدلالة على أن هذا هو الثابت المشهور عند أصحاب هذا الشأن العارفين بالسير والأنساب وأخبار الناس .

ويصدّق ذلك المصدران اللذان سلفت الإشارة إليهما :

وأولهما : جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم (ت ٤٥٦ هـ) وهو أجمع ما بين أيدينا اليوم من كتب الأنساب ، وقد ذكر فيه ، وهو يعدد ولد النعمان بن بشير ص : ٣٦٤ - من شأن حميدة هذه نحو ماجاء في الأغاني عن خالد بن كلثوم ، قال : « .... وحميدة تزوّجها روح بن زنباع ثم الفيض بن أبي عقيل الثقفي ، وكانت شاعرة مجيدة مكثرة ، وكانت تهجو زوجيها جميعاً هجاء كثيراً .... » ثم أنشد بيتاً مما قالته في روح ، وآخر مما هجت به الفيض . وما كان ابن حزم ليثبت في كتابه إلا ما صحّ عنده ، واستقاه من أوثق ما اجتمع له من أصول هذا العلم .

والآخر : تاريخ دمشق ، للحافظ ابن عساكر (ت ٥٧١ هـ) فقد ترجم في قسم النساء ، منه ، الورقة ١٠٥ - ١٠٦[9] (مخطوط المتحف البريطاني) التي تزوجها روح من بنات النعمان باسم « حميدة بنت النعمان بن بشير ، أم محمد الأنصارية » مع أنه حكى خبرها معه من رواية لم يصرَّح فيها باسمها ، ويظهر أنه اعتمد في ذلك على ما حكاه ثَمَّ بسنده

عن محمد بن سعد (ت ٢٣٠ هـ) ـ وهذا أهمّ ما يعنينا هنا ـ قال : « أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي ، حدثنا الحسن بن عليّ ، نا أبو عمر بن حيويه ، نا أحمد بن معروف ، نا الحسين بن فهم ، نا محمد بن سعد : « فولَدَ النعمان بن بشير الوليدَ ويحي وبشيراً ـ وأمهم أمّ ولد ، وأمَّ محمد ، وهي حميدة[10] ، تزوّجها روح بن زنباع الجذاميّ ـ وأمها ليلى بنت هانئ بن الأسود من كندة ثم من بني الجون ، وعمرةَ تزوّجها المختار بن أبي عبيد الثقفي ، وهي التي قتلها مصعب بن الزبير ـ وأمّها ليلى بنت هانئ الكنديّ . وذكر غيرهم » .

وابن سعد ـ كما جاء في ترجمته في تهذيب التهذيب ٩ : ١٨٢ ـ « أحد الحفّاظ الكبار الثقات المتحرّين » . ونعته الحافظ الذهبي بـ « الإمام الحبر » و بـ « العلامة الحافظ الحجة » وقال فيه أيضاً : « كان من أوعية العلم ، ومن نظر في « الطبقات » خضع لعلمه » . انظر ترجمته له في العبر ١ : ٤٠٧ ، وسير أعلام النبلاء ١٠ : ٦٦٤ . ويظهر أن الحافظ ابن عساكر نقل ما حكاه عنه من رواية لطبقاته الكبير تلقاها بالسند الذي ذكره ، وهو من أعلى أسانيده :

شيخه محمد بن عبد الباقي أبو بكر البزاز الأنصاري السلمي (ت ٥٣٥ هـ) قال فيه ابن الجوزي : « كان فهماً ثبتاً حجة متقنًا في علوم كثيرة ، منفرداً في علم الفرائض » ونعته الحافظ الذهبي بـ « مسند العراق » و « مسند الدنيا » ونص أنه « انتهى إليه علوّ الإسناد في زمانه » انظر ترجمته في المنتظم ١٠ : ٩٢ ، والعبر ٤ : ٩٦ ، وتذكرة الحفاظ ١٢٨١ .

وشيخه الحسن بن علي الشيرازي ، أبو محمد الجوهري (ت ٤٥٤ هـ) قال فيه ابن الجوزي : « كان ثقة أمينًا » ونعته الذهبي بـ « مسند الآفاق » وذكر أنه

« انتهى إليه علوّ الرواية في الدنيا » . انظر ترجمته في المنتظم ٨ : ٢٢٧ ، والعبر ٣ : ٢٣١ ، وتذكرة الحفاظ ١١٢٨ .

وشيخه أبو عمر بن حيويه محمد بن العباس الخزّاز البغدادي (ت ٣٨٢ هـ) نعته الذهبيّ بـ « المحدث الحجة » وقال فيه الخطيب : « ثقة كتب طول عمره ، وروى المصنفات الكبار مثل طبقات ابن سعد ، و .... » انظر ترجمته في تاريخ بغداد ٣ : ١٢١ ، والعبر ٣ : ٢١ ، والوافي ٣ : ١٩٩

وشيخه أحمد بن معروف أبو الحسن الخشاب (ت ٣٢١ هـ) ترجمه الخطيب في تاريخ بغداد ٥ : ١٦٠ وقال : « وكان ثقة » .

وشيخه الحسين بن محمد بن فهم (ت ٢٨٩ هـ) وثقه الخطيب ، وقال فيه الذهبي : « أحد أئمة الحديث ، أخذ عن يحي بن معين ، وروى الطبقات عن ابن سعد » . انظر ترجمته في تاريخ بغداد ٨ : ٩٢ ، والعبر ٢ : ٨٣ ، وتذكرة الحفاظ ٦٨٠ .

وهذا الذي اجتمع لتسميتها حميدةَ من أسباب التوثيق لم يُتَح شيء منه لما سُمِّيت فيه هنداً . وذلك أن ما أضيف منه إلى راوية بعينه من أهل العلم لايعدو ، فيما وقفت عليه ، ثلاث روايات لا تخلو واحدة منهن من علّة موهنة ، وهن حكاية ابن عبد ربه لخبرها في العقد ، ثم حكاية صاحب أخبار النساء له أيضاً ، ومن قبلهما رواية ابن قتيبة للبيتين .

أما ابن عبد ربه فحكى الخبر معلّقاً عن أبي الحسن المدائني ، وقد سلف التعريف به ، وأما صاحب أخبار النساء فحكاه معلّقاً عن عبد الملك بن عمير (ت ١٣٦ هـ) وهو تابعي معمّر تغيّر حفظه قبل موته ، فوثّقه بعضهم ، وقال آخرون : ليس به بأس ، وضعفه الإمام أحمد ، وقال فيه يحي بن معين : مخلِّط . انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٥ : ٤٣٨ وما ذكره محققوه من مصادر . وإذا تجاوزنا عن هذا وعن التعليق في

كلتا الحكايتين وما يعود بـه عليهما من وهن فـإن كلتيهما أيضـاً مظنّـة أن يكـون اسم « هنـد » مقحماً فيهـا على أصـل المؤلف ، وأن يكـون أصـل الرواية فيهما « بنت النعمان بن بشير » بلا تسميـة لهـا ؛ يؤنس بـذلـك أن البيت الأول جاء في أخبار النسـاء بروايـة « وهل أنـا إلا مهرة .... » كما يرويه من يسمّيها حميدة ، وأنه جاء كذلك في بعض أصول العقد أيضاً كما ذكر ناشروه . ويزيد الريبة في إقحام هذا الاسم على أصل العقد خـاصّـة أن الحافـظ ابن عسـاكر حكى الخبر بنحوه بسنـده عن المـدائنيّ غير مصرَّح فيه باسمها . ثم إن تسميتها في الحكايـة عن المدائني هنـداً معـارَضـة أيضـاً برواية أبي الفرج لخبرها بسنـده عن المـدائني عن مسلمـة وقـد سُمِّيت فيهـا حميدةَ .

وأما ابن قتيبة فـإنـه نزع البيتين في أدب الكاتب شـاهـداً على معنى « الإقراف » في الخيل وفرق ما بينه وبين « الهجنة » ونسب إنشـادهمـا إلى أبي عبيـدة ، ولم يـزد على ذلـك شيئـاً . وأمـا في غريب الحـديث فنسب التفسير وإنشاد البيتين جميعاً إلى أبي عبيدة ، وصرّح بطريق حكاية ذلك عنه ، ثم ذكر حكاية عنـه أخرى في تفسير « الإقراف » قـال : « قـال أبو عبيـدة : الهجنـة من قبـل الأم ، والإقراف من قبـل الأب ، وأنشـد لهنـد بنت النعمان بن بشير في روح بن زنبـاع .... » وذكر البيتين وقـال عقبهما : « هكذا رواه يعقوب عمن سمعه من أبي عبيدة . والـذي حكاه لي أبو حاتم عن أبي عبيدة في « كتاب الخيل » أنه قـال : الإقراف أن يضرب فيها عرق البراذين[11] ، ولم يذكر من أي جهة ذلك » .

فهذان قولان مختلفان عن أبي عبيـدة في معنى « الإقراف » حكى ابن قتيبة ثانيهما عن شيخه أبي حاتم سهل بن محمد السجستـاني (ت ٢٥٤ هـ)

عنه ، وأما الأول الذي زعم حاكيه أن أبا عبيدة أنشد البيتين لهند فيظهر أن ابن قتيبة نقله من بعض كتب يعقوب ، وهو يعقوب بن إسحاق السّكّيت (ت ٢٤٤ هـ) وهذا رواه عمن سمعه من أبي عبيدة . وابن قتيبة مأمون في نقله ، ويعقوب ثقة أمين أيضاً ، انظر ترجمته ومصادرها في إنباه الرواة ٤ : ٥٠ ، غير أن روايته هذه مغموزة من قبل أنه لم يسمّ السامع من أبي عبيدة ، وهي مغموزة من وجه آخر ، بخلافها لما حكاه أبو حاتم عن أبي عبيدة ؛ فإن أبا حاتم كان ـ كما قال أبو الطيب في مراتب النحويين ، ص : ٨٠ ـ « في نهاية الثقة والإتقان ، والنهوض باللغة والقرآن ، مع علم واسع بالإعراب أيضاً » وحكايته أحرى بالصحة من حكاية مجهول لم يُسَمّ . ثم إن رواية هذا المجهول للبيتين عن أبي عبيدة وتسمية قائلتهما هنداً خلاف الثابت في كتاب أبي عبيدة : مجاز القرآن ـ وقد أنشدهما فيه شاهداً على معنى « السلالة » ـ فإنه اقتصر في نسبتهما ، كما ذكرتُ فيما قبل ، على أن قال : « قالت بنت النعمان بن بشير الأنصارية » . ولم يذكر لها اسماً ، وكانت روايته في البيت الأول : « وهل كنتُ إلا مهرة .... » لا « وهل هندٌ إلا مهرة .... » كما حكى عنه هذا المجهول .

وإذا كان الأمر على ما ذكرتُ فالظاهر أن راوية قديماً ـ لعله هذا الذي سمع منه يعقوب إن لم يكن آخرَ أقدم منه ـ ضيّع أصل الرواية في أوّل البيتين ، فجعل « وهل هندٌ » مكان « وهل أنا » أو « وهل كنت » ، وأن قائلتهما ـ وقد عُرِف أنها بنت للنعمان بن بشير ـ إنما سُمّيت هنداً تبعاً لذلك لا لرواية صحّت بأن هذا اسمها عن ثقة من العارفين بالأخبار والأنساب . ثم قدر لهذا القول أن ينقله لاحق عن سابق حتى كاد يطغى على ما اجتمعت الأدلة على صحته من أن اسمها حميدة . وأكبر

ظني أن حكاية يعقوب ثم ابن قتيبة له كانت من أقوى الأسباب في ذيوعه .

وقد ذكر ابن السيد في الاقتضاب ، ص : ٣٠٦ ، ثم ابن خلّكان في الوفيات ٣ : ٩٥ وهما يحكيان هذا الخلاف في نسبة البيتين أن حميدة أخت هند . وإني لفي شك من أن يكون للنعمان بن بشير بنت باسم هند أصلا . ولا عبرة بأن ابن قدامة أثبت له في كتابه الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار بنتًا بهذا الاسم ؛ فإني لم أجد له في ذلك سلفاً ممن عدّدوا ولد النعمان أو عدّوا منهم . ثم إنه ذكرها على أنها « كانت زوج روح بن زنباع ، فهجته بأبيات » ذكر منها هذين البيتين ، وقد تبيّن مما سبق خطأ هذه المقالة . هذا إلى أن الرجل قصد في كتابه - كما يدلّ اسمه - إلى بيان نسب من له صحبة من الأنصار ولم يكن من همه أن يستقصي ذكر من لاصحبة له من ولدهم وتحقيق القول في ذلك ، وإنما قد يذكر منهم من أطفّ له ذكره . ويظهر أنه اعتمد فيه أكثر ما اعتمد على ما أُلّف قبله في الصحابة خاصة وفي رجال الحديث عامة ، ومن ثمّ لم يذكر للنعمان بن بشير من الولد الذكور إلا محمداً الذي يترجمه المؤلفون في رجال الحديث ، والظاهر أنه لم يرو الحديثَ عن النعمان من ولده غيره - انظر ترجمة النعمان في سير أعلام النبلاء ٣ : ٤١١ والمصادر المذكورة فيه ، وانظر ترجمة ولده محمد في الجرح والتعديل ٤ / ١ : ١٠٧ ، وتهذيب التهذيب ٩ : ٤٩٢ ، ثم ذكر هنداً بما ذكرها به ، ولعلّه علق بذهنه أن هذا اسم التي تزوّجها روح من كتاب ابن قتيبة : غريب الحديث ؛ فإنّ قراءته له ثابتة في مخطوط الظاهرية منه ، وهو بخطّ ابن خالته ورفيقه في الرحلة والطلب الحافظ عبد الغنيّ بن عبد الواحد المقدسيّ (ت ٦٠٠ هـ) : جاء في أعلى صفحة العنوان من الجزء الأوّل

منه ذات الشمال : « قرأه كله عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي على أبي الحسين » ويظهر أنه هو الذي كتب ذلك . وبقراءته له على أبي الحسين المذكور ـ وهو المحدّث الثقة أبو الحسين عبد الحق بن عبد الخالق اليوسفي (ت ٥٧٥ هـ) ـ ثبت سماع لجماعة في كلا الجزأين المتبقّيين من هذه النسخة . (انظر نص السماعين ١ و ٣ في مقدمة محققه الدكتور عبد الله الجبوري ، ص : ٩٤ ـ ٩٥ ، ٩٦ ، وصورة صفحة العنوان من الجزء الأول ، ص : ١٢٥)

وكما كانت رواية « وهل هند » ـ فيما قدّرتُ ـ مدعاة إلى أن سُمِّيت زوج روح هنداً كانت ـ فيما يظهر أيضاً ـ السبب فيما شذّ عن الروايات والأقوال السالفة ، فنسب البيتين إلى غيرها . وقد قدّمتُ أن ما وقفتُ عليه من ذلك لا يعدو خبراً لا يُعْرَف له مخرج ، ومقالة لأبي الفرج خالف فيها ما حكاه عن رجاله .

أما الخبر فجاء في كتاب المحاسن والأضداد ، ص : ١٢٠ ـ ١٢١ (ط . الخانجي) ولم يُسَمِّ حاكيه ، وقد نُسِب فيه البيتان إلى هند بنت أسماء الفزارية في زوجها الحجاج . والكتاب منسوب إلى الجاحظ وهو منه براء .

ومجمل الخبر أن الحجاج قال لابن القِرّيّة : ما تقول في التزويج ؟ فأجابه بجواب بسط فيه لسانه ، فأمره أن يخطب عليه هنداً بنت أسماء ولا يزيد على ثلاث كلمات ، ففعل ، وتزوجها الحجاج ، ثم دخل عليها يوماً وهي تقول البيتين ، فخرج مغضباً وأمر ابن القرّيّة أن يطلّقها عنه ولا يزيد على كلمتين ، ففعل . وخبرُ أمره ابنَ القرّية بخطبتها عليه حكاه بنحوه ابن قتيبة في عيون الأخبار ٣ : ٦٩ ، وأبو حيان التوحيدي

في البصائر والذخائر ٢ : ٧٨٤ ولم ينسباه إلى راو . وكذلك حكى ابن قتيبة في الكتاب نفسه ٢ : ٢٠٩ خبر أمره له بتطليقها عنه بنحوه ، وجاء أيضاً في ترجمة الحجاج في وفيات الأعيان ٢ : ٤٤ في ختام زيادة انفردت بها إحدى نسخه ، ولم يرد فيها ذكر للبيتين وأنها كانا سبب طلاقها . فخبرُ المحاسن والأضداد بجملته ، وما جاء في المصادر الأخرى من تفاريقه كلّها ـ كما ترى ـ مجهولة المخرج لا زمام لها . وكذلك سائر ما وقفتُ عليه من أخبار ابن القرّيّة وما يُنسَب إليه من أقوال ليس فيها ما يُسْنَد إلى معروف من أهل العلم ، والاضطراب فيها غير قليل[١٢] . ويزيد الريبة فيها أن أمر الرجل نفسه غامض ، حتى إنه حُكِي عن بعض أهل العلم أنه ممّن لا يُعرَف إلاّ بالاسم ولم يكن في الدنيا قط . انظر ما حكاه أبو الفرج في الأغاني ٢ : ٣ بسنده عن الأصمعيّ فيه وفي المجنون ، وما حكاه ٢ : ٩ أيضاً بسنده عن عوانة فيهما وفي ابن أبي العقب صاحب قصيدة الملاحم . ومما يسقط الخبر أيضًا أنه خلاف المعروف عند كبار الأخباريين ، فقد جاء فيما حكاه أبو الفرج في الأغاني ٢٠ : ٣٦٤ ـ ٣٦٧ من خبر هند هذه مع الحجاج من رواية المدائني وابن شبة عن رجالهما أن الذي خطبها عليه قاضيه أبو بردة بن أبي موسى الأشعري . وأما سبب طلاقها فكان ـ فيما نقله ٢٠ : ٢٨٦ عن المدائني ـ أنه لما عزم عليها لتخبرنّه أرأت أحسن من قصره ؟ أجابت بأنها لم تر أحسن من القصر الأحمر ، وكان عبيد الله بن زياد ـ وهو أوّل أزواجها وأحبّهم إليها ـ بنى هذا القصر بطين أحمر ، فطلّقها الحجاج غضباً مما قالته ، وبعث إلى القصر الأحمر فهدمه وبناه بلبن . وقد جاء في سبب ذلك خبر آخر حكاه المبرد في الكامل ، ص : ٤٤٩ (ط . الحلبي) ولم ينسبه إلى أحد ، وكذلك حكاه ابن خلكان في الوفيات ٢ : ٥٣ ـ ٥٤ وكأنه نقله عن الكامل بتصرف يسير وأدرج فيه

كلاماً من كلامه توضيحاً وبياناً ؛ قال المبرد ـ وقد زدت ما أدرجه ابن خلكان بين حاصرتين : « وكان الحجاج رأى في منامه أنّ عينيه قُلِعتا ، فطلّق الهندين : هنداً بنت المهلب ، وهنداً بنت أسماء بن خارجة [اعتقاداً منه أن رؤياه تتأول بهما] فلم يلبث أن جاءه نعيّ أخيه (محمد) في اليوم الذي مات فيه ابنه محمد ، فقال : هذا والله تأويل رؤياي ، ثم قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، محمد ومحمد في يوم واحد .... » . والنفس إلى ما نقله أبو الفرج عن المدائني أركن ، وأيّاً ما كان الأمر فلا ريب أن خبر المحاسن والأضداد واهٍ يشبه أن يكون مصنوعاً ، وماانفرد به من نسبة البيتين إلى هند بنت أسماء ظاهر البطلان .

وأما أبو الفرج فإنه عقب على البيتين في رواية خالد بن كلثوم لخبر حميدة ١٦ : ٥٤ قال : « هكذا روى خالد بن كلثوم هذين البيتين لها ، وغيره يرويهما لمالك بن أسماء لما تزوّج الحجاج أخته هنداً » . وقد أغرب أبو الفرج في هذه المقالة ، ويظهر أنه سها عن مجيء البيتين لحميدة فيما كان حكاه من خبرها ٩ : ٢٢٧ ـ ٢٣٣ عن غير خالد أيضاً . ولم أجد لهذا الذي قال شاهداً مصدّقاً من روايته ولا من رواية غيره ؛ فعلى طول تتبعي لروايات البيتين لم أجد من نسبهما إلى مالك قط ، وقد حكى هو نفسه ١٧ : ٢٣٠ ـ ٢٣٩ ما وقع إليه من أخبار مالك هذا وما لقيه على يدي الحجاج من مكروه ، ثم حكى ٢٠ : ٣٦٣ ـ ٣٦٨ ما وقع إليه من أخبار أخته هند أيضاً ، فلم يحك في كلا الموضعين أنه هجا الحجاج قط ، وفي ذلك ما يرجح أنه لم يقع إليه بما ذكره خبر ، وأن تلك المقالة سهوة من سهواته .

ب ـ وقال الأستاذ في ذكر الأمر الثاني : « ومنها : أن الأكثر في رواية البيت :

فإن أنجبت مهراً عريقاً فبالحرى وإن يك إقراف فما أنجب الفحل[١٣]

وبها ينتفي منه الإقواء » .

هذا ماقاله الأستاذ . وقد فاتته روايات غير قليلة ظني أنه لو وقف عليها ونظر فيها وفيما اجتمع له من الروايات أيضاً نظرة متأنّية واعتبر مخارجها لَما سارع إلى البتّ بهذا الذي قال . ويظهر أنّ مما أغراه بذلك أيضاً كراهيته للإقواء ، وقد بلغ من كرهه له أن جاء في كلامه في الفقرتين : ٣٠ و ٥٠ مايوحي أنه يجيز لنفسه ماكان يستجيزه بعض المتقدّمين من تقويم ماجاء منه في الشعر القديم . وما أظنّ أحداً ممّن يُعْنَى اليوم بنقد النصوص وتحقيقها يقرّ هذا المذهب . والإقواء ـ وإن كان عيباً ـ كثير في شعر الأعراب ومن دون الفحول من الجاهليين والإسلاميين ، بل لقد ارتكبه بعض الفحول من هؤلاء أيضًا . وقد ذكر غير واحد من شيوخ العربية والرواية أن القوم كانوا لايستنكرونه ولا يرونه عيباً . وليس من همي ههنا أن أستقصي ماقيل في تعليل ذلك وبيان المختار منه ، وحسبي أن أشير إلى أن جمهور المتقدّمين كانوا يلتمسون لهم العذر فيه على حين لايجيزونه لمولّد . انظر طبقات فحول الشعراء ، لابن سلام ، ص : ٧١ (وقد حكى المرزباني في الموشح ، ص : ١٧ كلامه بتصرف يسير ، وسلخ جانباً كبيراً منه قدامة في نقد الشعر ، ص : ١٠٩ (ط . ليدن) من غير ماإشارة إليه) وكتاب القوافي ، لأبي الحسن الأخفش ، ص : ٤١ ـ ٤٢ (ط . وزارة الثقافة بدمشق) ٤٦ ـ ٤٧ (ط . دار الأمانة ببيروت) والأشباه والنظائر ، للخالديين ٢ : ٥٥ ، ورسالة

الغفران ، ص : ٢١٣ (ط . دار المعارف الثانية) والمحكم ، لابن سيده ٦ : ٢٨٣ ـ ٢٨٦ ، وقد نقل ماجاء فيه ابن منظور في اللسان (قوى) . وانظر أيضاً ماكتبه د . شاكر الفحام في كتابه : الفرزدق ، ص : ٤٥٨ ـ ٤٦٠ عن الإقواء في شعره .

وإذا كان الأمر كذلك فليس من الغريب أن تقوي قائلة هذين البيتين ، بل إن النظر في رواياتها ليقضي أن رواية الإقواء هي الأثبت والأشبه بأن تكون المحفوظة ، وذلك أني لم أجد أحداً رواهما بغير الإقواء حتى أواخر المئة الثالثة ، فبالإقواء جاءا في رواية أبي عبيدة (ت ٢١٠ هـ) في مجاز القرآن ٢ : ٥٥ ـ وهي ، كما أسلفتُ ، أقدم ما وقفت عليه من رواياتها ـ وفي رواية الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) في كتاب البغال ـ رسائله ٢ : ٣٥٨ ، وكذلك أثبتها ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) في كتابيه : أدب الكاتب ، ص : ٤٢ (ط . ليدن) وغريب الحديث ٢ : ٣٢٦ . ونسب إنشادها ـ كما سلف ـ إلى أبي عبيدة . ثم كانت هذه الرواية هي التي يحكيها فيما بعد ذلك أصحابُ اللغة ، وهم أحرص من غيرهم على الحفاظ على أصل الرواية ، فبها أنشدهما أبو منصور الأزهري (ت ٣٧٠ هـ) في تهذيب اللغة ٦ : ٦٠ وهما عنه في اللسان (هجن) وكذلك أنشدهما من قبله ابن درستويه (ت ٣٤٧ هـ) في تصحيح الفصيح ١ : ١٨٤ غير منسوبين . وقد جاء البيت الثاني وحده بهذه الرواية أيضًا في شرح النقائض ، ص : ٥٧٥ . وكذلك أنشده ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) في مقاييس اللغة ٥ : ٧٤ ، ثم الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) في أساس البلاغة (قرف) ولم ينسباه .

وبالإقواء أيضًا جاء البيتان في رواية خالد بن كلثوم لخبر قائلتها (حميدة) في طبعة بولاق من الأغاني ١٤ : ١٣٠ ، وتبعتها طبعة الساسي

١٤ : ١٢٥ ، وأما طبعة دار الكتب ١٦ : ٥٤ فأُخِذ فيها برواية « فما أنجب الفحلُ » وقد انفردت بها إحدى نسخه . وبهذه الرواية الأخيرة جاءا في رواية عمر بن شبة للخبر في طبعات الأغاني الثلاث (ط . بولاق ٨ : ١٣٩ ، وط . الساسي ٨ : ١٣٥ ، وط . دار الكتب ٩ : ٢٣٠) وأكبر ظني أنها مما غيّره بعض الرواة أو النساخ ، وأن عمر إنما أنشدهما بالإقواء كما جاء في رواية صاحبه ابن أبي طاهر للخبر عنه في بلاغات النساء ، ص : ١٣٠

ومع أن ابن خلّكان (ت ٦٨١ هـ) أنشد البيتين في الوفيات ٣ : ٩٥ برواية « فما أنجب الفحل » فإنه قال عقبهما : « ويروى : « فمن قِبَل الفحلِ » وهو إقواء » .

وأقدمُ ما وقفتُ عليه من المصادر التي جاء فيها البيتان خلواً من الإقواء هو العقد ، لابن عبد ربه (ت ٣٢٨ هـ) وقد جاءا فيه ٦ : ١١٥ برواية « فما أنجب الفحل » أيضاً ، وهي التي ذكرها الأستاذ . وهذه الرواية ليست بالرواية الوحيدة التي ينتفي بها الإقواء ، بل هي إحدى روايات ثلاث ذكرها أبو منصور الجواليقي (ت ٥٤٠ هـ) في شرحه لأدب الكاتب ، ص : ١٥٠ بعد أن نقل البيتين برواية الإقواء كما أثبتها ابن قتيبة ، قال : « ... وفي البيت إقواء ، ويروى : وإن يك إقراف فأقرفه الفحلُ ، ويروى : فما أنجب الفحل ، ويروى : فجاء به الفحل » . وقد روي أيضًا : « فقد أقرف الفحل » و « فقد خانها الفحل » . وتعدّد هذه الروايات من جهة ، وتأخّر المصادر التي جاءت فيها من جهة أخرى ، مما يؤكد أن رواية الإقواء هي القدمى المحفوظة ، وأنّ ما سواها من صنيع بعض الأدباء أو المتأدّبة .

تنبيه : ما ذكرته من أني لم أجد أحداً روى البيتين بغير الإقواء حتى أواخر المئة الثالثة لا يرد عليه أنهما جاءا برواية لا إقواء فيهما في إحدى طبعات أدب الكاتب المتداولة ، وهي الطبعة التي قام عليها الشيخ محيي الدين عبد الحميد رحمه الله . فقد تسلل إلى نسخ من الكتاب على أيدي كاتبيها عدّة روايات من هذا القبيل ، انظر التعليق على البيتين في طبعة ليدن منه ص : ٤٢ . وجاء غير رواية منها في نقل بعض العلماء السابقين عنه : نقلها عبد القادر البغدادي عنه في شرح شواهد المغني برواية « فجاء به الفحل » ومن قبله نقلها ابن السيد في الاقتضاب ، ص : ٣٠٦ برواية « فقد أقرف الفحل » وهي التي أخذ بها تبعاً له الشيخ محيي الدين عبد الحميد في نشرته لأدب الكاتب ، ص : ٤٤ (الطبعة الأولى) وكان ابن السيد نفسه قد نقلها ص : ١١٧ برواية « فما أنجب الفحل » إلا أنه قال عقبها ثمة : « رويناه عن أبي علي البغدادي : « فمن قِبَل الفحل » على الإقواء » - يعني في روايته لأدب الكاتب ، وأبو علي المذكور هو القالي (ت ٣٥٦ هـ) - وأهل الأندلس يقولون في نسبته : البغدادي ، لأنه قدم عليهم من بغداد - وكان أبو علي قد أخذ الكتاب عن ولد مؤلفه ابن قتيبة : القاضي أبي جعفر أحمد بن عبد الله بن مسلم ، وأخذه عنه غير واحد من أهل الأندلس . انظر فهرست ابن خير ، ص : ٣٣٣ - ٣٣٥ . وما رواه أبو علي هو ما أثبته ابن قتيبة بلا ريب ، وما سواه دخيل على أصل الكتاب ، يقطع بذلك أن الجواليقي نقلها عنه بالإقواء أيضاً ، وأن ابن قتيبة نفسه أثبتها كذلك في غريب الحديث أيضاً ، هذا إلى أنه نسب إنشادهما في كلا الكتابين إلى أبي عبيدة ، وهذا قد أنشدهما في كتابه مجاز القرآن بالإقواء .

ج - وقال الأستاذ في ذكر الأمر الرابع : « ومنها : أن أهل العلم لم يرتضوا رواية « بغل » كابن السّيد البطليوسي ، لأن البغل لا ينسل » .

ومن الغريب أن الأستاذ لم يحل في هذا الذي قال على مصدر ، وأغرب منه أنه سها عن ذكر الوجه الذي ارتضاه من أسماهم « أهل العلم » . والمصدر الذي لهج صاحبه بذكر هذا الأمر ، ومنه استقى من

تقدَّم الأستاذَ إلى الكلام فيه ، هو كتاب الاقتضاب لابن السِّيد وقد تكلّم في المسألة في ثلاثة مواضع منه ذكرها شيخنا العلامة الميمني ، رحمه الله ، في تعليقه على البيتين في السمط ، ص : ١٧٩ . ونصّ ما قال في الموضع الأول ، ص ١١٨ : « وقد أنكر كثير من الناس رواية من روى « بغل » بالباء لأن البغل لا ينسل . قالوا : والصواب « نَغْل » بالنون ، وهو الخسيس من الناس والدوابّ ، وأصله « نَغِل » بكسر الغين على مثال « فَخِذ » فسُكِّن تخفيفًا كما يقال في « فخِذ : فَخْذ » . وقال في الموضع الثاني ، ص ٢٠٢ : « .... وقد قيل في رواية من روى « سليلة أفراس تجلّلها بغل » : إنه تصحيف ، لأن البغل لا ينسل شيئاً ، وإن الصواب « نَغْل » بالنون - يريد فرساً هجيناً » . ولما صار إلى شرح البيتين في القسم الثالث من الكتاب ، ص : ٣٠٦ أثبت في البيت الأول لفظ « نَغْل » مكان « بغْل » وقال عقبهما : « وروى أبو علي « تجلّلها بغل » بالباء ، وأنكر كثير من أصحاب المعاني هذه الرواية ، وقالوا : هي تصحيف لأن البغل لا ينسل ، والصواب « نَغْل » بالنون ، وهو الخسيس من الناس والدوابّ ، وأصله « نَغِل » بكسر الغين ، ثم تخفَّف الكسرة فيقال : « نَغْل » كما يقال [في] « فَخِذ : فَخْذ » .

وقوله في العبارة عن المنكرين في الموضع الأوّل : « كثير من الناس » يبيِّنه قوله في الموضع الأخير : « كثير من أصحاب المعاني » يعني الذين يتقصّون النظر في المعاني ويستثيرون ما استسرّ منها ، وينبهون على ما قد يكون فيها من مغامز خفية . وبين قوله هذا وقول الأستاذ : « أهل العلم » بون بعيد .

وكما اعتدّ الأستاذ بمقالة هؤلاء اعتدّ بها قبله الشيخ محيي الدين عبد

الحميد ، رحمه الله ، في نشرته لـ « أدب الكاتب » فأثبت في البيت ما رأوه الصواب - أي « نغْل » - وحكى في التعليق عليه ماذكره ابن السِّيد بتصرّف لا يخلو من إخلال . وقد تقدّمه إلى نحو ذلك عبد القادر البغدادي (ت ١٠٩٣ هـ) في شرح شواهد المغني ٢ : ٢٢٠ - ٢٢١ ، وذلك أنه نقل البيتين عن أدب الكاتب مع ماتقدّمهما من كلام ابن قتيبة ، وأحلّ أيضاً « نغْل » محلّ « بَغْـل » ثم فسّره بـ « الدنيء والخسيس » ولم يشر إلى أن أصله « نَغِل » بكسر الغين .

وهذا الذي حكاه ابن السِّيد كان متعارَفاً - كما أشار العلامة الميمني في السمط ، ص : ١٧٩ - عند أهل قطره : الأندلس ، وقد جاء نحوه في تعليق بعضهم على كتاب « الدلائل » (انظر حديث الشعبي في صفة الغيث - الموضع الذي سلف ذكره) وحكاه من متأخّري المشارقة أبو محمد بن برّي (ت ٥٨٢ هـ) ونقله عنه ابن منظور في اللسان (سلل) ويظهر أنه وقع إلى أبي محمد من قِبَل الأندلسيين وكان قد قرأ على أبي بكر محمد بن عبد الملك الشنتريني (ت ٥٥٠ هـ) وأبي طالب عبد الجبار بن محمد المعافريّ القرطبي (ت ٥٦٦ هـ) منهم . انظر ترجمته في وفيات الأعيان ٣ : ١٠٨ .

وفي هذا الذي قاله هؤلاء نظر ؛ إذ الظاهر أن مارأوه الصواب - أي « نغل » بالنون - لم ترد به رواية قط ، وأن رواية « تجلّلها بغْل » هي المحفوظة ولا رواية غيرها ؛ رواه كذلك أبو عبيدة والجاحظ ثم سائر من أنشد هذا الشعر من أصحاب اللغة والأخباريين من أهل المشرق . والقطع بأن ما أطبق هؤلاء على روايته تصحيف تقوُّلٌ بحت ودعوى مجرّدة وإن سُلِّم لمنكري هذه الرواية بأن وضع « البغل » في هذا الموضع مدخول من

الوجه الذي ذكروه كان ذلك مغمزاً في الشعر نفسه لا في رواية من أدّوه كما سمعوه . على أنه قد يُعتَذَر لصاحبة هذا الشعر بأنها لما جعلت المهرة العربية مثلاً لها في خلوص نسبها جعلت البغل مثلاً لروح في ائتشاب نسبه ، ولم ترد أنه مثله من كل وجه .

الحواشي

(١) نشرت المقالة في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج ٥٨ : ٣٦٤ ـ ٣٩٤ .

(٢) وقد جاء كل من البيتين مفرداً في غير ما كتاب أيضًا . وانظر ما ذكره الدكتور شاكر الفحام في البيتين وتخريجها في تحقيقه لـ « حديث الشعبي في صفة الغيث » في الجزء الأول من المجلد ٥٨ ، ص : ٤٢ ـ ٤٣ ، التعليق : ٣٢ .

(٣) وقد وجدت بأخرة البيت الثاني وحده في شرح النقائض ، ص : ٥٧٥ منسوبًا إلى « هند » غير مسمّاة الأب .

(٤) رابني في هذه النسبة أني لم أحسّ في الكتاب نفس ابن القيم الذي أعرفه فيما قرأت من كتبه ولا طريقتَه . ثم رأيت الأستاذ خير الدين الزركلي ، رحمه الله ، قال في التعليق على ترجمة ابن القيم في الأعلام ٦ : ٢٨١ ـ الطبعة الثانية : « وفي نموذج الشيخ منير ٧٨ : نُسِب إليه كتاب أخبار النساء المطبوع بمصر سنة ١٣١٩ هـ خطأ ، وهو لابن الجوزيّ » وذكر في التعليق على ترجمة ابن الجوزي ٤ : ٩٠ نحو ذلك أيضًا . واسم الكتاب الذي نقل عنه بتمامه : « نموذج من الأعمال الخيرية في إدارة الطباعة المنيرية » ومؤلفه صاحب تلك الإدارة الوراق المشهور : الشيخ محمد منير عبده آغا الدمشقي ، وهو من علماء الوراقين . ولم أكن أعرف كتابه هذا ، ثم وقفني عليه الصديق المفضال الأستاذ مصباح الغلاونجي ، وهو ابن اخت مؤلفه ، فوجدت الشيخ يحتج لما ذهب إليه بقوله : « وقد أشار المصنف رحمه الله تعالى [يعني ابن الجوزي] إليه في كتابه : تلبيس إبليس صفحة ٤٠٠ من الطبعة الثانية سنة ١٣٤٧ هـ . وكتب هذا الإمام الجليل تدلّ على أن كتاب أخبار النساء هو له من أسلوبه ووضعه ، فله من هذا كثير ، منها كتاب الحمقى والمغفلين ، وكتاب الأذكياء وغير ذلك مما يدلّ صريحًا على أنه له » .

والكتاب أشبه بكتب ابن الجوزي حقًّا ، إلا أن أمر نسبته يحتاج إلى مزيد من التحقيق .

(٥) وأغلب الظن أن السيوطي نقل هذه الحكاية من كتاب الأبشيهي . ويدل على أن الأبشيهي نقلها ، أو اختصرها على طولها ، من بعض كتب الأسمار أو ما يشبهها مما يوضع للعامة أنه قال عقبها : « وقد وجدت في بعض النسخ [كذا] ما هو أوسع من هذا ، ولكن اقتصرت على القليل منه إذ فيه الغرض ، والله أعلم » .

وقد جاء في تعليق المستشرق پلا على البيتين في نشرته لكتاب البغال ، ص : ١٢١ ما يفيد أن الإتليدي نقل هذه الحكاية (٣٤) أيضًا ، يعني في كتاب : إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس ، ولم أر هذا الكتاب ولا عرفت من هذا الإتليدي الذي ينسب إليه .

(٦) انظر كتابه المذكور ١ : ٣٥١ و ٢ : ٣١ ، ٣٣ ـ ٣٤ ، ٩٠ و ٣ : ١١٧ ، ٢٤٢ . وقد حرفت نسبته في بعض هذه المواضع إلى « المدائني » . وهناك سليمان بن أيوب آخر يروي وكيع في كتابه هذا عن إسماعيل بن إسحاق القاضي عنه ، وهو سليمان بن أيوب صاحب البصري (ت ٢٣٥ هـ) وهو من المحدثين الحفاظ الثقات . انظر ترجمته في تاريخ بغداد ٩ : ٤٨ وفي سير أعلام النبلاء ١١ : ٤٥٣ والمصادر التي ذكرها محققه . وقد خلط ناشر « أخبار القضاة » بين الرجلين في فهارس الأعلام .

(٧) حرفت نسبته في مواضع كثيرة من الأغاني أيضًا إلى « المدائني » ولذلك كثيراً ما خلط في فهارس « رجال السند » بينه وبين شيخه أبي الحسن المدائني .

(٨) وقع في هذه الرواية في طبعة دار الكتب من الأغاني ١٣ : ٣٣٢ ، السطر : ٧ ، وفي سائر ما وقفت عليه من طبعاته (ط . بولاق ١٢ : ١٠٨ ، والساسي ١٢ : ١٣ ، ودار الثقافة ١٣ : ٣٣٢) سقط كبير يستدرك من معجم البلدان (حلوان) وقد جاء فيه الخبر نقلاً عن الأغاني .

(٩) وقفتني على هذه الترجمة الآنسة سكينة الشهابي ، وقد نسختها عن مصورة لديها عن مخطوط المتحف البريطاني .

(١٠) لم أجد لها هذه الكنية في مكان آخر ، إلا أنه جاء في الحيوان ١ : ٣٢٦ : « وكانت امرأة روح بن زنباع أم جعفر بنت النعمان بن بشير ، وكان عبد الملك زوجه إياها وقال : إنها جارية حسناء فاصبر على بذاء لسانها » .

(١١) علق محقق غريب الحديث د . عبد الله الجبوري على هذا التفسير قال : « لم أجده في كتاب الخيل » ـ يعني كتاب أبي عبيدة المطبوع في حيدرآباد سنة ١٣٥٨ هـ . وهو كما قال ، مع أن الكتاب ـ كما جاء في فاتحته ـ من رواية أبي يوسف الأصبهاني ، عن أبي حاتم ، عن أبي عبيدة .

وقد صحّ عندي أن ابن قتيبة ينقل عن كتاب آخر لأبي عبيدة في الخيل سمّاه ابن السيد في الاقتضاب « كتاب الديباجة » وذكر في غير موضع منه أن ابن قتيبة نقل منه أبواب

الخيـل في أدب الكاتب ، وقـد نقـل عنـه ابن السيـد نفســه أيضــاً ، انظر ص : ١٣٨ ، ١٤٠ ـ ١٤٣ ، ٣٢٨ ـ ٣٢٩ ، ٣٣٣ ، ٣٦٠ . وهذا الذي ذكرتُ وجدت العلامة سالما الكرنكوي (فريتس كرنكو) ذكر نحوه في ترجمته لأبي عبيدة في آخر كتاب الخيـل المطبـوع ، ص : ١٧٨ وزاد على ذلك قال : « ومن هذا الكتاب [يعني كتاب الديباجة] أخذ القالي في أماليـه [٣ : ١٩١] وابن قتيبة في عيون الأخبـار [١ : ١٥٧] شعراً لعبـد الغفـار الخـزاعي ، [و] نقل الجاحظ في كتاب الحيوان ج٦ ـ ١٥٠ [٦ : ٤٤١ ـ تحقيق عبد السلام هـارون] منـه أنـه ليس للفرس طحال » .

قلت : وما نقله الجاحـظ جاء عن أبي عبيـدة في المخصص ٦ : ١٤٢ ، ونقلـه عنـه ابن قتيبـة أيضـاً في أدب الكاتب ، ص : ١٢٩ (ط . بيروت) ١٣٧ (ط . ليـدن) وفي المعـاني الكبير ، ص : ١٤١ ، وقد نقل في أبواب الخيل من كتاب المعاني هذا أيضا كثيراً مما نقلـه في أدب الكاتب ، وصرّح في بعضه بأنه عن أبي عبيدة .

ويظهر أن الكتاب الذي نقل منه ابن قتيبة وسماه ابن السيد « كتاب الديباجـة » هو الذي ذكره الأزهري في حديثه عن أبي عبيدة في مقـدمـة التهـذيب ، ص : ١٤ قـال : « ولـه كتاب في الخيل وصفاتها نـاولنيـه أبو الفضل المنـذري وذكر أنـه عرضـه على أبي الهيثم الرازي » وذلك أن الأزهري نقل في مواضع شتى من معجمه هذا عن الكتاب الذي ذكره ما يطابق مـا جاء في أدب الكاتب ، وكان فيما نقل ما قالـه أبو عبيـدة في غير مـا دائرة من « دوائر الخيـل » وهو يطابق ما نقله فيها ابن السيد في الاقتضاب ، ص : ١٤٢ ـ ١٤٣ عن « كتاب الديباجة » أيضا .

هذا ، وقد ذكر ابن النديم لأبي عبيـدة ، وهو يعـدد كتبـه ، في الفهرست ، ص : ٥٨ (ط . طهران) « كتـاب الـديبـاج » ثم ذكر لـه « كتـاب الخيـل » أيضـاً ، وتبعـه في ذلـك يـاقـوت في معجم الأدبـاء ١٩ : ١٦١ ، والقفطي في الإنبـاه ٣ : ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، وابن خلكان في الوفيات ٥ : ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ولعل ما سُمّي « كتاب الخيل » هو هذا الذي طبع في حيـدرآبـاد ، وأما « كتاب الديباج » فالظاهر أنه هو الذي سماه ابن السيد « كتاب الديباجة » يؤيد ذلـك أنه جاء في التهذيب ٨ : ٢٣٢ : « قال أبو عبيدة : من الخيل أشقر سِلَّغْدٌ ، وهو الـذي خلصت شقرته ، وأنشد

أشْقر سِلَّغْـــــدٌ وأحْـــوى أدْعَـــج »

وهذا التفسير نفسه نقلـه البكري في اللآلي ، ص : ١٤٧ عن كتـاب أبي عبيـدة أيضـاً ، وسمّـاه « كتاب الديباج » .

(١٢) انظر ترجمة ابن القريـة هـذا وأخبـاره في سير أعـلام النبـلاء ٤ : ١٩٧ ، ٣٤٦

والمصادر ، التي ذكرها محققه ، وفي وفيات الأعيان ١ : ٢٥٠ ، والوافي بالوفيات ١٠ : ٣٩ أيضاً .

ومما اختلفت فيه المصادر اختلافاً كبيراً خبر قتل الحجاج له لخروجه عليه مع ابن الأشعث وما دار بينه وبينه عندما جيء به من كلام . وقد وجدت بأخرة في جمهرة الأمثال ، لأبي هلال العسكري ١ : ٣٠٨ ـ ٣١٠ حكاية لذلك جاء فيا جاء فيها خبر أمر الحجاج له بتطليق هند عنه بقريب مما جاء في عيون الأخبار والوفيات . وقد روى أبو هلال هذه الحكاية عن شيخه أبي أحمد (العسكري) عن أبيه ، عن عسل بن ذكوان ، عن رجل من قريش . وهذا سند واهٍ جداً ، لجهالة القرشي الذي حكى عنه عسل من جهة ، ولانقطاعه من جهة أخرى . وذلك أن مقتل ابن القرية كان ـ كما ذكر غير واحد من مترجميه ـ سنة ٨٤ هـ ، وعسل بن ذكوان ذكر مترجموه أنه كان في أيام المبرد (ت ٢٨٥ هـ) وأنه روى عن المازني (ت ٢٤٩ هـ) والرياشي (ت ٢٥٧ هـ) . والظاهر أن القرشي الذي حكى عنه من أهل هذه الحقبة أيضاً (النصف الأول من المئة الثالثة) وبينه وبين أيام الحجاج وقتله ابن القرية مفاوز .

وانظر ترجمة عسل بن ذكوان في معجم الأدباء ١٢ : ١٦٨ ، وإنباه الرواة ٢ : ٣٨٣ ، وبغية الوعاة ، ص : ٣٢٤

(١٣) كذا أثبت الأستاذ البيت في هذا الموضع ، ويظهر أنه نقله على هذا الوجه من العقد الفريد ، والصواب في صدره : « فإن نُتجت .... » كما جاء في أكثر الروايات ، وأما « أنجبت » فتحريف ، وهذا الفعل : « أنجب » لايكون إلا لازمًا ، يقال : أنجب الرجلُ والمرأةُ ، إذا ولدا ولدًا نجيبًا .

(آراء وأنباء)

حفل استقبال

الزميل الأستاذ الدكتور عبد الحليم سويدان

انتخب مجلس مجمع اللغة العربية بدمشق في جلسته الثانية من الدورة المجمعية ١٩٨٢ ـ ١٩٨٣ م والتي عقدت بتاريخ (١ / ٤ / ١٤٠٣ هـ ـ ١٦ / ١ / ١٩٨٣ م) الأستاذ الدكتور عبد الحليم سويدان عضواً عاملاً في المجمع . للكرسي الذي شغر بوفاة الأستاذ الدكتور حكمة هاشم . وقد صدر بذلك المرسوم الجمهوري ذو الرقم ٨٩٩ تاريخ ٧ محرم ١٤٠٤ هـ ـ ١٣ تشرين الأول ١٩٨٣ م .

واحتفل المجمع باستقبال الزميل الدكتور عبد الحليم في جلسةٍ علنية عقدها في قاعة الأستاذ الرئيس محمد كرد علي ببناء المدرسة العادلية مساء يوم الخميس في ١٠ شعبان ١٤٠٤ هـ ـ ١٠ أيار ١٩٨٤ م حضرها نخبة من رجال الفكر والعلم والثقافة .

افتتح الحفل الأستاذ الدكتور حسني سبح رئيس المجمع بكلمة رحب فيها بالعضو الجديد وبارك انضمامه لزملائه المجمعيين ليشاركهم في مسيرتهم التي وقفوا نفوسهم لها ، ألا وهي خدمة اللغة العربية والذود عنها . ثم ألقى الأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي كلمته في استقبال زميله المجمعي ، نوه فيها بمزاياه العلمية والخلقية ، وذكر أطرافاً من سيرته . ثم ألقى الأستاذ الدكتور عبد الحليم سويدان كلمته التي تحدث فيها عن سلفه الراحل الدكتور حكمة هاشم .

وننشر فيما يلي كلمات الحفل :

كلمة الأستاذ الدكتور حسني سبح

رئيس مجمع اللغة العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

أفتتح هذه الجلسة العلنية من جلسات مجمع اللغة العربية وهي تعقد لاستقبال عضو عامل جديد ، الاستاذ الدكتور عبد الحليم سويدان ، بعد أن حاز ثقة زملائه أعضاء المجمع في جلسة عقدها مجلسه في الأول من شهر ربيع الآخر سنة ١٤٠٣ الموافق لـ ١٦ من كانون الثاني سنة ١٩٨٣ وصدر المرسوم الجمهوري ذو الرقم ٨٩٩ وبتاريخ ١٣ من تشرين الأول ١٩٨٣ بتعيينه عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية . وحالت عدة موانع دون التعجيل بعقد جلسة الاستقبال ،فمعذرة والأمور مرهونة بأوقاتها كا يقال .

جرى العرف في المجامع أن يستقبل العضو العامل الجديد قبل مشاركته في أعمال المجمع ، في مثل هذه الجلسة العلنية التي يتولى فيها تقديمه وترجمة حياته أحد مرشحيه ، وأن يرد العضو المستقبل بكلمة يتحدث فيها عن سلفه الذي شغل كرسيه .

و أرحب بهذا الحفل الكريم الذي تفضل ولبى الدعوة فله الشكر الجزيل .

واني إذ أهنىء الاستاذ الدكتور عبد الحليم سويدان على ما نال من ثقة وتقدير من عارفي فضله لأبدي غبطة المجمع وبالغ سروره بانضمام هذه الكفاية العلمية إليه ليشتد بها الأزر .

خطاب الدكتور عبد الكريم اليافي

في استقبال العضو الجديد

السيد رئيس مجمع اللغة العربية

سيداتي ، سادتي ، أيها الحفل الكريم

لَمّا طلب إليّ رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق المبجّل أن أستقبل العضو الجديد الأستاذ الدكتور عبد الحليم سويدان فهمت أنه يريد باستقبالي له الإشارة إلى اشتباك اللغة والعلم معا ، وذلك حين يستقبل أستاذ بكلية الأداب رصيفاً كريما له بكلية العلوم . وحقا يصعب فصل المعرفة البيانية والمعرفة العلمية اذ هما صنوان ملتحمان . ذلك أن الفكر يتغذى باللغة ويلبس في دقة البيان لبوسها ، وفي المقابل يحتاج البيان الفكري إلى مضمون دقيق يرتكز عليه ويقوم به . فكل عماد للآخر وسند له .

وأوضح مايظهر هذا الاشتباك والتساند بين العلم واللغة في مجال التعليم المدرسي . ذلك أن الطالب المبرّز إذا تساوت أحوال التعليم للغة وللعلوم يتألق في كلا الميدانين لأن الفكر يتكئ على العلم كما يتكئ على البيان . إنهما كمجدافي الزورق . وإذا وقع خلل في التعليم أو في موهبة الطالب ظهر الخلل في حصيلة المعرفة . وكلا الجانبين يحتاج إلى مزاولة وممارسة فلا معرفة سليمة دون هذه الممارسة .

ثم يأتي بعد ذلك الاختصاص المستنِد إلى تملك ناصية البيان وتملك أركان الثقافة العلمية .

أسمح لنفسي بهذه المقدمة لأنوّه بمزايا الدكتور سويدان الذي كان منذ يفعه وصباه مثالاً طيباً يحتذى وأسوة صالحة يؤتسى بها ويقتدى وذلك حين كان طالباً ثم بعد ذلك حين غدا أستاذاً في التمكن من البيان الصحيح في اللغة القومية وفي اللغة الأجنبية وفي التمكن من دقة العلم وعمقه وسعته وتبحره .

ومع هذه المزايا ضرب أعلى المثل في أخلاق الصحبة الكريمة في جميع مراحل حياته الدراسية والتدريسية . ماأظن أحداً أجمع رفاقه الطلاب حين كان طالباً على محبته وتقديره كما أجمعوا على تقدير عبد الحليم ومحبته . أعرف واحداً من رفاقه الطلاب لما تخرج وتزوج ورزق مولودا فكر في الاسم الذي يختاره لولده فزحمته صور رفيقه عبد الحليم فسماه هذا الاسم تيمناً بأخلاقه ونبوغه الذي لمسه فيه أثناء الدراسة .

وكذلك كان في حياته التدريسية الجامعية موضع المحبة والتقدير والثناء .

ولد عبد الحليم سويدان في بلدة قارة من منطقة النبك سنة ١٩١٤ وأتم في مدرستها السنوات الأربع الأولى من التعليم الابتدائي ثم انتسب في العام الدراسي ١٩٢٧ ـ ١٩٢٨ لمدرسة النبك الابتدائية وأنجز فيها السنة الخامسة من ذلك التعليم وحصل في شهر حزيران ١٩٢٨ على « شهادة التحصيل الابتدائي » .

وفي هذه السنة نفسها نجح في مسابقة كانت « وزارة المعارف »

تجريها في كل عام لقبول طلاب داخليين مجاناً في « مدرسة التجهيز » (وكانت مشهورة آنذاك باسم مكتب عنبر) وهكذا كان في السنة الأولى من هذه المدرسة في العام الدراسي ١٩٢٨ ـ ١٩٢٩ وبقي فيها سبع سنوات طالباً داخلياً . ولقد ظل الأول في صفه من « الصف السادس » حتى « الصف الحادي عشر » الذي نجح في نهايته في امتحانات القسم الأول من « بكالوريا التعليم الثانوي » . وفي نهاية « الصف الثاني عشر » وفي دورة حزيران ١٩٣٥ حصل على القسم الثاني من « بكالوريا التعليم الثانوي » (شعبة الرياضيات بدرجة : « جيد جداً » ، ولقد كان لهذه الدرجة وزنها في ذلك الزمان . وقبل ذلك ، وفي نهاية العام الدراسي ١٩٣٣ ـ ١٩٣٤ كان قد تقدم لامتحانات شهادة أهلية التعليم للمعلمين ونجح فيها وحاز هذه الشهادة .

ثم عين معلماً في مدينة دير الزور في العام الدراسي ١٩٣٥ ـ ١٩٣٦ .

وفي صيف عام ١٩٣٦ أخذ يستعد لدخول مسابقات كانت « وزارة المعارف » تزمع إجراءها لايفاد طلاب للدراسة في الجامعات الفرنسية ليحصلوا منها على درجة « الإجازة » ، وليعودوا بعدها مدرسين في التعليم الثانوي . وكان في استطاعة عبد الحليم سويدان أن ينجح في أية مسابقة يتقدم إليها من مسابقات « وزارة المعارف » ، ولكنه قرأ بالمصادفة ذات يوم إعلاناً صادراً عن وزارة الزراعة حول مسابقة لإيفاد طلاب لدراسة الطب البيطري في « المدرسة الوطنية للطب البيطري في ألفور » ALFORT ، في ضاحية باريس وهي مدرسة كانت شهيرة في فرنسة وفي العالم . فقال في نفسه ، وهو واثق بقدرته على الدراسة وغير عارف آنذاك طبيعة الدوام في مثل هذه المدارس ، قال في نفسه : سأتقدم لهذه المسابقة

وسأدرس الطب البيطري والطب البشري في آن واحد في العاصمة الفرنسية . وهكذا صرف النظر عن مسابقات « وزارة المعارف » ونجح الأول في مسابقة وزارة الزراعة والتحق بمدرسة « ألفور » في العام الدراسي ١٩٣٦ ـ ١٩٣٧ . وعندها وجد أن طبيعة الدوام القاسي في هذه المدرسة لم تكن لتترك له على الاطلاق أي مجال للتفكير في تحقيق هدفه الآخر وهو دراسة الطب البشري في جامعة باريس ، فاستقر على دراسة الطب البيطري في مدرسة « ألفور » إلى أن حصل عام ١٩٤٢ على درجة « دكتور في الطب البيطري » وكانت تمنحها آنذاك وزارة المعارف الفرنسية وأكاديمية باريس . ولقد أعد أطروحته لهذه الدرجة العلمية في مخبر علم الطفيليات العائد لكلية الطب البشري في جامعة باريس ، وكان يدير هذا المخبر في ذلك الحين أستاذ علم الطفيليات في كلية الطب البشري في جامعة باريس وعضو الأكاديمية الطبية الفرنسية وأحد علماء الطفيليات المشهورين يومها في العالم وهو الأستاذ « برومت » .E PRUMPT وكان موضوع الأطروحة « داء الشريطية » المكوّرة الشوكية عامة وفي سورية خاصة (Echinococcose) . وفي العام الدراسي ١٩٤١ ـ ١٩٤٢ حصل من جهة أخرى على « شهادة معهد الطب البيطري الأجنبي » (Exotique) .

وحكم اندلاع الحرب العالمية الثانية على الطلاب العرب كافة ومنهم الطلاب العرب السوريون بألا يستطيعوا العودة إلى بلادهم ، وكان على عبد الحليم سويدان أن يبقى في العاصمة الفرنسية مثل غيره لمدة لم يكن في مستطاع أحد أن يتوقع منتهاها . وعلى هذا فقد انتسب أيضاً لكلية العلوم في جامعة باريس وحصل منها على خمس من شهادات الدراسات العالية هي شهادات الدراسة العالية في علم الحيوان وفي علم النبات وفي

الكيمياء الحيوية وفي الفزيولوجية العامة وفي علم الحياة العام (البيولوجية العامة) وانتسب في الوقت نفسه لمخبر علمي التشريح والنسج المقارنين بكلية العلوم في جامعة باريس يعدّ أطروحة لنيل درجة دكتوراة الدولة في العلوم الطبيعية ، ومشى في هذه الطريق خطى مشجعة ولكنه لم يكملها بسبب عودته الى الوطن .

في ذلك الزمن العصيب زمن الحرب العالمية الثانية كانت المعيشة في باريس ضنكا مغمورة بطوفان الظلام والتقتير والجوع . كانت التدابير الأمنية شديدة جدا وكان تقتير المؤونة المعاشية مجحفاً جداً لايكاد المرء يصل الى الكفاف . باريس مدينة النور قبلا باتت عاتمة بسبب الدفاع المدني السلبي . باريس مدينة الدفء قبلا غدت مدينة القر إذ وقفت التدفئة المركزية في شهور طويلة إبان صبارّة الشتاء . باريس مدينة الأمن والبلهنية أمست الغارات الجوية تبيّتها كل ليلة وتغاديها كل نهار ولاسيما في السنوات الأخيرة من الحرب . في ذلك المحيط الصعب العصيب بدلا من أن يخلد الطالب الى الوجل والكسل عمد الشاب سويدان الى متابعة دراسته في السربون بعد أن أنهى الدكتوراة المطلوبة منه فجنى تلك الشهادات العالية الخمس التي نوهنا بها آنفا مع أن كل الأشياء تدفع إلى التوقف في الدراسة بعدما وصل المرء إلى ماهو مطلوب إليه منها . كان ذلك شأنه هو مع فئة من الطلاب الذين تابعوا مسيرة الدراسة والجد والتحصيل على الرغم من الأهوال التي كابدوها . كان هؤلاء يفكرون على النأي دائماً في أحوال وطنهم وأهليهم ويتنسمون أخبار أمتهم العربية ليرفعوا رؤوسهم حين يرون انحسار ليل النازية عن أوربة وانحسار ليل الاستعمار عامة عن البلاد المنتدب عليها والمحمية والمستعمرة انحسارا تدريجيا مستندا إلى حركة الشعوب وتقدم الإنسانية .

وكم اجتمع الطلاب العرب سوريين ولبنانيين ومغاربة في ندوات للتنديد بالمستعمرين ولمقاومة قرن الصهيونية الذي بدأ يذر وينذر بالخطر إذ ذاك !

ولقد عاد عبد الحليم سويدان من فرنسة إلى الوطن في شهر آب ١٩٤٥ ، ضمن « قافلة » كبيرة من الطلاب العرب السوريين واللبنانيين على ظهر باخرة كان اسمها « مراكش » ويبدو أنها كانت أول باخرة تعبر البحر الأبيض المتوسط بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية . والذين كانوا على ظهر هذه الباخرة لايزالون يذكرون طرائف هذه الرحلة ، غير انهم لايزالون يذكرون بالأخص وبكثير من المرارة والألم أنهم سمعوا وهم عليها نبأ القاء أول قنبلة ذرية على هيروشيما .

وعند عودته إلى الوطن عين في مدينة دمشق في نطاق مديرية الصحة الحيوانية بوزارة الزراعة ثم نقل إلى مدينة حماة وبقي فيها مدة ثم أعيد إلى دمشق ثم استقال من وظيفته في وزارة الزراعة في شهر أذار سنة ١٩٤٩ تمهيداً لتعيينه بكلية العلوم في « الجامعة السورية » .

وفي شهر تموز سنة ١٩٤٩ عين أستاذاً مساعداً في كلية العلوم ثم رفع في أول عام ١٩٥٢ إلى وظيفة أستاذ بلا كرسي ، وأدى خدمة العلم من ١٥ / ٩ / ١٩٥٣ إلى ١٥ / ٩ / ١٩٥٤ . وفي أول عام ١٩٥٦ أصبح أستاذاً ذا كرسي . وفي أواخر عام ١٩٥٨ أصبح عميداً لكلية العلوم ثم عين وكيلاً لجامعة دمشق في شهر تشرين الأول سنة ١٩٦٠ . وفي شهر كانون الثاني ١٩٦٢ عاد إلى وظيفته أستاذاً في قسم علم الحيوان بكلية العلوم . وفي الثامن من اذار سنة ١٩٦٣ سُمِيَ وزيراً للزراعة .

وبتاريخ ٣٠ / ٩ / ١٩٦٩ استقال من وظيفته في كلية العلوم وأصبح خبيراً لليونسكو في مدينة الرباط أستاذاً في « المدرسة العليا للأساتذة » التي كان هدفها إعداد مدرسين لتعليم العلوم باللغة العربية وبقي في هذه الوظيفة ثلاث سنوات دراسية .

وفي العام الدراسي ١٩٧٣ ـ ١٩٧٤ تعاقد مع جامعة الجزائر الشقيقة وكان أستاذاً في الشعبة « المعرّبة » من قسم العلوم الحيوية في كلية العلوم في جامعة الجزائر العاصمة .

ولعل الذين زاروا جامعة الجزائر العاصمة أو جامعة الرباط بعد أن غادرهما عبد الحليم سويدان قد سمعوا هناك مااستنتجوا منه كيف كان قيامه بواجبه في الجامعتين الشقيقتين .

وابتداء من شهر آب سنة ١٩٧٤ أصبح مرة جديدة خبيراً لليونسكو في « زائير » فكان لليونسكو مستشاراً فنياً رئيسياً في « المعهد العالي للدراسات الزراعية » بمدينة « كيسنغاني » (KISANGANI) ، ستنلي فيل سابقاً ، وهو معهد من جامعة زائير أربع سنوات دراسية كانت اثنتان منها لحساب اليونسكو واثنتان لحساب جامعة زائير . ثم عاد إلى دمشق .

وفي شهر أيار سنة ١٩٧٨ أعيد إلى وظيفته السابقة في كلية العلوم في جامعة دمشق أستاذاً في قسم علم الحيوان بقرار من وزارة التعليم العالي . ثم أحيل على التقاعد في ٣١ / ١٢ / ١٩٧٨ لبلوغه الخامسة والستين ثم مدد تعيينه سنة فسنة حتى أكمل السبعين في ٣١ / ١٢ / ١٩٨٣ .

وعندما بدأ التدريس في قسم علم الحيوان في كلية العلوم سنة ١٩٤٩ كان وحده تقريباً في القسم ولذلك بقي مدة يدرّس معظم نطاقات علم

الحيوان وعلم الحياة الحيوانية وأعد كثيراً من الأمالي التي اشتملت على عدد كبير من المصطلحات العلمية التي وضعها . ولكنه لم يستطع اخراج هذه الأمالي في كتب لأن قلة أعداد الطلاب آنذاك في كلية العلوم لم تكن لتساعد على تأليف كتب كثيرةِ الأشكال كبيرةِ التكاليف . وعندما أقرت الجامعة قواعد كان من شأنها التشجيع على التأليف كان هو يومها خارج الوطن . وبعد أن أعيد إلى وظيفته عند رجوعه من زائير وضع كتابين لمادتين كلف تدريسهما في القسم وهما « تطور المتعضيات الحيوانية » للسنة الرابعة من فرع العلوم الطبيعية في كلية العلوم و « علم الحياة الحيوانية » (وهو يشتمل على علم الجنين وعلم الوراثة) لطلاب السنة الأولى من كلية الصيدلة في الفصل الدراسي الثاني ، وضعهما ملتزماً بالقواعد المحدّدة التي يجب أن يتقيد بها مؤلف الكتب الجامعية .

ولقد كان لعبد الحليم سويدان ولأمثاله من الطبقة الأولى الذين سبقوا إلى التدريس في جامعة دمشق شرف الإسهام في إيفاد النخبة المبرزين من طلابهم إلى الجامعات الأجنبية لنيل درجة الدكتوراة ، ولقد كانوا دائماً في هذه الجامعات كواكب متألقة ووجوها لامعة مشرقة تشرّف جامعتهم ووطنهم ، وهم الآن في الأقسام المختلفة علماء شباب لاتفخر بهم هذه الأقسام وحدها وإنما تعتز بهم كليات جامعة دمشق .

لقد تنقل الأستاذ الدكتور سويدان من حرم علمي إلى حرم علمي آخر . وهكذا قيض له ألاّ ينقطع عن المذاكرة والبحث والعلم والتأمل الفكري . شأنه في ذلك شأن إخوانه الذين ينضم إليهم يشدّون أزره ويشد أزرهم في هذه الحياة المشتبكة الحديثة التي من أخص صفاتها لزوم قيامها على التعاون للتقدم ، وعلى التضامن لاطراد النجاح والتوفيق .

لقد كان هذا البيت أول حرم ظهر في البلاد العربية بين أمثاله التي توالى وما يزال يتوالى ظهورها في ربوع الوطن العربي . ذلك أن للعرب وطنين كبيرين وعظيمين ، الوطن الجغرافي الواسع الفسيح الذي يشغل أهم بقاع المعمورة ، والوطن الروحي الفكري الواسع الفسيح الذي هو اللغة العربية المقدسة التي تعلو في شموخها على سائر لغات العالم . وكما تدافع الجيوش عن حياض الوطن العربي الجغرافي كذلك يدافع العلماء المختصون عن حمى اللغة العربية . كلا الحميين مقدس ومؤثل ومجيد وله جنوده المخلصون الذين يبذلون أقصى الوسع في الذود عنه وفي تمجيده وتأثيله وتقديسه والطواف بأركانه .

نحن في عصر كل شيء فيه يتبدّل تبدلاً حثيثاً حتى إن هذا التبدل يصل إلى اللغة والبيان . وعلينا أن نتفهم هذا التغير الشديد ونوجهه لخدمة اللغة العربية وأصالة البيان العربي لا أن نتركه يصيب صميم اللغة ويشوه بيانها العذب الصافي . إن البيان واللغة والأدب متصلة جميعاً بالواقع والحياة الاجتماعية والتاريخ . ولابد للقائمين عليها أن يدركوا الغايات الإنسانية التي تبحر نحوها المجتمعات الراهنة وأن يقللوا ما أمكن من الانحراف والعبث ويردوا الاستلاب والضياع . وليس العمل في مجمع اللغة العربية مجرد الحفاظ على خزائن التراث الثمينة بل ينبغي أن يتعداه الى التوجيه وتمكين الأصالة والصحة في البيان على شتى الميادين وفي مختلف فروع المعرفة . إن اللغة العربية كما قلنا وطن العرب الفسيح وكما يهندس المهندسون ربوع البلاد ويغرسون في زواياها وأصقاعها الأغراس البديعة والرياض الجميلة كذلك يلزم المسؤولين عن اللغة والبيان تعهدُ جوانب الوطن الروحي وآفاقِه العالية الواسعة .

عجبا لسدنة اللغة العربيـة والفكر العربي ! أيـامهم نـاصبـة في الجـد والعلم ، وليـاليهم سـاهرة في البحث والمطـالعـة والتنقيب . إذا أوى الخلق ليلاً إلى مضاجعهم تجافوا عنها ضبطاً للفظ نادّ وتحريا لصحة كلمة نـادرة وتنقيراً عن مصطلح قديم أو جـديـد وتـأملاً لأسلوب من البيـان فريـد ، « وصلوا كلال ليلهم بكلال نهـارهم » . تقرحت جفونهم في قراءة النصوص وتنقيحهـا ومطـالعـة الأسفـار وتصحيحهـا . كم نفـذوا في البـلاغـة إلى الأسـاس ، وكم أبحروا من اللغـة في المحيـط ، وكم كان العين وأشبـاهـه أثمن عنـدهم من العين وإن قرحت مشكـلاتـه منهم الجفن والعين ! كم نـاجتهم النجوم في آناء الليالي فلم يعبؤوا بنجواهـا ، وكم سكبت أكر الكهربـاء في سماوات غرفهم وعلى مناضدهم سناها ! وكم نعست عيونهم في الليالي نعـاس المتهجـدين ، وأرقت قلـوبهم في البحث أرق العـاشقين ، وصرت أقـلامهم على بياض الطُرُوس حتى حاكى سوادها سوادهـا وجـالت تلـك الأقلام في ميادين الفكر جولات طوالا أفنت مـدادهـا ! وكم عَبَثَتْ أنفـاس الصبـاح بـأوراقهم المضومـة فبعثرتهـا ! ومسحت النسمات البليلـة غشيـة النـوم عن آماقهم فأيقظتها ! لقد تحدثت الأخبار الإنسـانيـة الاسطوريـة عن طـائر السمندل لاتكون حياته إلا بـالنـار يحترق فينبعث حيـاً من رمـاده الحـار المحتدم . إنه رمز لكم أيها العلماء والشعراء والأدباء تحترقون بجهودكم الدائبـة لتنهض من هذا الاحتراق حياة جديدة طيبة كريمة .

هذا ومن غرائب المنـاجـاة أني وجـدت وأنـا أعد هـذا الخطـاب أن الألفاظ غدت بعدما قدمتُ فرحة مستبشرة مبتهجة ابتهـاج الأخ بـأخيـه والأليف بأليفه والترب بتربه ، كأنما ينظِمهـا طيف مغنـاطيسي . فهـاهي ذي تتجمع تؤامـاً وفرادى ، ثم شطوراً ثم أبيـاتـاً مقفـاة تتراقص في سمعي

وأمـام بصري ، وينسجم إيقـاعهـا الشعري المتزن مع أمواج البحر البسيـط كأن هاتفاً بجانبي يلقيها . فلم يتمالـك القلم أن يسجلهـا بنشوة من الطرب القديم الذي مازال معشأً في سويـداء القلب وأعمـاق الخـاطر ، يسجلهـا بألق من التنويه باللغة العربية وماضيها المؤثل السعيد وحاضرها المتفـائل العتيد .

بـالحسن قلبـك منـذ اليفعِ ولهـانُ ... والحسن في الكـون آيـات وألـوانُ
وإنمـا قَسَمات الحسن مــاثلــة ... في الفكر يرفِـده حب ووجـدان
وفي تراث الـورى أم اللغـات لهـا ... آي البـلاغـة وجـهَ الـدهر عنـوان
مصونـة في رحـاب الخلـد شـامخـة ... يبلى الـزمـان ولايبلى لهـا شـان
وكم لهـا في ربوع الأرض من حرم ... نسـاكــه حُفَّـظ للعهـد صُوَّان
كـالـدوح في سـالف الآزال مغرسـه ... الأصـل مستحصِفٌ والفرع فينـان
كم ديمـةٍ مطرتــه وهي مـوقَرة ... بـالخصب فهـو حضـارات وعمران
زانت كفافَ الـدُنـا دهراً بلاغتهـا ... كأن ألفــاظهـــا در ومرجـــان
سلافـة اللفـظ تحيي الفكر سورتهـا ... وجرســه نغم صــاف وألحـــان
كم ذاع في الكون من أخبـارهـا درر ... وكم أصــاخ لهــا لـجٌّ وشطـــآن
وكم تعلـل محـزون فبث بهـــا ... أشجـانـه فـإذا الأشجـان ريحـان
تـواصـلٌ في عطـاء قـلّ مشبهــه ... كالنـور حسنـاً ومـا للنـور أقران
بنت السماء حبـاهـا الله منزلـة ... لمـا أنـار ظـلام الكـون فرقـان
ليلاي منذ الصبا مـازلت أعشقهـا ... يا حبذا في هواها الضـال والبـان
وحبـذا بــارق من ثغرهــا شَبِمٌ ... تقبيلـه لـذنـوب الـدهر غفران
واهـاً لمـاض لهـا والـدارُ واحـدة ... والشمـل ملتئم والعرب خــلان
تفرقـوا فــاذا بــالعـز منـدثر ... وقـدسهم جـاسـه رقـط وذؤبـان

وآهِ من حاضر أعيت رطانته صفات آدابه عيّ وبهتان
إذا الأصول ذوت وأنبتّ واشجها فهل يصادف فرع وهو ريّان

☆ ☆ ☆

ياصاحب الخلق المرضيّ صفحتُه والعلم بالخلق المرضيّ يزدان
أقبل إلينا وشارك في سِدانتنا إنا لأغلى لغات الأرض سدّان
تاج اللغات استمدت من فرائدها كل اللغات فواتاهن تبيان
خطوطها من سنا الابداع ، أحرفها رسوم عبقرَ ، إن السحر أفنان
ما عقّها من بنيها غير مختبَل قد زيّفته بدار الغرب غِربان
أبصارهم لكنوز الشرق شاخصة وعن سبيل الهدى والحق عميان
يا جنة الأرض ياأرض العروبة هل ألوى بك الدهر أم غالتك غيلان
متى نردّ العدا عن أرضنا ومتى يكون للعرب الأحرار أوطان
إذا تغافلت عن أفعى بدارك لم يلبث يوافي الحمى صل وثعبان
سلالة السحت إما أقسموا حنثوا أو عاقدوا نكثوا أو عاهدوا خانوا
خانوا المسيح وخانوا كل منْطقة عاشوا بها فهمُ والغدرُ أخدان
ويلمّها خطةً نكراء موبقةً الحر يُطرد والعُبدان قطّان
سلوا الكواكب كم ضجت لمذبحة واندكّ من شرف الانسان أركان
سياسة حكمت في الأرض باغية كأنها بخراب الأرض إيذان

☆ ☆ ☆

وفي الغياهب تبدو الشام لؤلؤة في كل عصر لها راعٍ وجنّان

☆ ☆ ☆

أخوك في البأس درع لامثيل له وهل يُضيّع يوم البأس إخوان

إن ضل ذو رحم عن ساح معركة　　فالحب يَرْجعه والعطف معوان
إذا الأشقاء قد أعيا تعاونهم　　فسنة الكون فيهم أنهم هانوا
والموت أكرم من ذل يعيش به　　مشتتون وطعم العيش خُطبان

☆ ☆ ☆

مهما يطل ليلنا فالكون منتفضٌ　　والصبح خَلْفَ ستور الليل يقظان

☆ ☆ ☆

إن شحّ كف الندى دون الأولى فنيت　　منهم على العلم أرواح وأبدان
فخدمة اللغة الفصحى مثوبتها　　يوم القيامة غفران وإحسان

☆ ☆ ☆

نحتاج مثلك للغايات نَنْشُدها　　حتى يقوم مع البنيان بنيان
الناس كُثْرٌ وإن قلوا بأعيننا　　يكفيك أنك بين القوم إنسان

☆ ☆ ☆

هذا الزمان انجلت فيه عزائمنا　　وسوف تبني صروح المجد أزمان
تفاؤل نهلت منه جوانحنا　　كالماء سالت به في البيد غدران
هيهات تنفع آمال نزخرفها　　إن لم يكن ثَمّ بالغايات إيمان

عبد الكريم اليافي

خطاب الدكتور عبد الحليم سويدان

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي رئيس المجمع
سادتي أعضاء المجمع
أيها السيدات والسادة

إني ليشرفني أن اعرب لكم سيدي رئيس المجمع وسادتي أعضاء المجمع عن شكري الصادق على تفضلكم بقبولكم إياي بينكم في مجمعكم الكريم فلقد كرمتموني بذلك تكريماً أفخر به وسأبقى معتزاً به مادمت حياً واعترف أمامكم في الوقت نفسه بأنني لا استحقه .

وأود بادىء ذي بدء أن أوجه شكري العميق الى السيدات والسادة الذين شرفوني اليوم بحضورهم الى هذه القاعة الجليلة ثم ان استأذنكم بأن أتوجه لأخي الدكتور عبد الكريم ليرى عجزي عن الرد على عباراته السمحة الكريمة التي شرفني بها . انني اشكرك يا أبا محمد على ماافضته عليَّ من كلمات نبيلة هي اكبر من أن تجد عليَّ منازلها . واذا كنتُ غير قادر بأسلوبي وتعبيري على أن أزجي اليك من عبارات الشكر ماتبرق منه لِماع البلاغة والبيان فان ما يعزيني ان كلمة الشكر البسيطة الصادقة الصادقة التي يصوغها القلب هي أشد نفاذاً الى نفس من توجه اليه وأشد فعلاً في هذه النفس من أية جملة شكر أخرى منمقة مطرزة قد يغزلها طرف اللسان ولا تحس بنَبْض الصدق في كلماتها .

عندما أتيت من حمص الى دمشق سنة اربع وثلاثين وتسعمائة والف واصبحت معنا في الصف الثاني عشر في « مكتب عنبر » كنت انت

احسننا وكنت أنت الأول فينا فانا اعرفك اذاً ياأبا محمد منذ خمسين عاماً ، ولم يكنِز الزمان في نفسي نحوك الا المحبة والاعجاب والتقدير .

سيدي رئيس المجمع
سادتي أعضاء المجمع

إنني وقد ثَقُل على كتفيَّ وزن السنين ، سأحاول بكل استطاعتي أن أتتبع خطاكم وأن أسير على هَديكم وان استمد من تجاربكم هادفاً الى ضم يدي الضعيفة الى أيديكم القوية وجُهدي المحدود الى جهودكم الكبيرة في سبيل خدمة هذا المجمع وتحقيق أغراضه وأهدافه . وسأبذل كل طاقتي في حقل المصطلحات العلمية عامة ومصطلحات علوم الحياة خاصة .

لقد كتبتم ياسادتي عن اهمية المصطلحات العلمية ودورها في تدعيم لغتنا العربية وصمودها . ولن اتصدى الآن لهذه المسألة ، فلن يكون في مستطاعي أن أضيف الى ما كتبتم إنتم شيئاً جديداً ، ولو عدت الى هذه الناحية بشيء من القول فإنني لواثق من انه سيكون دون ما كتبتم انتم دقة وشمولاً وإقناعاً وجمالا . وأجيز لنفسي فقط أن أكرر أن العلم في هذه الفترة الزمنية ينطلق انطلاقاً رائعاً في كل اتجاه وتمتد آفاقه امتداداً مذهلاً ، وأن علينا أن ندرك ان كل معركة هي معركة علمية ، وأن الانتصار أو الهزيمة في كل شيء يرجعان في آخر التحليل إلى انتصار علمي أو هزيمة علمية ، وأن الحسم في كل شيء يكاد أن يكون حسماً علمياً . وهنا يجب أن تبقى لغتنا قادرة على التعبير بدقة وأمانة عن كل ماينتجه الفكر البشري ويصوغه ، عن كل ما يكتشفه أو يخترعه ويبدعه . وإن المصطلحات العلمية السليمة الصحيحة معنى وصياغة تبقى لبناتٍ أساسيةً في بنية النصوص العلمية التي ننقلها إلى لغتنا العربية .

ويجب أن يمثل اهتمامنا بالمصطلحات العلمية مايشبه حركة دائمة توازي التجديد المستمر في نطاقات العلوم كافة .

وإن على كل مؤسسة عربية تهتم بالمصطلحات العلمية ، وهي تعرف ما عندها ، أن تظل على علم دائم بما يكون في كل وقت عند مثيلاتها . وإن إحكام الصلات إحكاماً وثيقاً ثابتاً مستمراً بين هذه المؤسسات هو امر اساسي لعدم هدر الجهود وللبقاء على الطريق التي تؤدي الى توحيد المصطلحات العلمية قومياً بعد توحيدها قطريا . ولقد آن الأوان لإعداد خطط للانتهاء من مرحلة المصطلحات المرتبطة باستاذ أو بقسم أو بكلية أو بجامعة أو بقطر والانتقال الى مرحلة توحيدها عربياً .

سيداتي سادتي

اننا كلنا متفقون على ان هنالك مسألة لها شأنها فيا يتعلق بمكانة لغتنا ومستقبلها هي أن تظل قادرة على ان تستوعب في كل وقت ما يستجد من جوانب المعرفة في مختلف الميادين العلمية والتِقْنية . ان لغتنا هي الآن الدعامة الاساسية في بنية الأمة العربية ، هي العمود الفَقْري في هيكل القومية العربية ، إنها نفس أمتنا القوي الصامد في جسمها المتفكك الأحشاء فمن اراد بالامة العربية خيراً خدم لغتها وصانها من العابثين ، ومن اراد بهذه الأمة شراً صوَّب سهامه الى هذه اللغة ونفث سمومه في عروقها . ومن هنا تتجلى لنا روعة المهمة المقدسة التي يضطلع بها المجمع في خدمة اللغة العربية وإعلاء شأنها .

ايها السيدات والسادة

إنني ليشرفني ان أخلُف فقيداً كان ركناً من اركان هذا المجمع . لقد كان الاستاذ الدكتور حكمة هاشم ، رحمه الله ، رجلاً فذاً ، واسع الثقافة

غزير العلم ، عميق التفكير ، قوي الشخصية ، صُلب الارادة ، يجهر بالحق ولا يخشى التنديد بالباطل ، يضطلع بالمسؤولية ويدير الأمور بحُنكة وتبصر وحزم .

وأود أن أعترف بأنني لن يكون في وسعي أن أوفّيَ المرحوم الدكتور هاشم حقه ولكنني واثق من أيّ عجز مني أو أي تقصير في القول لن يكون بقادر على أن ينتقص مثقال ذرة من مضامين صورته الكاملة المنقوشة الراسخة في أذهان الذين عرفوه جميعهم .

ولد المرحوم الدكتور حكمة هاشم بن محمود في مدينة دمشق . وتذكر صورة إخراج قيده أنه ولد سنة اثنتي عشرة وتسعمائة والف ، ولكن يبدو أنه ولد فعلاً في الحادي والثلاثين من شهر كانون الأول سنة ثلاث عشرة وتسعمائة والف وينتسب الى أسرة كريمة عرفت بحب العلم والحرص على الصلاح .

درس في مدارس دمشق ونال القسم الأول من شهادة « البكالوريا » سنة تسع وعشرين وتسعمائة والف ، ونال القسم الثاني من فرع الفلسفة سنة ثلاثين وتسعمائة والف ، ثم انتسب الى معهد الحقوق والى مدرسة الآداب العليا في الجامعة السورية ، وعُين في هذه الاثناء معلماً في حلبون من ٣١ / ١ / ٣١ الى ٢٧ / ٢ / ١٩٣٢ ثم معلماً في منين من ١ / ٣ / ١٩٣٢ الى ٢٧ / ٢ / ١٩٣٣ فانقطع بعد نجاحه في امتحانات السنة الأولى في كل من المعهدين عن متابعة الدراسة الجامعية طيلة المدة التي بقي فيها بعيداً عن دمشق . فلما نقل اليها بتاريخ ١ / ٣ / ١٩٣٣ وبقي معلماً فيها حتى ٣٠ / ١١ / ١٩٣٧ استكمل دراسته في مدرسة الآداب العليا فنال شهادتها سنة ١٩٣٤ ثم أتم دراسته في معهد الحقوق فنال منه الشهادة سنة ١٩٣٥ . ولقد ساهم خلال قيامه بالتعليم الابتدائي في تأليف

كتب مدرسية وفي أعمال لجان وضع البرامج المدرسية .

وفي سنة ١٩٣٧ أوفدته وزارة المعارف في بعثة الى فرنسا لدراسة الفلسفة والتربية فانتسب الى كلية الآداب في جامعة باريس . وعندما اندلعت الحرب العالمية الثانية واشتعلت الأرض ناراً ودكت الأرض دكاً ، حالت هذه الظروف دون عودة الطلاب العرب السوريين الى وطنهم بعد نيلهم الشهادات التي أوفدوا من اجلها فلبثوا يستزيدون من العلم في ظروف قاسية وهكذا فقد حصل المرحوم الدكتور هاشم من كلية الآداب في جامعة باريس على درجة « الليسانس » في الآداب في دورة حزيران سنة ١٩٤٠ واستمر بعدها في الحصول على شهادات اخرى من شهادات الدراسات العالية فاصبح حائزاً على شهادات الدراسات العالية التالية :

فقه اللغة العربية في ٢٢ حزيران ١٩٣٨
الآداب العربية في ٢٠ تموز ١٩٤٠
دراسات تطبيقية عربية في ٢٠ تموز ١٩٤٠
الاخلاق وعلم الاجتماع في ٢٠ تموز ١٩٤٠
علم النفس في ٢٦ شباط ١٩٤١
تاريخ فلسفة العلوم في ٢١ كانون الأول ١٩٤٤
الفلسفة العامة والمنطق في ١٠ حزيران ١٩٤٤

وفي الثامن عشر من شهر تموز سنة ١٩٤٦ ناقش اطروحتين في الفلسفة الاسلامية فمنح درجة دكتورا الدولة في الفلسفة من جامعة باريس مع مرتبة « مشرف جداً »

اما الاطروحة الرئيسية فكانت في نقد مذهب المشائين والافلاطونية الحديثة عند الغزالي . واما الاطروحة المتممة ، وقد قدم لها

المستشرق الفرنسي ماسينيون ، فكانت ترجمةً الى الفرنسية ودراسةً تحليلية لكتاب ذي نزعة نفسانية وصوفية في الأخلاق وضعه الغزالي بعنوان « ميزان العمل »

وتسوية لوضعه فقد اعتبر محالاً على الاستيداع من ١ / ١١ / ١٩٤٥ لغاية ٣١ / ٧ / ١٩٤٦ ، وممنوحاً اجازة دراسية بدون راتب اعتباراً من ١ / ٨ / ١٩٤٦ لغاية ٢٦ / ١٢ / ١٩٤٧ .

وبعد ان وضعت الحرب العالمية الثانية في اوربا اوزارها ، عاد الطلاب العرب السوريون واللبنانيون الى وطنهم على ظهر باخرة كان اسمها « مراكش » . ولم يكن المرحوم الدكتور هاشم على ظهرها فلقد بقي يومها في العاصمة الفرنسية لاستكمال مراحل حصوله على درجة الدكتوراه في الفلسفة .

لقد ابحرت « مراكش » من مرفأ مرسيليا يوم الثلاثاء ٢٤ تموز سنة ١٩٤٥ . وعندما أرخى الليل سدوله كان « العائدون » على ظهرها يمرحون . ونظر أحدهم الى السماء فصاح : ما بال القمر كان على يسارنا ونراه الآن على يميننا ؟ فتبسم القوم ضاحكين من قوله : ان الباخرة قَفَلت راجعة الى مرسيليا . ذلك أنها عندما خرجت من المرفأ اصطدمت بسفينة غارقة فخُرقت فأخذ ماء البحر يتدفق اليها فلما رأى ربابينها ان ما تعبّه الباخرة من ماء البحر كان اشد غزارة مما تزفره من خراطيم مضخاتها عادوا بها الى مرسيليا واستغرق اصلاحها سبعة ايام . وفي يوم الثلاثاء ٣١ تموز سنة ١٩٤٥ ابحرت السفينة من جديد من ميناء مرسيليا فوصلت الى مرفأ الجزائر العاصمة يوم الخميس ٢ آب سنة ١٩٤٥ في الساعة الثامنة صباحاً ثم وصلت

الى مرفأ بنزرت في تونس يوم السبت ٤ آب عند الفجر ، ثم انطلقت من بنزرت نحو بيروت في الساعة ٢٠ والدقيقة ٣٠ من اليوم نفسه . وفي يوم الاثنين السادس من آب سنة ١٩٤٥ صعقنا لسماع النبأ المروع الذي اذيع علينا على ظهر السفينة ، وهو القاء القنبلة الذرية على مدينة هيروشيما . ثم وصلت السفينة الى بيروت يوم الخميس ٩ آب في الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر ، وفي هذا اليوم الخميس نفسه صعق العالم مرة ثانية لسماع نبأ القاء القنبلة الذرية الثانية على مدينة ناغازاكي .

المرحوم الدكتور هاشم في الجامعة

في ٢٧ / ١٢ / ١٩٤٧ عين استاذاً مساعداً في كلية الآداب في الجامعة السورية بالمرتبة الثالثة والدرجة الدنيا فدرّس فيها الفلسفة والفلسفة الاسلامية طيلة العام الدراسي ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨ ، وكان ممثلاً لهذه الكلية في مجلس الجامعة السورية .

وفي ٢٦ / ٢ / ١٩٤٩ نقل ، وهو استاذ مساعد من المرتبة الثالثة والدرجة الأولى ، الى مثل وظيفته في المعهد العالي للمعلمين في الجامعة السورية برتبته وراتبه .

وفي ٢٧ / ٢ / ١٩٤٩ انتدب مديراً للمعهد العالي للمعلمين حتى نهاية ١٩٤٩ وباشر وظيفته هذه اعتباراً من ٢ / ٣ / ١٩٤٩ ، ثم مدد انتدابه حتى غاية شباط ١٩٥٠ . وفي ١ حزيران ١٩٥٠ رفع الى وظيفة استاذ بلا كرسي في المعهد العالي للمعلمين من المرتبة الثانية والدرجة الثالثة . وفي ٨ تموز ١٩٥٠ انتخبه مجلس المعهد العالي للمعلمين نائباً لمدير المعهد (الاستاذ الكبير المرحوم الدكتور جميل صليبا) . وفي ٣٠ / ٦ / ١٩٥٢ رفع الى

المرتبة الثانية والدرجة الثانية . واعتباراً من ١ / ٧ / ١٩٥٤ رفع الى المرتبة الثانية والدرجة الأولى . وكان مجلس كلية التربية قد قرر تسميته ممثلاً لكلية التربية في مجلس الجامعة السورية اعتباراً من أول كانون الثاني ١٩٥٤ . وفي ٣٠ / ٦ / ١٩٥٤ عين استاذاً ذا كرسي من المرتبة الأولى والدرجة الثالثة . ثم جدد انتخابه ممثلاً لكلية التربية في مجلس الجامعة السورية لمدة سنتين أخريين اعتباراً من ١٠ / ١ / ١٩٥٦ . وبتاريخ ٢١ / ٦ / ١٩٥٦ رفع الى المرتبة الأولى والدرجة الثانية . وبتاريخ ٢٦ / ١٠ / ١٩٥٧ جدد انتخابه نائباً للعميد . وفي ١٧ حزيران ١٩٥٨ رفع الى المرتبة الاولى والدرجة الاولى . واعتباراً من ٢٩ / ٤ / ١٩٥٨ كلف القيام بعمادة كلية التربية طيلة مدة قيام المرحوم الاستاذ الدكتور جميل صليبا برئاسة الجامعة السورية . وفي ٣٠ تشرين الاول سنة ١٩٥٨ عين مديراً لجامعة دمشق وباشر عمله اعتباراً من صباح يوم السبت ١ تشرين الثاني ١٩٥٨ . وبتاريخ ١٥ / ١ / ١٩٦٢ صدر المرسوم ذو الرقم ٦٤ المتضمن تسريحه فانفصل عن عمله بتاريخ ١٦ / ١ / ١٩٦٢ .

لقد كان في كلية التربية استاذاً قديراً مرموقاً متميزاً .
وعندما عين مديراً لجامعة دمشق عينت أنا نفسي عميداً لكلية العلوم في تشرين الثاني ١٩٥٨ ثم عينت وكيلاً لجامعة دمشق في تشرين الأول ١٩٦٠ عندما عين المرحوم الاستاذ الكبير توفيق المنجد مديراً لجامعة حلب ، فكنت اذاً مطلعاً على مايجري في الجامعة .

لقد ادى المرحوم الدكتور هاشم مهمته في إدارة جامعة دمشق بكفاءة وأمانة وإخلاص وحزم وبذل جهوداً جبارة في سبيل إعلاء شأن

الجامعة ووضع خطة لتوسعها وإنشاء مدينتها الجامعية ، وكان أحد الذين بذلوا كل طاقاتهم في سبيل تطوير التعليم الجامعي وتنسيق اهدافه ونظمه على مستوى الاقليمين انذاك من الجمهورية العربية المتحدة .

وكنت أحضر معه اجتماعات المجلس الاعلى للجامعات في القاهرة ، وماكنت أراه في كل اجتماع الا رجلاً وقوراً عالي الجبين ، رصين الحديث جدي المناقشة ، رزين الرأي ، قوي الحجة ، وكنت ارى الى أية درجة كان زملاؤه مديرو جامعات الاقليم الجنوبي يجلونه ويقدرونه ويحترمون رأيه ، وكنت اعلم من جهة اخرى أن كبار المسؤولين عن الجامعات كانوا يرون أنه من أحسن مديري جامعات الجمهورية العربية المتحدة .

المواد التي درّسها :

اما المواد التي درّسها في المعهد العالي للمعلمين وفي كلية الآداب وفي كلية التربية فكانت الفلسفة العامة والفلسفة الاسلامية وعلم النفس وتطبيقات الفلسفة والتربية المقارنة والطرق الخاصة بالفلسفة ، وعلم النفس الاجتماعي ودراسات باللغة الفرنسية . ولقد أشرف على عدد كبير من الرسائل الجامعية التي أعدها الطلاب في كلية التربية .

المؤتمرات التي شارك فيها :

وأما المؤتمرات التي اشترك فيها فكانت مايلي :

- اشترك في الوفد الذي مثل الحكومة السورية في مؤتمر اليونسكو الثالث الذي انعقد في بيروت من ١٧ تشرين الثاني حتى ١٢ كانون الأول سنة ١٩٤٨ .

وفي سنة ١٩٤٩ أوفد الى مصر لتمثيل الحكومة السورية في الدورة الخامسة للجنة الثقافية بجامعة الدول العربية التي عقدت في مدينة

الاسكندرية من ٢١ أب ١٩٤٩ حتى ١ ايلول ١٩٤٩ .

وفي ٢٣ / ١٢ / ١٩٥٠ أوفد الى الولايات المتحدة الامريكية للاستفادة من مشاريع المساعدة الفنية التي ينص عليها برنامج النقطة الرابعة للاطلاع على المستحدثات العلمية في التربية وأصول التدريس .

وفي سنة ١٩٥١ اوفد الى فرنسا لمدة خمسة أشهر اعتباراً من ١٥ نيسان ١٩٥١ للاطلاع على المستحدثات التربوية .

وفي سنة ١٩٥٣ أوفد لحضور مؤتمر هيئة الدراسات العربية الذي عقد في الجامعة الامريكية في بيروت من ٢٧ نيسان حتى ١ أيار ١٩٥٣ .

وفي سنة ١٩٥٣ افد لحضور مؤتمر هيئة الدراسات العربية الذي عقد في الجامعة الامريكية في بيروت من ٢٧ نيسان حتى ١ أيار ١٩٥٣ .

وفي سنة ١٩٥٣ اوفد الى مدينة غاند GAND في بلجيكا لتمثيل الجامعة السورية في المؤتمر الدولي للتعليم الجامعي الخاص بالعلوم التربوية الذي نظمه المعهد العالي للعلوم التربوية بين ٧ و ١٤ ايلول ١٩٥٣ .

وفي سنة ١٩٥٤ أوفد الى مدينة بون BEAUNE في فرنسا لحضور المؤتمر السادس عشر للمعهد الدولي لعلم الاجتماع الذي عقد في مقاطعة بورغونيا BOURGOGNE من ١٥ الى ٣٠ ايلول ١٩٥٤ .

وفي سنة ١٩٥٥ أوفد الى مصر للاشراف على رحلة طلاب صف الاختصاص في كلية التربية خلال المدة الواقعة بين ٤ و ١٩ شباط ١٩٥٥ .

وفي ٢٥ تشرين الأول ١٩٥٥ أوفد لمدة ثلاثة أشهر لزيارة الولايات المتحدة الأميركية تلبية لدعوة تلقاها من مؤسسة سميث ماندت SMITH MUNDT للاطلاع على جامعاتها ومنظومتها التربوية .

وفي ايلول ١٩٥٦ اشترك في حلقة ترجمة الروائع في بيروت ممثلاً وزارة المعارف السورية .

وفي كانون الثاني سنة ١٩٥٧ أوفد بمهمة علمية الى الكويت للاسهام في الموسم الثقافي الثالث الذي اقيم فيها ولإلقاء بعض المحاضرات بناء على دعوة وجهت اليه من ادارة معارف الكويت .

وفي سنة ١٩٥٧ اوفد الى فرنسا وانكلترة للاطلاع والتوسع لمدة ستة أشهر اعتباراً من أول ايار ١٩٥٧ .

وفي ايلول ١٩٥٨ أوفد لحضور المؤتمر الثامن عشر لمؤسسة علم الاجتماع الدولية الذي عقد في مدينة نورمبرغ في جمهورية المانيا الاتحادية .

وفي تشرين الثاني سنة ١٩٥٩ كان ضمن وفد الجمهورية العربية المتحدة في اجتماع منظمة اليونسكو لدراسة الوسائل الصحيحة لمصادر العلوم الاجتماعية في البلاد العربية الذي عقد في القاهرة من ١٨ الى ٢٨ تشرين الثاني ١٩٥٩ .

وفي شهر شباط ١٩٦٠ اوفد لحضور الحلقة التي نظمتها جامعة الملك سعود بالرياض للمشاورة في وضع نظم الجامعة ولوائحها .

وفي شهر ايلول ١٩٦٠ اوفد الى مكسيكو لتمثيل جامعة دمشق في المؤتمر الدولي الثالث لاتحاد الجامعات الذي عقد من ٦ الى ١٢ من الشهر الأنف الذكر .

واني لعلى يقين من أن المرحوم ابا فارروق كان في كل هذه المؤتمرات والدورات والجولات العلمية والحلقات وجهاً لامعاً يشرف الجامعة التي ينتسب اليها ويرفع رأس البلد الذي هو منه .

المرحوم الدكتور هاشم في المجمع

لقد انتخب رحمه الله عضواً عاملاً في المجمع العلمي العربي في الجلسة التي انعقدت بتاريخ ٧ كانون الأول سنة ١٩٥٣ .

وعين عضواً عاملاً في المجمع العلمي العربي بدمشق بالمرسوم ذي الرقم ١٤١٨ المؤرخ في ٢٣ / ١٢ / ١٩٥٣ .

واستقبله في المجمع شاعر الشام الكبير المرحوم الاستاذ شفيق جبري في جلسة عامة عقدت في ٢٥ آذار سنة ١٩٥٤ .

ولقد تحدث يومها شاعر الشام عن الدكتور هاشم فأشاد بحسه الرقيق وكال خلقه وكال عقله وباهتمامه بالفكر قبل كل شيء في كل موضوع عالجه ثم بعنايته بصيغة هذا الفكر ، وبين كيف لخص صورة الغزالي وكيف صور صوفيته تصويراً فيه كل الصدق وفيه كل الأمانة وفيه كل التنسيق . ونوه شاعر الشام بقدرة الدكتور هاشم على أن يكثف في قليل من البيان ماتبعثر في تصانيف .

واشار الى خصب قراءته وخصب تفكيره ، ولم ينس شاعر الشام أن يشير الى نصيبه من التفكير الشعري والى خياله المصقول قبل أن يتكلم عن فلسفته .

والمرحوم الدكتور هاشم خلف يومها المرحوم الاستاذ محسن الأمين العاملي .

ماترجم المرحوم الدكتور هاشم من كتب

لقد ترجم عن الفرنسية كتابين اثنين : المذاهب الفلسفية لكريسون A . GRESSON وتطبعه جامعة دمشق ، والمدخل الى علم النفس الجماعي للدكتور شارل بلوندل ، والطبعة الأولى منه ترجع الى عام ١٩٥٣ في « دار المعارف بمصر » .

ما اطلعت عليه مما نشر له من مقالات

أ ـ لقد نشرت له مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق المقالات التالية :

ـ دراسة الأغاني ، تأليف الاستاذ شفيق جبري (تعريف ونقد) ـ المجلد ٢٧ سنة ١٩٥٢ (الصفحات ٢٧٤ ـ ٢٧٩)

ـ بعض مؤلفات السيد محسن الأمين ـ المجلد ٢٩ سنة ١٩٥٤ (الصفحات ٤٤٣ ـ ٤٤٤)

ـ كتاب الكُتاب وصَنعة الدواة والقلم لأبي القاسم عبد الله بن عبد العزيز البغدادي (تعريف ونقد) ـ المجلد ٣٠ سنة ١٩٥٥ (الصفحات ١٣٦ ـ ١٣٧)

ـ رد على ميخائيل نعيمة في « مِرداد » بقلم الأب يوحنا الخوري (تعريف ونقد) ـ المجلد ٣١ سنة ١٩٥٦ (الصفحات ٤٨٨ ـ ٤٩١)

ـ تحقيقات حول نقد الغزالي لمذهب المشائين والافلاطونية المحدثة : أربع مقالات

المقالة الأولى : المجلد ٣٢ سنة ١٩٥٧ (الصفحات ٢٨٩ ـ ٣٠٢)

المقالة الثانية : المجلد ٣٢ سنة ١٩٥٧ (الصفحات ٤٥٣ ـ ٤٦٥)

المقالة الثالثة : المجلد ٣٢ سنة ١٩٥٧ (الصفحات ٦٤٧ ـ ٦٥٧)

المقالة الرابعة : المجلد ٣٣ سنة ١٩٥٨ (الصفحات ٣٩٠ ـ ٤٠٠)

ـ الفكر الفلسفي واللغة العربية ـ المجلد ٣٨ سنة ١٩٦٣ (الصفحات ١٧٧ ـ ١٩٦) وقد نشرتها أيضاً مجلة « دعوة الحق » التي تصدر في المغرب الشقيق (سنة ١٩٦٣)

ـ سلطات الحكم ـ المجلد ٥٥ سنة ١٩٨٠ (الصفحات ٣٦٦ ـ ٣٦٩)

ب - ونشرت له مجلة المعلم العربي الدمشقية المقالات التالية :

- علم نفس الطفل - عرفان الذات ومركزية الأنا (تعريب عن الاستاذ جان بورجاد) السنة الرابعة ، العدد الثاني ، كانون الأول ١٩٥٠ (الصفحات ١٣٦ - ١٤٧)

- القراءة المبدعة - السنة الرابعة ، العدد الثالث ، كانون الثاني ١٩٥١ (الصفحات ٢٩٥ - ٢٩٩)

- أثر الفكر العربي في الحضارة الإنسانية - السنة الرابعة ، العدان الرابع والخامس ، شباط وآذار ١٩٥١ (الصفحات ٤١٢ - ٤١٦)

- ثورة الدم وثورة الفكر - السنة الرابعة ، العددان السادس والسابع ، نيسان وأيار ١٩٥١ (الصفحات ٥٩٤ - ٥٩٩)

- ثقافة الفكر وثقافة الخلق - السنة الخامسة ، العددان الأول والثاني ، تشرين الثاني وكانون الأول ١٩٥١ (الصفحات ٩ - ١٤)

- الشعلة المقدسة - السنة الخامسة ، العدد الثالث ، كانون الثاني ١٩٥٢ (الصفحات ١٧٥ - ١٧٩)

- التحليل النفساني بين القديم والحديث - السنة الخامسة ، العدد السادس ، نيسان ١٩٥٢ (الصفحات ٥١٩ - ٥٢٦)

- إعداد المربي ، ترجمة عن الفرنسية قام بها المرحومون الاساتذة الدكاترة جميل صليبا وحكمة هاشم وسامي الدروبي - السنة التاسعة ،العددان السابع والثامن ، أيار وحزيران ١٩٥٦

- حول التعبئة الفكرية - السنة الحادية عشرة ، العددان الثالث والرابع ، كانون الثاني وشباط ١٩٥٨ (الصفحات ٢١٧ - ٢٢١)

ج - ونشرت له مجلة الثقافة التي تصدر شهرياً في دمشق لمؤسسها ورئيس تحريرها الاستاذ مدحة عكاش المقالين التاليين :

- التنسيق الجامعي في ظل الوحدة - العدد الثاني ، السنة الأولى ١٩٥٨
- لماذا لاتكون لنا ايديولوجيا عربية العدد الثالث السنة الأولى ١٩٥٨

د - ونشرت له جريدة النقاد الاسبوعية التي كانت تصدر في دمشق المقالات التالية (بيد أن هنالك أعداداً من هذه الجريدة لم أعثر عليها)

- للصحافة فلسفة - العدد ٢١ ، السنة الأولى ، ٣ نيسان ١٩٥٠
- البشرية بين الحياة والموت - العدد ٢٣ ، السنة الأولى ، الاثنين ١٧ نيسان ١٩٥٠
- ماهي المدنية ؟ - العدد ٣٩ ، السنة الأولى ، آب ١٩٥٠
- افكار عن مدرسة الحياة - العدد ١١٦ ، السنة الثالثة ، ٢٥ شباط ١٩٥٢
- العالم المسحور - العدد ١٥٨ ، السنة الرابعة ، ٢٨ كانون الأول ١٩٥٢
- اللذة الفاضلة - العدد ٢١٤ ، السنة الخامسة ، ٣١ كانون الثاني ١٩٥٤
- حول التعبئة الفكرية - العدد ٣٤٤ ، السنة السابعة ، ٨ أيلول ١٩٥٦
- وجهان مختلفان لحضارة العالم الجديد - العدد ٣٤٧ ، السنة السابعة ٢٩ أيلول ١٩٥٦

هـ - ونشرت له مجلة الابحاث التي اصدرتها الجامعة الامريكية في بيروت المقالة التالية :

- البيت العربي - السنة السادسة ، الجزء ٢ ، حزيران ١٩٥٣

و - ونشرت له مجلة كلية التربية التي كانت تصدرها كلية التربية في الجامعة السورية المقالتين التاليتين :

- حول نظرية دوفيليه DAUVILLIER وديغان DESGUIN في أصل الحياة - السنة الأولى ، العدد الأول ١٩٥٥ (الصفحات ٤٨ - ٥٦)
- محاولة أولى لإجراء تحرٍ اجتماعي في الجامعة السورية (مع عبد الرزاق

جعفر وأحمد منير مصلح) (هو المرحوم الاستاذ الدكتور أحمد منير مصلح) ـ السنة الأولى العدد الثالث ١٩٥٦ (الصفخات ٦٣ ـ ٧٦)

ز ـ وقبل أن يسافر المرحوم الدكتور هاشم الى فرنسا ، نشرت له مجلة الشعلة التي كانت تصدر شهرياً في دمشق (لاصحابها المرحومين وحيد ايبش وجميل سلطان واديب شاكوج) المقالتين التاليتين :

ـ المسرح العربي وشوقي ـ الجزء الثاني ، السنة الأولى ، آذار ١٩٣٥ (الصفحات ٩٠ ـ ٩٣)

ـ من زوايا الأغاني : أبو قَطيفة ـ الجزء الثامن ، السنة الأولى ، ايلول ١٩٣٥ (الصفحات ٥٢٦ ـ ٥٣٢)

كما كانت تنشر له تعليقات حول بعض الكتب أو المجلات التي كانت ترد الى مكتبة المجلة .

ح ـ هنالك مجلة تصدر كل شهرين عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت الشقيق وتسمى « الثقافة العالمية » وهي « مجلة تترجم الجديد في الثقافة والعلوم المعاصرة » وتقول هذه المجلة عن نفسها مايلي :

« انشئت لتقديم الجديد من تيارات الفكر العالمي في مختلف ميادين المعرفة الى القارىء العربي ، وطريقها الذي اختارته هو الترجمة عن مختلف الدوريات العالمية . وهي ليست مجلة متخصصة ، لهذا فالميادين التي تطرقها تتناول بين ما تتناول

نظريات الفكر والسياسة والتنمية

أجواء الفنون والآداب

الانسانيات

الدراسات الاجتماعية والتربوية

الدراسات المالية والاقتصادية

مبتكرات التكنولوجيا

آفاق العلوم

المستقبليات

مغامرات واكتشافات الفضاء

الجديد في التراث والآثار

ميزانها الأساسي في اختيار المترجمات هو الجديد والهام من الفكر العالمي وهدفها الأخير إقامة الصلة بين الفكر العربي وبين الأجواء المتطورة للثقافة العالمية المعاصرة »

وكان المرحوم الدكتور هاشم يراسل هذه المجلة من باريس ، وقد بعث اليها بثماني رسائل نشرتها تحت عنوان : تقارير المراسلين ، رسالة باريس من مراسل المجلة الاستاذ الدكتور حكمة هاشم .

أما الرسالة الأولى فقد نشرت في العدد ١ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، تشرين الثاني ١٩٨١ (الصفحات ١٨٩ ـ ١٩٩)

وأما الرسالة الثانية فقد نشرت في العدد ٢ ، السنة الأولى ، المجلد الأول كانون الثاني ١٩٨٢ (الصفحات ٢٠٢ ـ ٢١٧)

وأما الرسالة الثالثة فقد نشرت في العدد ٣ ، السنة الأولى ، المجلد الأول آذار ١٩٨٢ (الصفحات ١٩٩ ـ ٢١٦)

وأما الرسالة الرابعة فقد نشرت في العدد ٤ ، السنة الأولى ، المجلد الأول أيار ١٩٨٢ (الصفحات ١٦٩ ـ ١٨٤)

وأما الرسالة الخامسة فقد نشرت في العدد ٥ ، السنة الأولى ، المجلد الأول تموز ١٩٨٢ (الصفحات ١٨٧ ـ ١٩٨)

وأما الرسالة السادسة فقد نشرت في العدد ٦ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ايلول ١٩٨٢ (الصفحات ١٨٠ ـ ١٩٩)

وأما الرسالة السابعة فقد نشرت في العدد ٧ ، السنة الثانية ، المجلد الثاني تشرين الثاني ١٩٨٢ (الصفحات ٢٣ ـ ٣١)

وأما الرسالة الثامنة فقد نشرت في العدد ٧ ، السنة الثانية ، المجلد الثاني تشرين الثاني ١٩٨٢ (الصفحات ٢٠٢ ـ ٢٠٨)

وتشتمل كل رسالة على ترجمة موضوعات متعددة ، منتقاة ، مختلفة الجوانب .

ولقد نعته هذه المجلة في عددها السادس ، السنة الأولى ، المجلد الأول سنة ١٩٨٢ بالعبارات التالية :

« بقلب مفعم بالألم والأسى تنعي هذه المجلة الى قرائها علماً من أعلام الثقافة والفكر في الوطن العربي هو الاستاذ الدكتور حكمة هاشم عضو المجمع العلمي بدمشق ، والمدير السابق لجامعة دمشق والخبير الدولي لدى اليونسكو .

كان فرداً وحده في التميز الفكري وفي الثقافة العميقة وصاحب أسلوب قل نظيره في الكتابة العربية المعاصرة متانة وصحة ورونقاً . وما عرفنا حين وافق على موافاة هذه المجلة من باريس بآخر اخبار الثقافة التي لم يخلفها عشرين شهراً ان هذه المهمة كانت آخر اشعة الغروب . وحين وافته المنية في شهر يوليو[1] الماضي ، وهو في معتكفه في باريس كان قد كتب دون أن يدري رسالة الوداع الأخير التي سوف ننشرها في العدد المقبل . إن فقده المفاجيء خسارة للثقافة العربية ولهذه المجلة لاتعوض . عوضه الله الرحمة والجنة »

(١) ـ الصواب : يونيه .

أيها السيدات والسادة

إذا كان الوقت لايتسع لشيء من التفصيل فيا يتعلق بما تضمنته مقالات المرحوم الدكتور هاشم ، كلها أو بعضها ، فانني استطيع أن أقول إننا عندما نمعن النظر فيا كتبه فإننا نتبين فيه الدقة في العرض ، والابداع في التصوير والوصف ، والعمق في التفكير ، والاحكام في التحليل والنقد والسداد في الرأي . إننا نجد فيه ما يشهد على الثقافة الوسيعة وعلى العلم الغزير المتين . إننا نلمس فيا كتبه إيمانه بالعقل والفكر والقيم الاخلاقية والقيم الإنسانية وإيمانه المطلق بالأمة العربية . ونجد فوق ذلك كله لغة عربية رائعة رائعة تبلغ الكمال في كل ناحية من نواحيها . كان يرى رحمه الله ، والعبارة له « أن أمجد مظهر لعبقرية العرب لسانهم العظيم »

المرحوم الدكتور هاشم بعد جامعة دمشق

بعد أن انفك المرحوم الدكتور هاشم عن جامعة دمشق دعته كلية الآداب في جامعة محمد الخامس في الرباط لتدريس الفلسفة فيها فغادر دمشق الى عاصمة المغرب الشقيق في شهر تشرين الأول سنة ١٩٦٢ وبقي استاذاً في كلية الآداب أربع سنوات جامعية .

ثم غادر المغرب الشقيق في تموز سنة ١٩٦٦ بعد أن تعاقد مع منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (يونسكو) .

فعين في أول الأمر مستشاراً فنياً رئيسياً في نطاق مشروع لمحو الأمية في الجزائر العاصمة ، وكان رئيساً للمشروع وذلك من ١٧ تموز سنة ١٩٦٦ حتى ٣١ أيار سنة ١٩٦٧ .

ثم عين في مقر اليونسكو في العاصمة الفرنسية في قطاع التربية من

أول حزيران سنة ١٩٦٧ حتى ١٦ أيلول سنة ١٩٦٨ .

ثم عين خبيراً لمشروع المساعدة الفنية لدى « المدرسة العليا للأساتذة » في طرابلس في ليبيا الشقيقة من ١٧ أيلول سنة ١٩٦٨ حتى ٣٠ تشرين الأول سنة ١٩٧٠ .

ثم أصبح مستشاراً فنياً رئيسياً للمشروع الآنف الذكر نفسه من أول تشرين الثاني سنة ١٩٧٠ حتى ٣١ تموز سنة ١٩٧١ .

ثم أصبح مستشاراً فنياً رئيسياً لمشروع « كلية التربية في جامعة ليبيا » في طرابلس من أول آب سنة ١٩٧١ حتى ٣١ تموز سنة ١٩٧٦ ثم أحيل على التقاعد في منظمة اليونسكو ، وظل مقيماً في العاصمة الفرنسية .

هديته الى كلية الآداب في جامعة دمشق

لقد اهدى ، رحمه الله ، الى كلية الآداب في جامعة دمشق في شهر شباط سنة ١٩٨١ نحو ١٤٦ كتاباً باللغة العربية ونحو ٢٥٠ كتاباً باللغة الفرنسية وبضعة كتب باللغة الانكلزية ، وعاد بعد ذلك الى العاصمة الفرنسية وكانت تلك آخر مرة يرى فيها دمشق .

ولقد وافق مجلس جامعة دمشق على قبول الهدية بقراره ذي الرقم ٥٣٧ المؤرخ في ١٤ / ١٢ / ١٩٨٣ .

أيها السيدات والسادة

لقد استقى المرحوم الاستاذ الدكتور حكمة هاشم من أغزر منابع العلم والثقافة والفكر في العاصمة الفرنسية ، وشاءت الأقدار أن تلبي روحه فيها نداء بارئها في التاسع والعشرين من شهر حزيران سنة ١٩٨٢ وأن يواري في ثراها جسده الطاهر . وهناك في احدى مقابر العاصمة الفرنسية

تنتصب فوق ضريحه شاهدة تحمل اسمه . وهنا في دمشق الخالدة سيرتفع اسمه على أحد شوارعها فلقد اتخذ مجلس محافظة مدينة دمشق قراراً بتسمية أحد شوارع البرامكة القريبة من الجامعة باسم المرحوم الدكتور حكمة هاشم . وإنني ليشرفني أن أوجه الأن من منبر هذه القاعة الجليلة أصدق الشكر وأخلص التقدير لمجلس محافظة مدينة دمشق على قراره النبيل وحرصه على تكريم علمائنا عامة وتكريم اعضاء مجمع اللغة العربية خاصة

وإن سياق كلامي هذا يقفز بي إلى كليةالتربية بجامعة دمشق ولكنني أقول على الفور إنني أجل كلية التربية عن أن تكون قد نسيت ذلك الرائد الفذ من علمائها . واذا كنا لانجد اسم الدكتور حكمة هاشم حتى الآن مرفوعاً فوق أي من مداخل قاعات كلية التربية فإن عاصمتنا هي التي ستنوب عنها مؤقتاً باحتضان اسم الدكتور حكمة ، ونحن عندما نرى أماً تشد ابنها الى صدرها فاننا لانتساءل آنذاك على أي من الساعدين كان محمولاً .

أيها السيدات والسادة

لقد قضى أبو فاروق نحبه . واذا كانت سنة الله تقضي بأن يغيب عن « الأبصار » من آن الى آخر كوكب من هذا المجمع وهو يظل مضيئاً مشرقاً في صفحات تاريخه المجيد فان المجمع العظيم نفسه يبقى حصناً منيعاً ومنبعاً ثراً للغة العربية المبينة التي هي لأمتنا لغة الحياة ، لغة الكرامة ، لغة الابداع ولغة الخلود

والسلام عليكم

عبد الحليم سويدان

ندوات ومؤتمرات علمية

- ١ -

الندوة العالمية الثالثة

لتاريخ العلوم عند العرب

مأمون الصاغرجي

أضاف المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت الندوة العالمية الثالثة لتاريخ العلوم عند العرب وقد عقدت الندوة جلساتها في الفترة (٦ ـ ١٠ ربيع الأول ١٤٠٤ هـ / ١٠ ـ ١٤ كانون أول ١٩٨٣ م) .

استهلت الندوة بكلمات أبرزت دور التراث العلمي العربي في مسير الحضارة ، وأكدت على روح التعاون العلمي بين المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت ، ومعهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب وبين مختلف الهيئات والمؤسسات الثقافية العربية الأخرى ، والتي كانت هذه الندوة ثمرة من ثمراته .

كان موضوع الندوة متخصصاً بعلوم النبات والري والفلاحة في جوانبها الأصولية والتطبيقية ، حيث أتاحت الندوة للمشاركين تقديم ثلاثة وستين بحثاً خلال ثماني جلسات وزعت في خمسة أيام . تتركز هذه البحوث حول ثلاثة محاور أساسية :

أولاً : إسهامات العلماء العرب في علم النبات (كتاريخ علوم النبات والفلاحة عند العرب ، وتصنيف النباتات والبيئة ، والألفاظ الفارسية في معجم النبات العربي ، وأسماء النباتات العربية في جزيرة العرب وغيرها .

ثانياً : إسهامات العلماء العرب في علم الري (وسائل الري عند العرب ، طرق العرب في استنباط المياه الجوفية وضبطها وتوزيعها ، الأبعاد القانونية لنظم الري القديمة في الوطن العربي ، تاريخ الري في العراق القديم . وما شابهها) .

ثالثاً : إسهامات العلماء العرب في علم الفلاحة : (الكتابات العربية القديمة في الفلاحة ، الفلاحة في كتب الجغرافيين والرحالة والبحارة العرب ، الفلاحة في أقوال الرسول ﷺ ، الحيوانات الزراعية في الكتابات العربية الكلاسيكية . وغير ذلك) .

وقد بدا من خلال المناقشة والحوار بين المشاركين روح التعاون العلمي الجاد الذي ساد جو الجلسات ، مما أتاح للمشاركين إغناء البحوث المقدمة ، واقتراح توصيات خلصت الندوة إليها . وستنشر بحوث هذه الندوة في كتاب خاص[١] .

- ٢ -

ندوة في الجزائر
حول تعليم اللغة العربية في الجامعات

عقد اتحاد الجامعات العربية ندوة في رحاب جامعة الجزائر في الفترة (٧ ـ ٩ رجب ١٤٠٤ هـ / ٧ ـ ٩ نيسان ١٩٨٤) . وكان المحور الأساسي الذي دارت حوله بحوث الندوة هو : « تعليم اللغة العربية في الجامعات العربية » .

افتتح الأستاذ مولود قاسم ، عضو اللجنة المركزية لحزب جبهة

(١) تفضلت الزميلة مجلة التراث العربي بدمشق فنشرت نص التقرير الصادر في ختام الندوة كاملا (العددان / ١٣ ، ١٤ ربيع الثاني ١٤٠٤ هـ / كانون الثاني ١٩٨٤ م)

التحرير الوطني ، ومسؤول المجلس الأعلى للغة العربية الندوة بكلمة تجلّى فيها العمق والإخلاص والحماسة للغة العربية التي هي قوام وجودنا .ثم بدأ المشاركون بإلقاء بحوثهم التي عالجوا فيها مختلف الموضوعات التي تتصل بتعليم اللغة العربية ، والتي كانوا قد أعدوها وفقاً للخطة التي قدمها الاتحاد إلى الجامعات في الوطن العربي .

اتسمت البحوث الملقاة بالعمق والجدية ، وقد بلغ عددها نحو (٤٠) بحثاً ، جرى تصنيفها في ستة مساقات :

الأول : مشكلات تعليم اللغة العربية .

الثاني : مناهج تعليم اللغة العربية .

الثالث : المصطلحات العلمية والترجمة .

الرابع : الكتاب الجامعي والمدرسي .

الخامس : آثار وسائل الإعلام في نشر العربية وتيسيرها .

السادس : تعريب التعليم الجامعي .

وقد عقدت الندوة جلساتها في الصباح والمساء ثلاثة أيام ، وألقى الباحثون ملخصات لموضوعاتهم التي جرى توزيعها مطبوعة كاملة على جميع الأعضاء المشاركين . وقد أتاح النظام الدقيق الذي ساد الجلسات أن تنجز الندوة أعمالها على خير وجه في الموعد المحدد : كانت تلقى موضوعات كل مساق متتابعة ، ثم يعلق المستمعون عليها ، ويتولى أصحابها بعد ذلك إيضاح ما تدعو المناقشة لإيضاحه وبيانه .

وخلصت الندوة في ختام عملها إلى تلخيص ما انتهى إليه البحث والحوار بإصدار تقرير موجز يتضمن وقائع الندوة والتوصيات التي وافق عليها المشاركون . وهذا نص التوصيات :

« إيماناً بدور اللغة العربية في وحدة العرب قومياً وفكرياً وثقافياً

ودينياً ، ولأنها وعاء التراث العربي والإسلامي ، وانطلاقاً من قدرتها على الوفاء بحاجات العصر العلمية والتكنولوجية والحضارية واستيعاب كل جديد في مجال الآداب والعلوم والفنون ، وفي ضوء ورقة العمل التي أعدتها الأمانة العامة لاتحاد الجامعات العربية ، وما أسفرت عنه البحوث التي قدمت للندوة ، والمناقشات التي دارت حولها وما تضمنته من اقتراحات واتجاهات ، توصي الندوةُ بما يأتي :

أولا : في مجال مشكلات اللغة العربية :

١ ـ أن تبذل الجامعات العربية الجهود للقضاء على ازدواجية اللغة في التدريس والحرص على استخدام اللغة العربية الفصحى وحدها .

٢ ـ أن تشجع الجامعات العربية الطلاب على الالتحاق بأقسام اللغة العربية وأن تحقق لهم فرص العمل للإفادة من تخصُّصاتهم في التدريس والإدارة ووسائل الإعلام .

٣ ـ أن يُعمَّم تدريس اللغة العربية في الأقسام والكليات غير المتخصصة في اللغة العربية .

٤ ـ أن تعنى مؤسسات إعداد المعلم برفع مستوى إعداد معلم اللغة العربية تخصصيا ومهنيا وثقافيا .

٥ ـ أن تراعي الجامعات والمعاهد حسن اختيار الطلاب في أقسام اللغة العربية ومعاهدها .

ثانيا : في مجال المناهج والكتب الجامعية :

١ ـ أن تعمل الجامعات العربية على تبنِّي مفهوم المنهج على أنه نظام متكامل يتكون من الأهداف والمقررات والكتب والمراجع وطرائق التدريس وتقنيات التعليم وأساليب التقويم ..

٢ ـ أن تعمل الأمانة العامة للاتحاد على توحيد مناهج تعليم اللغة

العربية في الجامعات على أن تكون هناك مرونة في التطبيق .

٣ ـ أن تعمل الجامعات العربية على تجريب المناهج وتعديلها في ضوء التجربة قبل تعميمها .

٤ ـ أن يتحقق التكامل بين علوم اللغة العربية من جهة وبينها وبين المواد الأدبية والمواد الأخرى من جهة ثانية ، عمودياً وأفقياً وفي المستويين العام والجامعي .

٥ ـ أن تراعي الجامعات العربية الجانب الوظيفي في اختيار محتوى المناهج في النحو والبلاغة والنصوص ، وأن يراعيها القائمون بالتدريس كذلك .

٦ ـ أن تعمل الجامعات على تيسير تداول الكتب الجامعية بين جامعات أقطار الوطن العربي .

٧ ـ أن تشجع الجامعات أُسلوب التعليم الذاتي في تعلُّم وتعليم اللغة العربية .

٨ ـ أن تزود الجامعات كليات تعليم اللغة العربية في جامعات الوطن العربي ومعاهده بوسائل التعليم وتقنياته الحديثة .

٩ ـ أن تهتم الجامعات العربية بتنويع أساليب التقويم وعدم الاقتصار على الامتحانات التحريرية وحدها في الحكم على مستويات الدارسين .

١٠ ـ أن تشجع الجامعات العربية جميع أوجه النشاط اللغوي باستخدام اللغة في الصحافة والإذاعة والندوات واللقاءات وغير ذلك من أوجه النشاط .

ثالثا : في مجال التعريب والمصطلحات العلمية :

١ ـ أن تعمل الجامعات العربية على القضاء على الازدواجية اللغوية في التدريس بين اللغة العربية وأيةِ لغةٍ أجنبيةٍ أخرى لما ينشأ عنها في

بعض الجامعات من غلبة اللغات الأجنبية على اللغة العربية .

٢ ـ أن تبذل الجامعات العربية جهودها لتحقيق تعريب العلوم والتكنولوجيا في الجامعات العربية .

٣ ـ أن تضع الجامعات خطةً علميةً عاجلةً لتمكين أساتذتها العرب الذين يزاولون التدريس باللغة الأجنبية ، من التدريس باللغة العربية

٤ ـ أن تتيح الجامعات الفرصة للأساتذة الذين لايتقنون التدريس باللغة العربية لتمكينهم من التفرغ الكلي أو الجزئي من أجل تعريب ألسنتهم .

٥ ـ أن تهتم الجامعات والمجامع اللغوية بتحقيق المخطوطات الطبية والعلمية العربية لإحياء التراث العلمي العربي ، والإفادة من المصطلحات العربية الأصيلة المستخدمة فيه .

٦ ـ أن تشجع الجامعات ترجمة المراجع العلمية من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية .

رابعا : توصيات عامة :

١ ـ أن تسعى الأمانة العامة للاتحاد إلى استصدار القرار السياسي المطلوب لتحقيق تعريب التعليم في الأقطار العربية التي لم يُتخذ فيها مثل هذا القرار حتى اليوم ، مسترشدةً بتجربتي الجزائر وسورية في مجال التعريب .

٢ ـ أن تناشد الأمانة العامة للاتحاد الحكومات العربية تقديم الدعم المادي والمعنوي لجامعات الأرض المحتلة ، وتيسير إلحاق أبنائها بأقسام الدراسات العليا في جامعات الوطن العربي .

٣ ـ تشيد الندوة بالجهود التي بذلتها الجزائر في ميدان التعريب ،

واتخاذ اللغة العربية لغة للتعليم في مراحل التعليم العام والجامعي » .

☆ ☆ ☆

هذا وقد حظيت الندوة بالرعاية والاهتمام البالغين ، وتحدثت عنها وسائل الإعلام الجزائرية (الصحافة والإذاعة) بإفاضة .

وتعد هذه الندوة تكملةً واستجابةً لما كان قد تقرر في دمشق حين انعقد المؤتمر العام الرابع لاتحاد الجامعات العربية في (رجب ١٤٠٢ هـ / نيسان ـ أيار ١٩٨٢م) واختار « تعريب التعليم الجامعي والعالي » موضوعاً للبحث والمناقشة[1] .

ـ ٣ ـ
ندوة ابن الجزار

احتفاء بالذكرى الألفية لوفاة الطبيب القيرواني الكبير أبي جعفر أحمد بن الجزار عقدت في تونس في أيام (١٢ ـ ١٥ رجب ١٤٠٤ هـ / ١٢ ـ ١٥ نيسان ١٩٨٤ م) ندوة علمية شارك فيها عدد جمٌّ من العلماء والباحثين .

عقدت الجلسات العلمية في الصباح والمساء وبلغ عدد البحوث المقدمة (٢٣) بحثاً ، وزعت مطبوعة على المشاركين ، وألقى المؤتمرون تلخيصات لها ، تلاها حوار ومناقشة .

وتناولت البحوث عصر ابن الجزار ، والنهضة في القيروان مسقط رأسه ، ثم سيرة ابن الجزار ، وتعداد مؤلفاته ، ومنهجه العلمي الذي

(١) نشرت مجلة اتحاد الجامعات العربية في عددها التاسع عشر (ص ١٧١ ـ ١٧٣) التوصيات التي أقرها المؤتمر العام الرابع لاتحاد الجامعات العربية حول موضوع « تعريب التعليم الجامعي والعالي » ، ونأمل أن يقوم الاتحاد بنشر البحوث التي ألقيت في الموضوع ذاته .

اصطنعه ، وتحليل كتبه الطبية والصيدلانية ، ودراستها دراسة موضوعية واسعة ، وإيضاح ما كان لترجماتها إلى الإغريقية واللاتينية والعبرية من آثار في النهضة الأوربية ، ثم بيان مكانة ابن الجزار في تاريخ الطب العربي ، وإقامة موازنة بينه وبين نظرائه من الاطباء العرب . وستصدر بحوث الندوة في كتاب خاص .

ـ ٤ ـ

المؤتمر السنوي الثامن لتاريخ العلوم عند العرب

عقد معهد التراث العلمي العربي (جامعة حلب) موتمره السنوي الثامن لتاريخ العلوم عند العرب في رحاب جامعة حلب في يومي (٢٥ ـ ٢٦ رجب ١٤٠٤ هـ / ٢٥ ـ ٢٦ نيسان ١٩٨٤ م) .

افتتح السيد وزير التعليم العالي الدكتور محمد زياد الشويكي المؤتمر بكلمة توجيهية دعا فيها السادة المؤتمرين الى التعمق في دراسة التراث ، والكشف عن جوانب الأصالة والإبداع في الحضارة العربية .

قُدِم إلى المؤتمر (٢١) بحثاً ، وُزِّعت مطبوعة على المشاركين ، وألقى السادة الباحثون ملخصات لها في الجلسات العلمية التي عقدت صباحاً ومساء بمدرج المعري في كلية الآداب (جامعة حلب) . وكان إقبال الجمهور كبيرا . وقد فُسِحَ للمستمعين مجالُ التعقيب والمناقشة والنقد ، وأُتيح للسادة الباحثين أن يضطلعوا بالإيضاح عما أُثير من أسئلة ، وبالحوار فيما قيل من نقد وتعقيب .

كان المحور الأساسي في بحوث السادة المؤتمرين هو الكشف عن شخصية « ابن أبي أصيبعة » الطبيب الكحال ، وبيان مميزات كتابه

الشهير « عيون الأنباء في طبقات الأطباء » . ثم ضُمَّ الى هـذا المحور بحوثٌ شتى تنـــاولت بعض الجـوانب في التراث العلمي العربي ولاسيا الطبي والزراعي .

واختتم المؤتمرُ بتوصيات أساسية تساعد في تعاون الباحثين وتشجيعهم للتقدم بخُطًا حثيثة في هذا الميدان الهام من ميـادين المعرفـة . وستصـدر بحوث المؤتمر في كتاب خاص .

لقد استطاع معهد التراث العلمي العربي المرتبـط بجـامعـة حلب على حـداثـة عهـده (أُنشئ بمقتضى المرسـوم ١٩٠٥ لعـام ١٩٧٦ م) أن يشقّ طريقـه في الكشف عن التراث العلمي العربي ، وأن يُرْسي أسســاً للعمـل من أجل تحقيق أهدافـه . وقـد قـام بعقـد ثلاث نـدوات عـالميـة لتـاريخ العلوم عنـد العرب : النـدوتـان الاولى والثـانيـة منهما في حلب (١٩٧٦ ، ١٩٧٩) والنـدوة الثـالثـة في الكويت (١٩٨٣) ، كما قـام بعقـد المـؤتمرات السنوية لتاريخ العلوم عند العرب . ومن أبرز منشورات المعهد :

- تقي الدين والهندسـة الميكانيكيـة العربيـة ،للـدكتور أحمـد يوسف الحسن.

- ابن الشاطر الفلكي ، للدكتورين ادوارد كنيدي وعماد غانم .

- رياضيات بهاء الدين العاملي ، للدكتور جلال شوقي .

- إفراد المقـال في أمر الظلال للبيروني (نشر النص العربي في حيـدر أباد الدكن بالهند) ، قام بترجمتـه الى الانكليزيـة وشرحـه والتعليق عليـه الدكتور ادوارد كنيدي .

- الجـامـع بين العلم والعمـل النـافـع في صنـاعــة الحيـل لابن الرزاز الجزري ، تح الدكتور أحمد يوسف الحسن .

- سرّ الخليقة وصنعة الطبيعة (كتـاب العلل) لبلينوس الحكيم ، تح

الدكتورة اورسولا وايس .

- ما الفارق لأبي بكر الرازي ، تح الدكتور سلمان قطاية .
- دليل الباحثين في تاريخ العلوم عند العرب والمسلمين ، للدكتور سامي حمارنة .
- كتاب الحيل لبني موسى بن شاكر ، تح الدكتور أحمد يوسف الحسن .
- مراسم الانتساب في معالم الحساب للأموي ، تح الدكتور أحمد سليم سعيدان .
- الساعات المائية العربية (باللغة الانكليزية) ، للدكتور دونالدهيل .
- رسائل الخيام الجبرية ، تح الدكتور رشدي راشد وأحمد جبار .
- اقراباذن القلانسي ، د . محمد زهير البابا .
- بغية الطلاب في شرح منية الحساب .
- القولنج للرازي ، تح الدكتور صبحي محمود حمامي .
- مخطوطات الطب والصيدلة في المكتبات العامة بحلب ، للدكتور سلمان قطاية .
- أبحاث الندوة العالمية الأولى لتاريخ العلوم ، عند العرب (١٩٧٦ م) .
- أبحاث المؤتمر السنوي الثاني لتاريخ العلوم (١٩٧٧ م) .
- أبحاث المؤتمر السنوي الثالث لتاريخ العلوم (١٩٧٨ م) .
- أبحاث المؤتمر السنوي الخامس لتاريخ العلوم (١٩٨١ م) .
- موسوعة حلب للأسدي . صدر منها الجزءان الأول والثاني .
- فهرس مخطوطات خزانة معهد التراث العلمي العربي بحلب .

- فهرس مصورات مكتبة معهد التراث العلمي العربي بحلب .

ولمعهد التراث العلمي العربي مجلته التي يصدرها كل ستة أشهر ، وهي مجلة تاريخ العلوم العربية ، وقد صدر منها خمسة مجلدات .



معهد تاريخ

العلوم العربية والإسلامية

بفرانكفورت

مأمون الصاغرجي

أُنشئ معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في إطار جامعة فرانكفورت بألمانيا الاتحادية ، وهدفه الأساسي الأول تبيين مكانة العلوم العربية والإسلامية في تاريخ العلوم العام . ويقوم على إدارة المعهد الأستاذ الدكتور فؤاد سزكين الذي عُرف ببحوثه ودراساته العربية والإسلامية . ويُعَدُّ مؤلَّفه الكبير « تاريخ التراث العربي » الذي بدأ بإعداده منذ عام ١٩٦١ ، والذي صدر منه حتى الآن تسعة مجلدات (وترجم مجلداه الأول والثاني إلى العربية في عشرة أجزاء) من أبرز المؤلفات التي تؤرخ لتطور العلوم العربية والإسلامية ، وترشد إلى مواضع المخطوطات العربية في المكتبات المعروفة في العالم . وقد جدّد الأستاذ سزكين بعمله هذا كتاب سلفه بروكلمان ، وأضاف إليه ماكان مجهولاً آنذاك ، مقتديًا في ذلك بكلمة البيروني : « إنما فعلتُ ماهو واجب على كل إنسانٍ أن يعمله في صناعته من تَقَبُّل اجتهاد من تقدمه بالمنة ، وتصحيح خلل إن عثر عليه بلا حشمة ... وتخليد ما يلوح له فيه تذكرة لمن تأخر عنه بالزمان وأتى بعده[1] » .

(١) القانون المسعودي ١ / ٤ ، ٥ .

ومن المشروعات التي ينهض بها المعهد لتحقيق هدفه في الكشف عن مكانة العلوم العربية والإسلامية :

١ - إصدار مجلة تاريخ العلوم العربية والإسلامية (والمأمول أن يصدر العدد الأول في عام ١٩٨٤ م) .

٢ - نشر سلسلة من الكتب تتضمن إعادة طبع المقالات المتفرقة التي كتبها مستشرقون ومؤرخو علوم لهم مكانتهم العلمية الكبيرة . وكانت أعمال « فيدمان » (١٨٥٢ - ١٩٢٨ م) التي لم يُعَدْ طبعها أول هذه الكتب ، ومن المتوقع أن تصدر في ثلاثة مجلدات . وقد تم طبع المجلد الأول منها (فرانكفورت - ١٩٨٤ م) وهو يحوي على مقالات « فيدمان » المنشورة (١٨٧٦ - ١٩١٢ م) ، وجاء في مطلعه فهرس تحليلي باللغة العربية تضمن ترجمةً لعناوين المقالات ، وإشارات إلى محتواها .

٣ - نشر سلسلة « نصوص ودراسات » . وقد صدر المجلد الأول منها بعنوان « محاضرات في تاريخ العلوم العربية والإسلامية » (فرانكفورت - ١٩٨٤ م) ، وهو يحوي ثلاث عشرة محاضرة كان قد ألقاها الدكتور فؤاد سزكين في بعض الجامعات العربية ، وهي :

١ - كتاب « تاريخ التراث العربي » أهدافي ومنهجي في إعداده .

٢ - مكانة المسلمين والعرب في تاريخ العلوم .

٣ - مكانة العلماء المسلمين والعرب في تاريخ الطب .

٤ - مكانة المسلمين والعرب في تاريخ علم الكيمياء .

٥ - مكانة العلماء المسلمين العرب في تاريخ الرياضيات .

٦ - مكانة الفلكيين المسلمين والعرب في تاريخ علم الفلك .

٧ - أثر الفلك العربي في أوربا .

٨ ـ مكانة العلماء المسلمين والعرب في تاريخ الآثار العلوية .
٩ ـ قضية أثر العلوم العربية والإسلامية في النهضة الأوربية .
١٠ ـ أهمية الإسناد في العلوم العربية والإسلامية .
١١ ـ مصادر كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني .
١٢ ـ الشعر العربي القديم بين الأصالة والانتحال .
١٣ ـ حول قضية أسباب ركود الثقافة الإسلامية .

وقد أشار الدكتور سزكين في مقدمة كتابه إلى أن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية كانت قد نشرت له كتاباً في عام ١٩٧٩ م بعنوان « محاضرات في تاريخ العلوم » ، وهو يتضمن سبعاً من هذه المحاضرات (وهي المحاضرات ذوات الأرقام : ١ ، ٢ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ١٠ ، ١٢) كما يضم الكتاب المذكور ملحقاً يحتوي صورتي مخطوطتين ، أولاهما : كتاب في معرفة آلاتٍ تعلم بها أبعاد الأشياء الشاخصة في الهواء ، للفضل بن حاتم النيريزي ، والثانية : رسالة في المد والجزر لمؤلف مجهول .

إننا نرجو للمعهد المذكور بإدارة الأستاذ الدكتور سزكين أن يؤدي رسالته العلمية على الوجه الأمثل ، كما نرجو أن يتم التنسيق بين كل المعاهد والمؤسسات التي تُعنى بالتراث العلمي العربي في داخل الوطن العربي وخارجه ، وأن تمضي جميعاً في أعمالها وفق خطة شاملة موحدة يتفق عليها .

الكتب المهداة

لمكتبة مجمع اللغة العربية بدمشق

خلال الربع الثاني من عام ١٩٨٤

محمد مطيع الحافظ

- **جمهرة النسب** - رواية محمد بن حبيب عنه - الجزء الأول - تحقيق وخط ولوحات محمود فردوس العظم ، مراجعة محمود فاخوري ، قدم له د . سهيل زكار

- **الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة** (١ - ٢) - لمحمد بن أبي بكر الأنصاري التلمساني الشهير بالبُري تحقيق وتعليق د . محمد التونجي . الرياض ١٤٠٣ هـ

- **صورة الاسلام في أوربا في العصور الوسطى** - لريتشارد سوذرن - ترجمة وتقديم د . رضوان السيد - بيروت ١٩٨٤

- **الإسلام والتربية الصحية** - د . عائدة عبد العظيم البنا - الرياض ١٤٠٤ هـ

- **الإبريز من كلام سيدي الغوث عبد العزيز الدباغ** - تأليف الشيخ أحمد بن المبارك - الجزء الأول - تحقيق محمد عدنان الشماع - تقديم ثلة من العلماء - دمشق ١٩٨٤ م

- **الاعتماد في نظائر الظاء والضاد** - لجمال الدين محمد بن مالك - تحقيق د . حاتم صالح الضامن - بغداد - ١٩٨٠ م

- **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها** - د . أحمد مطلوب - (الجزء الأول أ - ب) بغداد ١٩٨٣ م
- **ديوان في قصيدة** : عبد المعين الملّوحي يرثي نفسه - دمشق ١٩٨٤ م
- **فهرسة مواد وتراجم وأعلام كتاب الأغاني** للشيخ أبي الفرج الأصفهاني (محققة على نسخة دار الكتب المصرية) - إعداد وتحقيق عبد المعين الملوحي - دمشق ١٩٨٤ م
- **فرانز فانون** - رؤيته لدور الكاتب والأدب الأفريقي باللغة الفرنسية - د . سعاد شيخاني - بيروت ١٩٨٣
- **الدراما الاشتراكية** - دراسة لانبثاقها وتطورها في مصر - د . كمال عيد - بيروت ١٩٨٣
- **الملحمة والرواية** - (دراسة الرواية ، مسائل في المنهجية) د . جمال شحيد - بيروت ١٩٨٢
- **التطور النحوي للغة العربية** - (محاضرات ألقاها في الجامعة المصرية سنة ١٩٢٩ المستشرق الألماني برجشتراسر) - ترجمة د . رمضان عبد التواب - القاهرة ١٩٨٢
- **السفر الثامن (١ - ٢) من كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة** - لمحمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي - تقديم وتحقيق وتعليق د . محمد بن شريفة . الرباط ١٩٨٤ م
- **الطبقات السنية في تراجم الحنفية** - لتقي الدين بن عبد القادر التميمي الداري الغزي (١ - ٣) - تحقيق د . عبد الفتاح محمد الحلو - الرياض ١٩٨٣
- **تاريخ المزة وآثارها ومعه المَعَزة فيما قيل في المزة** - لمحمد بن طولون الدمشقي - تحقيق محمد عمر حمادة - دمشق ١٩٨٤

- **تاريخ الموصل** - لسعيد الديوه جي - الجزء الأول - بغداد - ١٩٨٣
- **تاريخ مساجد الكوفة** - لمحمد سعيد الطريحي - الجزء الأول - حيدرآباد ١٤٠٢ هـ
- **تواريخ سريانية من القرون ٧ - ٩ م** - نقل وتحقيق د . يوسف حبي - بغداد ١٩٨٣ م
- **وصف دمشق في القرن السابع عشر** من مذكرات الرحالة الفرنسي الفارس دارفيو - ترجمة وتعليق أحمد إيبش - دمشق ١٩٨٢
- **وصف دمشق في أيام الملك الظاهر بيبرس (القرن السابع الهجري - الثالث عشر الميلادي)** - نصوص للعلامة الرحالة زكريا بن محمد القزويني - مع ملحق في وصف القصر الأبلق الذي بناه الظاهر بيبرس بدمشق - نشرها أحمد ايبش - دمشق ١٩٨٣ م
- **ماري أكبر حاضرة في سورية** - تعريب قاسم طوير - دمشق ١٩٨٣
- **خواطر مجددة حول مستقبل الوحدة العربية** - د . جورج جبور - دمشق ١٩٨٤ م
- **القبيلة والدولة في البحرين** (تطور نظام السلطة وممارستها) د . فؤاد إسحق الخوري - بيروت ١٩٨٣ م
- **فهرس المخطوطات العربية والمصورة الموجودة بمكتبة المخطوطات بجامعة الكويت** (١ - ٢) إعداد أحمد سعيد الخازندار - الكويت ١٩٨٣ م
- **مخطوطات المجمع العلمي العراقي** (دراسة وفهرسة) - الجزء الثالث - لميخائيل عواد - بغداد ١٩٨٣ م
- **فهرس مخطوطات جامعة أم القرى** (الجزء الأول) - عمادة شؤون المكتبات - مكة المكرمة ١٤٠٣ هـ

- **كتاب القولنج** - لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي - مع دراسة مقابلة لرسالة ابن سينا في القولنج - تحقيق وترجمة د . صبحي محمود حمامي - حلب ١٩٨٣ م
- **المدخل إلى الكيمياء العضوية الصناعية** - لبيتر وايزمان - ترجمة د . صلاح يحياوي ، د . صالح القادري ، د . فاروق قنديل - دمشق ١٩٨٣
- **المدخل إلى الفيزياء النووية** - د . مكي الحسني - دمشق ١٩٨٣
- **الكيمياء غير العضوية** (١ - ٢) لـ ج . أي . هيوهي - ترجمة د . حمد الله الهودلي و د . منار فياض - أشرف على الترجمة والاخراج د . عادل أحمد جرار - عمان ١٩٨٣
- **مبادئ تنظيم المدينة** - مصطفى فواز - بيروت ١٩٨٠
- **الطفل المتخلف عقلياً في المحيط الأسري والثقافي** (دراسة حالاتٍ في المجتمع اللبناني) د . منى فياض - بيروت ١٩٨٣ م

فهرس الجزء الثالث من المجلد التاسع والخمسين

(المقالات) الصفحة

(التعريف والنقد)

(آراء وأنباء)